

# دراسات

(سياسية، اقتصادية، فكرية)

الإصدار السابع

مركز الفرات للدراسات

قامشلو - 2022

تتم المراسلات باسم هيئة التحرير على البريد الإلكتروني: [alfiratn@gmail.com](mailto:alfiratn@gmail.com)

ولزيارة الموقع الإلكتروني للمركز: [www.firatn.com](http://www.firatn.com)

## الفهرس

7	الفصل الأول: دراسات.....
8	إيران.. مسيرة الأزمات المتتالية إلى أين؟ .....
27	القمح بين الواقع والمطلوب في مناطق الإدارة الذاتية.....
40	أثر منصات الإعلام الاجتماعي على المنظومة القيمية للشباب .....
77	التضخم يجتاح الاقتصاد العالمي من جديد .....
126	استراتيجيات الحروب الرقمية لتغيير وجه العالم.....
146	الفصل الثاني: قضايا راهنة.....
147	التطورات الجيوسياسية للقضية الكردية في الشرق الأوسط.....
156	تفاهات إسرائيلية روسية حول تنفيذ ضربات جوية في سوريا.....
162	الأبعاد الاستراتيجية لهجوم سجن الصناعة ومآلاته.....
168	تجربة داعش الاختبارية للعودة والتأسيس (أحداث سجون الحسكة نموذجاً).....
175	السياسة التركية في آسيا الوسطى.....
183	السلطة الرابعة بين تهوين وتهويل المآسي الإنسانية.....
192	مناطق النفوذ التركي في سوريا رقعة داعش المغرية للإقامة والعبور .....
197	الارتدادات الاقتصادية للحرب الروسية الأوكرانية تداخلات وخسائر متبادلة.....
208	أوكرانيا.. الساحة المثالية للاختبار وإعادة ترتيب الحسابات.....
221	بعد قره باغ .. جبهة جديدة للمرتزقة السوريين في أوروبا الشرقية.....
228	"العنصرية الجديدة" و"البقاء للأصلح" في فضاء الإعلام المنحاز .....
237	مع انشغال الروس بأوكرانيا.. تحركات جديدة في سوريا.....
249	تحولات في مسارات الضغط على إيران .....

257	الفصل الثالث: مقالات رأي
258	ماذا ستكون نتيجة العقوبات المفروضة على روسيا؟
262	سياسة التوازن الهش لتركيا حيال الصراع الروسي-الأوكراني
267	ساعة نهاية العالم والتأهب النووي الذي أعلنه بوتين
270	بين فنلندا والسويد وتركيا.. مَنْ يدعم الإرهاب؟
274	داعش بين الواقعية والمؤامرة

## تقديم

مركز الفرات للدراسات وهو يحمل على عاتقه واجباً علمياً، يسعى إلى تقديم رؤى علمية وواقعية مبنية على أسس البحث والتحليل والاستراتيجيات التي تشكل أرضية مناسبة لصناعة القرار ورسم الخطط حيناً وتشكيل مواقف من القضايا والمعطيات المختلفة أحياناً أخرى. وذلك انطلاقاً من أن مراكز القرار العالمي، ومحافل السياسة الدولية، ومؤسسات رسم الاستراتيجيات والخطط المستقبلية، تعتمد بالدرجة الأولى على مراكز الأبحاث والدراسات.

في هذا السياق، لا يدخر مركز الفرات للدراسات جهداً، في القيام بالعملية البحثية، وتقديم الدراسات والأبحاث حول مختلف المسائل والقضايا، السياسية والاقتصادية والفكرية، المحلية والإقليمية والدولية. بالاعتماد على الأسس والقواعد العلمية القوية، في تحليل المعطيات والمتغيرات المختلفة، بغية التوصل إلى نتائج سليمة، يمكن من خلالها أن يقدم المركز مقترحاته وآراءه - حول تلك المسائل والقضايا - لمراكز القرار السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأن يعلنها على الساحة المجتمعية ككل.

الإصدار السابع من دورية "دراسات"، يقدم العديد من الأبحاث والدراسات، التي تعالج مختلف القضايا، ذات الشأن السياسي والاقتصادي والفكري والإعلامي، في مناطق شمال وشرق سوريا. من خلال البحث والدراسة المعمقين، بهدف تقديم الحلول والمقترحات، أو وجهات نظر المركز حولها، أو تقديم البدائل الممكنة، بما يعزز آليات صنع القرار في المنطقة، ويرفع من سويتها.

في هذا الإصدار، سيدج القارئ في الفصل الأول، العديد من الدراسات والأبحاث التي تناولت الشأن الاقتصادي، في مناطق شمال وشرق سوريا والعالم، وآثار منصات الإعلام الاجتماعي والحروب الرقمية على المستويين المحلي والعالمي، مع بيان السياسة الإيرانية ومسيرة الأزمات المتتالية.

أما الفصل الثاني، فقد تناول الكثير من القضايا الراهنة والملفات الساخنة، على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية، المتعلقة بالأزميتين السورية والأوكرانية وارتداداتهما على المنطقة. وخاصة تلك المتعلقة بالدول الإقليمية أو القوى الكبرى الفاعلة على الأرض، سواءً في سوريا والشرق الأوسط، أو في مناطق شمال وشرق سوريا على وجه الخصوص. وجاءت القراءات لهذه

القضايا، على أسس تحليل الحدث وسياقه، وتناوله من مختلف الجوانب، وتوضيح وجهات النظر حوله، ومن ثم تقديم الرؤى الاستراتيجية، بما يخدم الواقع السياسي والمجتمعي والإعلامي في المنطقة.

الفصل الثالث يضم مقالات رأي تعبر عن وجهات نظر الكتاب داخل المركز، تتناول بشكل رئيسي ملفات سياسية واقتصادية متعلقة بالحرب الروسية-الأوكرانية، والدور التركي في الصراع القائم، فضلاً عن تحليل دور "داعش" في استغلال الظروف غير المستقرة.

في النهاية، تأمل هيئة تحرير "دراسات" في مركز الفرات، أن يجد القارئ في المواضيع والقضايا والأبحاث التي تناولها هذا العدد الفائدة المرجوة منها، وأن تشكل آراء وتحليلات المركز ونتائج أبحاثه ودراساته، إضافة مفيدة - للقارئ وللجهات الأخرى المعنية - حول الواقع السياسي والمجتمعي والاقتصادي في مناطق شمال وشرق سوريا.

# الفصل الأول

## دراسات

## إيران.. مسيرة الأزمات المتتالية إلى أين؟

مركز الفرات للدراسات

### المقدمة

تعتبر الثورة الإيرانية 1979 أحد أبرز أحداث القرن العشرين، وحدثاً مفصلياً في تاريخ إيران الحديث. فقد غيرت هذه الثورة نظام الحكم في إيران من حكم ملكي إلى جمهورية إسلامية، وذلك بعد مصادرة الإسلاميين بقيادة الخميني للثورة الشعبية التي شارك فيها كافة أطياف ومكونات الشعب الإيراني.

دأب الإيرانيون في السعي لتغيير نظام حكم الشاه محمد رضا بهلوي الدكتاتوري الذي صهر جميع المكونات الإيرانية في بوتقة القومية الفارسية، والغارق في أمجاده أسلافه الإمبراطورية، وإهمال شعبه الذي كان يزرع تحت وطأة الفقر، بينما كان يعيش مع حاشيته وأفراد عائلته في ترفٍ قلّ نظيره في التاريخ.

كانت السجون في عهد الشاه أيضاً مليئة بالمعارضين السياسيين، ولا سيما اليساريين والإسلاميين، وكانت ترتكب أبشع الانتهاكات بحقهم في السجون. كل ذلك في الوقت الذي كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تمارسان هيمنتها على نظامه، وتنهبان موارد البلاد مقابل الحفاظ على حكمه، والتصدي لأي محاولة انقلاب ضده، كما حدث إبان ثورة مصدق المدنية<sup>1</sup> في مطلع الخمسينات من القرن الماضي، حيث سعى رئيس الوزراء محمد مصدق المنتخب ديمقراطياً حينها، إلى تحجيم النفوذ البريطاني والأمريكي وإلى تأمين صناعة النفط، وفرض سيطرة الدولة الإيرانية على القطاع النفطي، وإلى تقليل صلاحيات الشاه لمصلحة الشعب، هذه المسألة التي سيأخذها الأمريكيون في الحسبان عند التفكير بتغيير النظام الإيراني لاحقاً.

<sup>1</sup> <https://cutt.us/v60ro> فصول من التاريخ السياسي للنفط في إيران (2): مصدق، التأميم، والانقلاب - حبر - تاريخ النشر

ولفهم سبب وصول رجال الدين إلى الحكم، وتمكنهم من الانقلاب على الثورة، علينا العودة إلى دور المرجعيات الدينية الشيعية في تاريخ إيران.

لاشكَّ أنّ الحركة الدينية الشيعية بقيادة الخميني كانت من أبرز التيارات المعارضة لحكم الشاه، ونتيجة جراً الخميني في الوقوف ضد الشاه، وتعرضه للاعتقال والنفي، فقد اكتسب كاريزما شعبية، حيث كان حتى قبل انتصار الثورة، وقبل طرحه فكرة "الولي الفقيه" نموذجاً للمرجعيات الشيعية التي كانت تشارك في إدارة البلاد مع الملوك وطبقة التجار، نظراً لاستقلالها مادياً عن المركز، ولما كانت تملكه من نفوذ على الشعب، حيث كانت تقف، على مر التاريخ، في صف الشعب وتمارس نوعاً من الوصاية على حكم الملوك ومراقبة القوانين الصادرة عنهم بما يتوافق مع الشريعة الإسلامية ومصالح الشعب، لكن دون التدخل في حكم البلاد، وكان بإمكان أي فتوى من إحدى المرجعيات إبطال قانون يصدره الملك، كما حدث في "ثورة التتباك" عام 1891 حيث أصدر الإمام ميرزا حسن الشيرازي فتوى ضد منح ناصر الدين شاه، امتياز بيع التبغ لشركة بريطانية لمدة 50 عاماً، لما كان سيلحق الضرر بالمزارعين الإيرانيين، ما أدى إلى إلغاء الاتفاقية.<sup>2</sup>

### انقلاب العلاقة مع الولايات المتحدة وإسرائيل

كان الشاه محمد رضا بهلوي أثناء فترة حكمه بمثابة شرطي الولايات المتحدة في الخليج العربي، وبمقابل ذلك كان يحظى بدعم لا مثيل له من الأمريكيين في توطيد حكمه وتسليح جيشه، كما أنّ علاقة إيران بإسرائيل في تلك الحقبة؛ أي بين عامي 1953-1979 كان تصل إلى مصاف العلاقات الاستراتيجية من النواحي الأمنية والاقتصادية والسياسية، فكانت إسرائيل تعتمد بشكل كبير على إيران لتأمين احتياجاتها النفطية، كما كانت ممرّاً يتم بيع النفط من خلالها إلى الأسواق الأوروبية، عدا عن أنّ إيران وإسرائيل وجدت في هذه العلاقة تحالفاً ضد تحالفات جمال عبد الناصر في الشرق الأوسط والتي كانت معادية لتل أبيب وطهران.<sup>3</sup>

<sup>2</sup> <https://cutt.us/1bZNM> bbc حكاية ثورة التبغ التي هزت عرش الشاه في إيران - نشر بتاريخ 10 آذار 2019 - استرجع بتاريخ

24 كانون الثاني 2022

<sup>3</sup> <https://cutt.us/tIRfz> عربي 21 - تحقيق إسرائيلي يكشف علاقات مميزة مع نظام الشاه - عدنان أبو عامر - نشر بتاريخ 20

حزيران 2019 - استرجع بتاريخ 24 كانون الثاني 2022

لكن مع نشأة الجمهورية الإسلامية تدهورت هذه العلاقة مع الدولتين، وبات العداء لهما شعاراً لها، بحكم دعمهما للنظام السابق، فجاءت أزمة الرهائن الأمريكية، حيث هاجم طلبة موالون للخميني السفارة الأمريكية واحتجزوا 52 دبلوماسياً أمريكياً، رداً منهم على رفض أمريكا تسليم الشاه لإيران بغية محاكمته.<sup>4</sup>

ومن هنا بدأت القطيعة الأمريكية-الإيرانية وحجزت الولايات المتحدة الأصول الإيرانية في بنوكها وفرضت عقوبات اقتصادية عليها.

لم يعترف النظام الإسلامي الناشئ بإسرائيل كدولة، وقطع كل العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية معها، وتشكلت حالة عداء تجاهها، بسبب تحالفها مع الشاه ومساعدتها له أثناء عمليات الإضراب في القطاع النفطي، حيث كان الخميني يقول إنّ إسرائيل أرسلت عمالاً إسرائيليين للعمل في المنشآت النفطية الإيرانية المضربة عن العمل، في سبيل الإبقاء على حكم الشاه.

لكن السبب الأبرز هو وقوع إسرائيل في مركز نظرية تصدير الثورة الإسلامية، التي تتبنى نظرية الدفاع عن المظلومين ضد المستكبرين، الساعية في جوهرها إلى الهيمنة على العالم الإسلامي وبالتالي الشرق الأوسط، فهي تجد أن الشعب الفلسطيني شعب مظلوم محتل من قبل إسرائيل وعلى الجمهورية الإسلامية نصرته الفلسطينيين، وذلك من باب اللعب على مشاعر المسلمين في جميع أنحاء العالم، وزرع أولى بذور قوتها الناعمة.

تطورت حالة العداء هذه، خلال السنوات اللاحقة، ولا سيما خلال الحرب الإيرانية-العراقية ودعم الولايات المتحدة للعراق على حساب الجمهورية الإسلامية، هذه الحرب التي يعتقد الكثيرون أنّ أحد أهم أسبابها هو محاولة الولايات المتحدة الدفع لحدوث انقلاب على نظام الخميني، من خلال التنسيق بين ضباط في الجيش الإيراني موالين للشاه والجيش العراقي، يضاف إلى ذلك حرب الناقلات<sup>5</sup> عام 1988 بين إيران وأمريكا والتي أسفرت عن تدمير نصف القوات البحرية

<sup>4</sup> <https://cutt.us/po83X> يورو نيوز - رغم مرور 40 عاما .. أزمة الرهائن لا تزال تسمم العلاقات الأمريكية الإيرانية - نشر بتاريخ 4 تشرين الثاني 2019 - استرجع بتاريخ 24 كانون الثاني 2022

<sup>5</sup> <https://cutt.us/6pGnA> كيف انتهت معركة "اليوم الواحد" بين الولايات المتحدة وإيران؟ - بي بي سي - نشر بتاريخ: 7

كانون-2- استرجع بتاريخ 13 شباط 2022

الإيرانية والكثير من المنشآت النفطية الإيرانية، إضافةً إلى إسقاط البحرية الأمريكية طائرة ركاب إيرانية ومقتل 290 راكباً كانوا على متنها.

تزايد التوتر بين إيران وإسرائيل بعد بتأسيس إيران حزب الله في جنوب لبنان عام 1982، من خلال استغلال وجود الجيش السوري في الأراضي اللبنانية والعمل على تعزيز قوته، ليكون بذلك حزب الله ذراع إيران لتصديع رأس إسرائيل في المنطقة، وتحريك ورقته ضدها حين لزوم الأمر، وأيضاً دعم إيران لحركة حماس الفلسطينية بالمال والسلاح وفتح مكتب يمثلها في طهران عام 1991.

أما خطوات تصعيد إيران ضد إسرائيل فقد بدت جلياً في الهجوم على السفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس عام 1992 واستهداف "أميا"<sup>6</sup> مبنى مركز الجالية اليهودية في الأرجنتين عام 1994 والذي خلف 85 قتيلاً ومئات الجرحى، وهو يعتبر أكبر هجوم منفرد ضد الجالية اليهودية في الشتات منذ المحرقة.

تتالي بعد ذلك التصعيد بين إيران وإسرائيل ليطلق المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية علي خامنئي في عام 2000 تصريحات يصف فيها إسرائيل بـ "الورم السرطاني" وأنه يجب اجتثاثه من المنطقة، وتساعد التوتر بين الطرفين خلال فترة رئاسة أحمددي نجاد الذي دعا إلى "محو إسرائيل من الخارطة".

يضاف إلى ذلك أيضاً، دعم الحرس الثوري الإيراني لحزب الله خلال حرب لبنان 2006، والدعم الإسرائيلي المقابل لحركة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة.

كما عزز النشاط النووي الإيراني من حدة التوتر بين إيران من جهة والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة أخرى، لتتنبه الأخيرتان إلى ما تضمه إيران من نوايا للسيطرة على المنطقة.

<sup>6</sup> <https://cutt.us/NWpYi> الرجال المسؤولون عن تفجير مركز "أميا" معروفون وما زالوا طلقاء - معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى - نشر بتاريخ: 12 آب 2019 - استرجع بتاريخ: 13 شباط 2022

مشروع إيران النووي ظهرت المشكلة النووية الإيرانية إلى العلن عندما كشفت حركة مجاهدي خلق المعارضة للنظام الإيراني، عن وجود نشاط نووي سري<sup>7</sup> تعمل عليه إيران وتقوم بتطويره.

ويعود برنامج إيران النووي إلى خمسينات القرن الماضي، حينما أطلق الرئيس الأمريكي آنذاك آيزنهاور مشروع "الذرة في خدمة السلام" وذلك بعد شعور الولايات المتحدة بالذنب نتيجة استخدامها القنبلة النووية في هيروشيما وناكازاكي في الحرب العالمية الثانية عام 1945. حيث أعلنت الولايات المتحدة عن استعدادها لتقديم المساعدة للبلدان النامية في استخدام الطاقة الذرية للاستخدامات السلمية، وكانت إيران من الدول المبادرة للاستفادة من العرض الأمريكي، فوقع الشاه محمد رضا بهلوي عام 1957 "الاتفاق المقترح للتعاون في مجال البحوث والاستخدامات السلمية للطاقة الذرية"<sup>8</sup> مع الولايات المتحدة، ليتم بعدها تأسيس مركز طهران للبحوث النووية، وتوقيع إيران على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية عام 1968 ليتم بموجبها السماح لمفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتحقيق والتفتيش لنشاط إيران النووي.

بعد انتصار الثورة الإيرانية، أصدر الخميني فتوى بتحريم الطاقة النووية لأغراض عسكرية، واعتبر المشروع النووي الإيراني جزءاً من مشاريع الشاه العنيفة، التي كان ينفق عليها أموالاً طائلة بحسب اعتقاده، فتوقف العمل به حتى آخر أيام الخميني نهاية الثمانينات.

حيث يبدو أن القادة الإيرانيون، اقتنعوا بضرورة التسلح بالقوة النووية لتعزيز حكمهم في مواجهة القوى العظمى، وفرض هيمنتهم على المنطقة، فعملوا على تطوير البرنامج النووي، وبناء منشآت سرية خارجة عن الاتفاقية التي وقعها الشاه مع أمريكا، واستقدموا، بعد انهيار الاتحاد السوفييتي، أجهزة تخصيب يورانيوم إلى إيران عن طريق المافيا النووية، بقيادة عالم الفيزياء الباكستاني عبد القدير خان، حيث عملت على نسخ أجهزة الطرد المركزي من نوع IRI وصنعت منه مئات النسخ، وكان لتسريب مجاهدي خلق حول نشاط إيران النووي السري، دورٌ كبيرٌ في فتح أنظار الغرب على هذا النشاط، وتوجه مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى إيران، الذين شعروا أنّ نشاط الأخيرة، يسير على غير الاتفاق القديم بين إيران والولايات المتحدة، ما استدعى إيران

<sup>7</sup> إيران..الكشف عن برنامج الملالي للأسلحة النووية- منظمة مجاهدي خلق- نشر بتاريخ 2 شباط 2020- استرجع بتاريخ 19 شباط 2022

<sup>8</sup> البرنامج النووي الإيراني- محطات من الشد الإيراني والجدب الغربي- DW نشر بتاريخ 9 أيار 2018- استرجع بتاريخ 19 شباط 2022

لتوقيع بروتوكول إضافي مؤقت في عام 2003 بحيث يُسمح فيه لمفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية بالتفتيش في أي موقع وفي أي وقت.

لكن المفتشين فشلوا في العثور على مخالفة صريحة من شأنها أن تدين إيران في هذا المجال، وذلك نظراً لبراعة الجانب الإيراني في المراوغة والعمل سراً، لكن ساورتهم الشكوك حول نشاط إيران النووي نظراً للحجم الكبير لبرنامجها.

تعهدت إيران بعد ذلك بعدم تخصيب اليورانيوم مقابل تقديم الدعم اللازم لها من الغرب وأمريكا بكميات اليورانيوم المخصب اللازمة لنشاطها السلمي، ومع مرور الوقت زادت شكوك الأوربيين والأمريكيين بالنوايا الإيرانية، وماطلت في تسليم كميات اليورانيوم المخصب لإيران وفق ما تم الاتفاق عليه، إلى أن حدثت نقطة التحول في برنامج إيران النووي وخروجه عن السيطرة عام 2006، حيث نجح الإيرانيون في تخصيب اليورانيوم، بعد توصلهم لقناعة أنّ الغرب لا يفي بتعهداته تجاهها<sup>9</sup>، لتتصاعد بعدها حدة الجدل حول نوايا إيران النووية، وحاول الغرب التوصل معها لاتفاقات لكنه لم ينجح في ذلك، ليتم تحويل ملف إيران النووي من الوكالة الدولية للطاقة الذرية إلى مجلس الأمن الدولي، وفرض عقوبات أممية على إيران، وتم تجميد أصولها في الخارج.

في الرابع عشر من تموز عام 2015 توصلت إيران مع دول (1+5) وهي الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن بالإضافة إلى ألمانيا، إلى توقيع اتفاقية العمل الشاملة المشتركة أو ما يعرف بالاتفاق النووي مع إيران، وهو اتفاق سعى إلى احتواء الخطر النووي الإيراني، وتجميده لمدة تتراوح بين 10-15 عاماً.

وكان الاتفاق الذي تم توقيعه يهدف إلى:

- التزام إيران بالتوقف عند الحد السلمي لنشاطها النووي بعد تشكل قناة بإمكانية صنع إيران للقنبلة النووية إن أرادت ذلك.
- ألا تتجاوز نسبة تخصيب اليورانيوم 3.67%

<sup>9</sup> <https://cutt.us/FmFNX> الدكتور يسري أبو شادي - لماذا لا تجرؤ إسرائيل على ضرب المنشآت النووية الإيرانية - نشر بتاريخ

11 آذار 2021 - استرجع بتاريخ 6 آذار 2022

- عدم استخدام أجهزة طرد مركزي متطورة في عملية التخصيب
  - بالمقابل يتم رفع العقوبات الاقتصادية تدريجياً عن إيران وتقديم الدعم لبرنامجها السلمي
  - تجميد النشاط النووي الإيراني لمدة تتراوح بين 10 و15 عاماً.
  - عودة إيران إلى مسار الدبلوماسية العالمية.
- تدفقت الأموال على إيران نتيجة تحرير أرصدها المجمدة في البنوك العالمية، وبلغت قيمتها - بحسب رئيس البنك المركزي الإيراني السابق<sup>10</sup> ولي الله سيف - 32,6 مليار دولار، وكان الرئيس الإيراني حسن روحاني حينها، أطلق وعوداً كثيرة للشعب الإيراني عن أنّ الاتفاق مع الغرب سيساهم في انتعاش الاقتصاد الإيراني وحل أزمتها، لكن حدث العكس، حيث أنفقت هذه الأموال على تطوير البرامج العسكرية والجماعات الموالية لإيران في الإقليم، والتي تسعى إيران من خلالها إلى بسط هيمنتها عليه.

حاولت الولايات المتحدة إدراج ملف الصواريخ الباليستية الإيرانية وتدخلاتها الإقليمية ضمن الاتفاق لكنها لم تنجح في إرضاخ الإيرانيين لهذين الشرطين.

وكانت الضرورة حينها تحتم على الأطراف الغربية القبول بما تم التوصل إليه لما سيسبب امتلاك إيران للسلاح النووي من خطورة ويفتح مجالاً لسباق التسلح النووي في المنطقة. لاقى هذا الاتفاق اعتراضاً شديداً من الحزب الجمهوري الأمريكي، ومن حلفاء الولايات المتحدة في المنطقة، وفي مقدمتهم إسرائيل، واعتبروه اتفاقاً واهياً يتضمن الكثير من الثغرات<sup>11</sup> ولا يوقف طموحات إيران النووية، ويأتي في مقدمة هذه الثغرات أحد البنود التي يتضمنها الاتفاق وهو "بند الغروب" والذي ينص على أنّ بعض القيود التقنية المفروضة على النشاط النووي الإيراني تسقط تدريجياً اعتباراً من 2025، ومن بينها حق إيران في استخدام أجهزة طرد مركزية لتخصيب اليورانيوم أكثر تطوراً، والتخوف من وجود برنامج عسكري سري، والذي عزّزه رفض طهران عمليات تفتيش للمواقع العسكرية. من المخاوف الأخرى التي ساورت الأمريكيين المعارضين

<sup>10</sup> ٦ مليار دولار از پول های بلوکه شده آزاد می شود/ ٤,٥ میلیارد دلار سهم دولت- وكالة فارس للأخبار- نشر بتاريخ 17 كانون 2

2016- استرجع بتاريخ 22 شباط 2022

<sup>11</sup> <https://cutt.us/uKOM1> خمسة مآخذ أمريكية على الاتفاق النووي الإيراني - France24- نشر بتاريخ 13 تشرين الأول

2017- استرجع بتاريخ 22 شباط 2022

للاتفاق هو أنه في حال ارتكاب إيران انتهاكات - مهما كان حجمها - فإنّ الاتفاق لا ينص سوى على إعادة فرض العقوبات الاقتصادية على إيران، وحينها تصبح إيران معفية من التزاماتها النووية، يُضاف إلى ذلك عدم وضع قيود على برنامج الصواريخ الإيرانية الباليستية وتدخلات إيران في دول المنطقة وزعزعة الأمن فيها. كل هذه الأسباب مجتمعة، إضافةً إلى الضغوطات الإسرائيلية، سيما بعد سرقة الموساد كميات كبيرة من الوثائق من داخل منشآت نووية إيرانية تكشف من خلالها عن وجود نشاط نووي سري إيراني، دفعت الرئيس الأمريكي دونالد ترامب إلى إعلان الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع إيران في 8 أيار 2018، وفرضه عقوبات تاريخية على إيران، وممارسة سياسة الضغوطات القصوى لإرضاخ إيران على إبرام اتفاق بصيغة جديدة.

أدت هذه السياسة إلى ردود فعل إيرانية، ورفضت إيران بشكل قاطع الرضوخ لقائمة المطالب الأمريكية وكثفت من نشاط الجماعات الموالية لها ضد المصالح الأمريكية وحلفائها، ومارست سياسة "التصعيد الأقصى"، فشنت هجمات على ناقلات للنفط في الخليج العربي وقصفت منشأة أرامكو السعودية، وزادت من رقعة انتشار هذه الجماعات وتمركزها، ولا سيما على الحدود الجنوبية لإسرائيل في سوريا، ودعمتها بالصواريخ الدقيقة الموجهة والطائرات المسيرة، وكررت استهدافها للقواعد الأمريكية في العراق وسوريا، وزادت وتيرة هذه الهجمات بعد اغتيال الرجل الثاني في إيران قاسم سليمانى قرب مطار بغداد في مطلع كانون الثاني 2020.

بالتوازي مع ذلك، خفضت إيران من التزاماتها النووية، وزادت من نسبة تخصيب اليورانيوم بوتيرة متزايدة، إلى أن تجاوزت نسبة التخصيب 60%، وهذا ما اعتبرته الوكالة الدولية للطاقة الذرية بمثابة ناقوس خطر، وحذرت من أنّ إيران على عبة امتلاك القنبلة النووية.

### إسرائيل وسياسة الحرب بين الحروب (حرب الظل)

تدرك إسرائيل جيداً أنّ الخطر الإيراني بات يطوقها من كل صوب، حيث تسعى إيران إلى امتلاك القنبلة النووية، وهي بذلك تشكل تهديداً كبيراً لأمن إسرائيل في ظل حالة العداء القائمة بين الدولتين منذ أكثر من أربعة عقود، كما تدرك أيضاً أنّ المشروع الإيراني في المنطقة يستهدف وجودها بالدرجة الأولى، وهي تعمل على ذلك منذ سنوات، ويتمثل ذلك في إنشاء طوق ناري حول إسرائيل، يتمثل في "الهلال الشيعي" وهو يسمى في العقيدة العسكرية الإيرانية "سياسة

عدم الوصول" أو "العمق الاستراتيجي"<sup>12</sup>، وتسعى إيران من خلاله إلى التواجد في المناطق الحيوية والحساسة لـ "العدو" وتشكيل حالة تهديد دائمة له، والاستفادة من هذا التواجد من خلال وكلائها، لخوض حرب غير متكافئة وغير تقليدية في حال قررت الولايات المتحدة وإسرائيل شن هجوم عسكري على إيران.

تستغل إسرائيل وضع إيران الحرج والضعف التي تواجهها على كافة الأصعدة، وتشن حرباً غير معلنة على التواجد الإيراني في سوريا، وفي الداخل الإيراني.

وبرز ذلك من خلال:

- 1- استهداف المواقع الإيرانية لمنع تحولها إلى قواعد عسكرية تشن هجمات ضدها، وبلغ عدد الهجمات أكثر من 13 500 ضربة جوية وصاروخية خلال عام 2020.
- 2- اختراق الداخل الإيراني استخباراتياً من خلال الموساد، واغتيال العلماء النوويين الإيرانيين وكان آخرهم أب البرنامج النووي الإيراني محسن فخري زاده.
- 3- ضرب المنشآت النووية الإيرانية والمواقع الحيوية في العمق الإيراني.
- 4- التمركز في أذربيجان الحليفة لها والتي تعتبر بمثابة عين استخباراتية على إيران.

#### إدارة بايدن وطريق الدبلوماسية المحفوف بالعقبات مع إيران

تعتمد إدارة الرئيس الأمريكي جو بايدن منذ توليها سدة الحكم، إلى اختيار الطريق الدبلوماسي لحل أزمة الاتفاق النووي مع إيران، الذي بات فارغاً من معناه في الوقت الراهن.

وعلى الرغم من عدم رضا إدارة بايدن على سياسة الرئيس السابق دونالد ترامب في تعاطيه مع المشكلة الإيرانية، وتحمله التبعات الناجمة عن الانسحاب الأحادي من الاتفاق النووي والتصعيد الهائل ضد إيران والذي وُدد التوتر القائم في المنطقة، نتيجة ردود الفعل الإيرانية، إلا أنها تحافظ

<sup>12</sup> Khamenei. عمق استراتيجي جمهورية إسلامي با نگاه به چشم انداز 20 ساله- نشر بتاريخ 24 شباط 2009- استرجع

بتاريخ 24 شباط 2022

<https://cutt.us/fKad8>

<sup>13</sup> <https://cutt.us/eYOml> سليمان الخالدي- رويترز- إسرائيل تصعد حربها الجوية في سوريا على التمدد الإيراني- نشر بتاريخ

22 نيسان 2021- استرجع بتاريخ 7 آذار 2022

على جزء مهم من ميراث ترامب، لا سيما فيما يتعلق بعدم التنازل لإيران عن رفع العقوبات بشكل كامل عنها، وإصرارها على توسيع الاتفاق الموقع عام 2015 مع إدارة أوباما.

ولعلّ السبب الأبرز في عدم رغبة الإدارة الأمريكية الجديدة بالاكْتفاء بإعادة إيران إلى قممها النووي- على الرغم من أنه يأتي في الدرجة الأولى من الخطورة- هو الاختلاف والتطور الخطير الذي باتت تشهده المنطقة، بسبب التصعيد الإيراني.

حيث باتت خطورة البرنامج الصاروخي الإيراني، ونفوذ إيران في المنطقة من خلال وكلائها، وسيطرتها على قرار عدة عواصم عربية، إضافةً إلى ترسانة الطائرات المسيرة التي تضعها في خدمة وكلائها، تشكل قلقاً كبيراً للولايات المتحدة وحلفائها، ما يحتم ضرورة إيجاد مخرج من اللعبة المعقدة التي أوقعت إيران نفسها والدول الأخرى المعنية بالأزمة الإيرانية فيها.

ومن هنا جاءت مبادرة الاتحاد الأوروبي لإحياء الاتفاق النووي، ومحاولة التوصل إلى حلول بين الولايات المتحدة وإيران، من شأنها أن تنزع فتيل الأزمة بينهما.

حيث عقدت أولى جولات مباحثات فيينا بين إيران ومجموعة ما يعرف بدول (1+4) وهي ألمانيا وبريطانيا وفرنسا وروسيا والصين، في 6 نيسان/أبريل 2021، بعد أن رفضت إيران مقترحاً أوروبياً لمشاركة الولايات المتحدة بشكل مباشر في هذه المباحثات.

وعلى الرغم من وصول هذه المباحثات إلى جولتها الثامنة، والتصريحات المتناقضة التي تصدر في كل حين عن مسؤولي الدول المشاركة في المباحثات، إلا أنّ الغموض مل يزال يكتنف هذه المباحثات، وما يزال يصعب التكهّن بالنتيجة التي سيتمخض عنها هذا الاتفاق.

لكن بحسب التسريبات ومتابعات المحللين، يبدو أنّ كلا الطرفين، الأمريكي والإيراني، يحاولان أن يدفع أحدهما الآخر إلى تقديم تنازلات تقوي موقفه.

فالولايات المتحدة تطالب إيران بالعودة إلى التزاماتها النووية التي تعهدت بها عام 2015، بحيث تنزل مستوى تخصيب اليورانيوم إلى النسبة المتفق عليها للأغراض السلمية، وتعود لاستخدام أجهزة الطرد المركزي غير المتطورة في عمليات التخصيب، ولا تعرقل عمليات التفتيش من قبل الوكالة الدولية للطاقة الذرية، مقابل رفع جزء من العقوبات المفروضة على إيران، وهي العقوبات

المتعلقة بالملف النووي فقط. في حين تطالب إيران رفع الولايات المتحدة جميع العقوبات التي فرضتها عليها إدارة ترامب بدون شروط مسبقة، لتعود إيران إلى التزاماتها، ومنها تلك العقوبات المتعلقة بالتدخلات الإيرانية في المنطقة وحقوق الإنسان، وإغلاق ملف تفتيش المنشآت السرية، والعقوبات المصرفية والنفطية وإخراج الحرس الثوري من قائمة الإرهاب.

كما تطالب إيران بوضع آلية للتحقق من رفع كامل العقوبات، إضافةً إلى الشرط الأهم الذي تشترطه إيران وهو ضمان عدم انسحاب الإدارات الأمريكية القادمة من أي اتفاق يتم التوصل إليه، وهو ما تعتبره الولايات المتحدة شرطاً يستحيل تحقيقه، لأنه يتعارض مع القوانين الأمريكية التي تنص على حق أي إدارة جديدة إلغاء مثل هذه الاتفاقيات.

في إطار التمكن من إيجاد ثغرة في جدار الحل للمشكلة النووية الإيرانية، رفضت إيران أيضاً مسودة اتفاقية مؤقتة قدمتها روسيا، وتنص على أن تتوقف إيران عن تخصيص اليورانيوم بنسبة 60% وتسلم مخزونها من اليورانيوم عالي التخصيب إلى روسيا، مقابل حصول إيران على مليارات الدولارات من عائداتها النفطية المجمدة في البنوك العالمية، بما فيها كوريا الجنوبية.<sup>14</sup>

فالإيرانيون باتوا يمارسون نوعاً من الضغط على الأمريكيين لنيل أكبر المكتسبات من خلال هذه المباحثات، ويتجلى ذلك في قول المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الإيرانية سعيد خطيب زاده: "نتفق على كل شيء أو لاشيء"، ويستند الضغط الإيراني إلى تعقد صراعها مع الولايات المتحدة، في ظل امتداد تأثيرات هذا الصراع على الوضع الإقليمي والدولي برمته، ومن هذه الصراعات تعقيد أزمات دول الإقليم التي باتت إيران تمتلك فيها نفوذاً عسكرياً، والتهديدات المستمرة لإسرائيل، وتهديد أمن الخليج والملاحة البحرية في مياهه. فضلاً عن تجلي سياسة توجه إيران نحو الشرق وتوقيعها اتفاقية التعاون الاستراتيجي مع الصين لمدة 25 عام، وسعيها إلى عقد اتفاق مشابه مع روسيا، لترسل بذلك رسائل أنها تمتلك خيارات أخرى في حال عدم التوصل إلى تسوية ترضيها مع الولايات المتحدة والغرب.

لكنّ التحديات كبيرة أمام إيران أيضاً، وهي في وضع لا يسمح لها بالمضي قدماً في سياسة "التصعيد الأقصى" التي انتهجتها رداً على سياسة "العقوبات القصوى" الأمريكية في عهد ترامب،

<sup>14</sup> <https://cutt.us/9kQwQ> الشرق الأوسط- روسيا تقدم اتفاقاً نووياً "مؤقتاً" مع إيران بمعرفة أمريكا- نشر بتاريخ 22 كانون-2

استرجع بتاريخ 26 شباط 2022

وأصبح من الجليّ أنّ الولايات المتحدة ليست بوارد تقديم تنازلات جوهرية لإيران أو المساومة على أمن قواعدها وأمن حلفائها، سيّما وأنّ الإدارة الأمريكية الجديدة نجحت في إحداث تغيير ملموس في مواقف الدول الأوروبية، وباتت تمارس هي الأخرى ضغوطات على إيران للعودة إلى التزاماتها في الاتفاق النووي، بعد أن تلمست الخطورة في سعي إيران إلى زيادة نسبة تخصيص اليورانيوم.

لا يفوتنا هنا أنّ دول الترويكا الأوروبية (فرنسا وبريطانيا وألمانيا) انبرت للوقوف في وجه الولايات المتحدة والوقوف في صف إيران، بعد انسحاب الأولى من الاتفاق النووي بشكل أحادي، حينما تقدم طالبت مجلس الأمن الدولي بإعادة فرض العقوبات الأممية على إيران وتمديد حظر شراء الأسلحة عليها، وكان هناك إجماع من القوى الكبرى في مجلس الأمن أنّ الولايات المتحدة تواجه مشاكل قانونية في تفعيل "آلية الزناد" التي تنص على إعادة فرض العقوبات ما قبل 2015 على إيران، لأنها لم تعد طرفاً في الاتفاق.

إذاً نستخلص من ذلك أنّ الولايات المتحدة بدأت بتحشيد القوى الدولية ضد إيران، وقد نجحت بالفعل بفرض رؤيتها على الدول الأوروبية، بل وحتى على روسيا التي كانت تستند إليها إيران في مجلس الأمن، وقد أصبحت ورقة أوكرانيا بيدها الآن أكثر فعالية من ذي قبل، فإما أن تتخلى روسيا عن إيران أو استخدام نفوذها للضغط عليها من أجل توقيع اتفاق وفق الشروط الأمريكية، أو أنها ستواجه حرب استنزاف طويلة الأمد في أوكرانيا، ومواجهة المصير الذي واجهه الاتحاد السوفييتي سابقاً في أفغانستان، كما أنّ الدول الأوروبية أصبحت اليوم في مواجهة الخطر الروسي، وعليها إعادة ترتيب أوراقها واصطفافها إلى جانب الولايات المتحدة في مسار استراتيجيتها.

وبالتزامن مع هذا التحدي الخطير الذي باتت إيران تواجهه، حددت الولايات المتحدة موعداً نهائياً لإيران للعودة إلى التزاماتها في الاتفاق النووي خلال أيام، أو سيتم إعلان موت الاتفاق النووي<sup>15</sup>، ولا شك أنّ ذلك سيكون له تداعيات كبيرة على إيران في حال استمرت بالتعنّت، وقد يحال ملفها إلى مجلس الأمن الدولي يتم اتخاذ قرارات حاسمة ضدها وبإجماع دولي هذه المرة.

<sup>15</sup> <https://cutt.us/cCieh> إيران إنترناشيال - واشنطن حددت موعداً نهائياً لطهران للرد على مقترحاتها - نشر بتاريخ 26 شباط

2022 - استرجع بتاريخ 28 شباط 2022

وهذا ما أكد عليه المتحدث باسم الخارجية الأمريكية، نيد برايس، في 1 آذار/مارس الجاري،<sup>16</sup> بقوله أنهم "مستعدون للانسحاب من المحادثات النووية، في حال تشددت إيران في موقفها، وأن الولايات المتحدة وحلفاءها وشركاءها سيتبعون خيارات بديلة، إن لم تكن إيران راغبة في المعاملة بحسن نية".

وهذا يقودنا إلى التفكير في أنّ جزءاً كبيراً وفعالاً من موروث الرئيس الأمريكي السابق ترامب ما زال حياً، ويتم العمل به في الإدارة الجديدة، ونتذكر كيف أنّ ترامب قال عقب انسحابه من الاتفاق مع إيران أنه سيرغم إيران لعقد اتفاق أفضل من السابق.

### إيران وسوريا وجذور التحالف بينهما

تمتلك سوريا مكانة بالغة الأهمية في العقيدة العسكرية الإيرانية، فهي تُعتبر حلقة وصل مهمة لها لإكمال مشروعها الذي يمتد من طهران إلى العراق فسوريا ولبنان، وذلك للإحاطة بمناطق النفوذ الأمريكية ومحاصرة إسرائيل، بجيش من الجماعات الموالية لإيران، قادرٍ على إدارة حرب بالوكالة ضد إسرائيل على مساحة جغرافية واسعة.

تعود جذور العلاقات بين سوريا وإيران إلى عام 1979، أي بعد انتصار الثورة الإيرانية، ولم تقف الاختلافات البنيوية بين النظامين عائقاً أمام تشكيل هذا التحالف الاستراتيجي، فالنظام السوري هو نظام علماني ويستند إلى مبادئ حزب البعث الداعم للعروبة، في حين أن النظام الإيراني هو نظام إسلامي متشدد ويناهض العرب.

توفرت أسباب موضوعية لنشوء هذا التحالف، حيث أصبحت إيران حينها في عزلة دولية، وفي العام ذاته وقّعت مصر اتفاقية سلام مع إسرائيل<sup>17</sup>، فخشيت سوريا أيضاً من العزلة بعد فقدان حليفها المصري في مواجهة إسرائيل، لذا كان مثل هذا التحالف ضرورياً لكلا البلدين.

<sup>16</sup> <https://www.iranintl.com/ar/202203012164> إيران انترنشنال- المتحدث باسم الخارجية الأمريكية: سنسحب من

المباحثات النووية إذا تشددت إيران في موقفها- نشر بتاريخ 1 آذار 2022- استرجع في التاريخ نفسه.

<sup>17</sup> <https://cutt.us/T6jtN> الشرق الأوسط- خدام: كنت أول وآخر مسؤول سوري يلتقي الخميني- نشر بتاريخ 5 أيار 2021-

استرجع بتاريخ 1 آذار 2022

تعزز هذا التحالف خلال الحرب الإيرانية-العراقية، حيث وقفت سوريا إلى جانب إيران ضد العراق وذلك لكون العراق خصماً للطرفين، وأيضاً بسبب العداء المشترك لكل من حافظ الأسد والخميني لصادم حسين.

ازداد تعزيز هذا التحالف بعد الحرب الأمريكية على العراق عام 2003 بسبب تخوف البلدين من مصير مشابه، وبعد سقوط نظام صدام حسين أصبحت سوريا ممراً لتهرب الأسلحة والخبراء العسكريين الإيرانيين إلى حزب الله، الذي تأسس في لبنان عام 1982 بالتعاون بين سوريا وإيران، للترويج لفكر الخميني، وليكون بمثابة رأس حربة لعدوهما المشترك إسرائيل.

### الأزمة السورية والتدخل الإيراني

مع خروج المظاهرات في سورية عام 2011، استشعرت إيران بخطر النار التي اندلعت في جزء مهم مما تعتبره "عمقها الاستراتيجي"، فسارعت إلى مساندة القوات النظامية لإخماد المظاهرات والسيطرة عليها.

ومع تسليح الحراك الشعبي المطالب بتغيير النظام، وتشكل فصائل مسلحة معارضة مدعومة من دول خليجية ومنها السعودية، ازداد انخراط إيران في الصراع السوري من خلال الذراع الخارجية للحرس الثوري الإيراني، فيلق القدس، والمليشيات المرتبطة به، وذلك نظراً للقناعة الراسخة لدى إيران أنها مستهدفة في هذا الصراع من قبل هذه الدول التي وجدت في تغيير النظام السوري فرصة لها لمواجهة للتمدد الإيراني في المنطقة.

خسرت إيران في الحرب السورية آلاف العسكريين بينهم قادة كبار في الحرس الثوري، كما أنفقت ما يقارب 30 مليار دولار<sup>18</sup> في سبيل صد المعارضة المسلحة، وتعزيز نفوذها في البلاد وفي المؤسسات الأمنية والعسكرية ومراكز صناعة القرار، وقد نجحت إلى حد كبير في توسيع سيطرتها على الأراضي السورية، ولا سيما في الجنوب السوري ودير الزور والمناطق الوسطى، الأمر الذي يخولها للاستفادة من الورقة السورية في مواجهة خصومها، وبذلك حولت الصراع

<sup>18</sup> <https://cutt.us/QE2DN> راديو فردا- فلاحت بيته: إيران 30 مليار دولار در سورية هزينه كرده است- نشر بتاريخ 10 آذار

2020- استرجع بتاريخ 1 آذار 2022

الداخلي السوري إلى حلقة من صراعتها الإقليمي والدولي، وهذا كان أحد أهم الأسباب في تعقد الأزمة السورية وعدم التوصل إلى إيجاد حلول لها.

بعد تمكن المعارضة السورية المسلحة من استعادة رقعة واسعة من الأراضي السورية، دخلت روسيا على خط الصراع السوري، وذلك بموجب طلب رسمي تقدمت به دمشق إلى موسكو لمساندتها، فتدخل الطيران الروسي لقصف مواقع تنظيم داعش وفصائل المعارضة السورية، مدعومة بالقوات الإيرانية والقوات النظامية السورية على الأرض، ليتم استعادة المدن الواقعة تحت سيطرة المعارضة تبعاً. هذا التدخل جاء بالتنسيق مع الإيرانيين لتحقيق الهدف الإيراني- الروسي المشترك وهو منع النظام السوري من السقوط. وعلى الرغم من التقارير التي أفادت أنّ التدخل الروسي تم بعد إقناع قائد فيلق القدس حينها قاسم سليمانى للرئيس الروسي بوتين في زيارته السرية<sup>19</sup> له في 24 تموز/ يوليو 2015، للتدخل في سوريا وتغيير المعادلة على الأرض.

لكن التسريبات الصوتية التي انتشرت لمحمد جواد ظريف<sup>20</sup> تؤكد أنّ بوتين كان قد قرر الدخول في الحرب السورية قبل زيارة سليمانى له، وهو يرى أنّ الروس هم من جرّوا القوات الإيرانية البرية للتدخل في سوريا على نطاق واسع، في الوقت الذي كان الوجود الإيراني هو من خلال جماعات سورية وعربية وأفغانية ومتطوعين آخرين، بحسب ظريف الذي بيّن أنّ هدف الروس من إقحام إيران في سوريا، كان لتقويض الاتفاق النووي الإيراني مع القوى الغربية.

ومن خلال ذلك قد يتضح لنا أنّ الروس استخدموا الإيرانيين كورقة مزدوجة تتمثل في دعم بقاء النظام السوري، وإدارة صراعهم مع الولايات المتحدة من خلال إفساح المجال للإيرانيين للتمركز في سوريا وتصديع رأس أمريكا بالتوسع الإيراني في المنطقة، الأمر الذي انتهى في نهاية المطاف بانسحاب أمريكا من الاتفاق النووي، وزيادة حدة التوتر بين الطرفين، بعد تصفية

<sup>19</sup> <https://cutt.us/PbiyV> لندن عربي - 21- كتاب إيراني عن اتفاق سليمانى وبوتين السري بموسكو 2015- نشر بتاريخ 14

أيار 2017- استرجع بتاريخ 3 آذار 2022

<sup>20</sup> <https://cutt.us/hhjv4> راديو فردا- فايل صوتي ظريف؛ قاسم سليمانى مانع ديپلماسى بود- نشر بتاريخ 25 نيسان

2021- استرجع بتاريخ 3 آذار 2022

سليمانى والتداعيات التى نتجت عنها من قصف القواعد الأمريكية وتهديد أمن إسرائيل فى المنطقة من قبل وكلاء إيران فى العراق وسوريا، واكتساب الدور الروسى فى سوريا أهمية بالنسبة لإسرائيل، من خلال التنسيق المشترك بينهما فى استهداف المواقع الإيرانية داخل سوريا، وبالتالي سعى إسرائيل لإقناع الولايات المتحدة بأهمية هذا الدور فى درء الخطر الإيرانى عن حدودها، لينتهى ذلك فى النتيجة إلى تشكل نواة التوازن الأمريكى- الروسى فى سوريا، وأخذ الوجود الروسى بعين الاعتبار فى أى قرار متعلق بالأزمة السورية.

### صراع النفوذ بين إيران وروسيا فى سوريا

بعد إلحاق الهزيمة بالمعارضة السورية المسلحة، واستعادة سيطرة النظام السوري على مساحات واسعة من الأراضى السورية، بدأ الصراع الروسى-الإيرانى يطفو على السطح، فكلتا الطرفين يسعى لتحقيق مكاسب اقتصادية للتعويض عن النفقات الهائلة التى أنفقاها خلال الحرب التى خاضها، والاستفادة من مشاريع إعادة الإعمار، وذلك من خلال تعزيز وجودهما.

فعلى الرغم من الحالف التكتيكي الذى نشأ بين الدولتين فى سوريا، لمواجهة التدخل الغربى فيها، إلا أن الصراع على النفوذ، واختلاف وجهة النظر حيال الأزمة السورية، زاد من الشرخ بين الطرفين، ويمكن إيجاز أوجه الخلاف<sup>21</sup> بين الطرفين فى النقاط التالية:

**1-** تسعى روسيا إلى حل مشاكل النظام مع محيطه العربى، الذى هو على درجة من الأهمية بالنسبة لروسيا، إلا أن إيران تعمل على العكس من ذلك، وتجد فى توسيع الهوة بين النظام السوري وحاضنته العربية، وزعزعة الاستقرار فى البلاد والمنطقة بشكل عام، ترسيخاً لوجودها، إذ أنّ لدى إيران قناعة مفادها هو أنّه كلما زاد استمرار أزمات المنطقة دون وجود حلول لها، كلما زادت المكاسب الإقليمية لها.

**2-** خلاف روسيا مع إيران بشأن تنظيم إيران للعديد من الميلشيات فى سوريا التى تساند الجيش النظامى السوري، حيث ينصب تركيز روسيا على الحفاظ على الحكومة السورية المركزية، ودعم الجيش وتسليحه لضمان عدم الوقوع فى حالة من الفوضى يصعب السيطرة عليها،

<sup>21</sup> <http://www.acrseg.org/41728> شيماء محمود عبد الله- المركز العربى للبحوث والدراسات- نشر بتاريخ 19 تشرين الثانى

2022- استرجع بتاريخ 5 آذار 2022

وكان تأسيس الفيلق الخامس من قبل روسيا بمثابة تحجيم لدور الميلشيات الإيرانية في سوريا.

3- تعتبر إيران بقاء الأسد في السلطة هدفاً رئيسياً لها، في حين أن اهتمام روسيا يتركز على بقاء الدولة السورية ومؤسساتها الشرعية والتوصل إلى تسوية سياسية بين النظام والمعارضة وبتوافق مع المجتمع الدولي.

4- عدم رضا إيران عن كل الاتفاقات التي توصلت إليها روسيا مع الأطراف الفاعلة في الأزمة السورية، مثل اتفاقية "وقف الأعمال القتالية" عام 2016 مع الولايات المتحدة، و"خفض التصعيد" التي تم التوصل إليها في مفاوضات "أستانة 4" بين روسيا وتركيا وإيران.

5- العلاقة الروسية-الإسرائيلية في سوريا، والتنسيق بينهما لاستهداف المواقع الإيرانية على الأراضي السورية.

6- الموقف الروسي من القضية الكردية في سوريا، ومحاولات روسيا إيجاد حلول لها مع حكومة دمشق، في الوقت الذي تتخوف فيه إيران من تشكل كيان كردي رسمي في سوريا، وتأثيره على القضية الكردية داخل إيران، بل وحتى قضايا المكونات العرقية الأخرى على أراضيها التي تعيش حالة احتقان كبيرة ضد النظام الإيراني.

7- تخوف روسيا من منافسة إيران لها في سوق الطاقة العالمية، من خلال طموح الأخيرة في الوصول إلى البحر المتوسط لتصدير الغاز الطبيعي إلى العالم.

لكن كل هذه الأسباب الخلافية التي تشكل تحدياً كبيراً للطموحات الروسية في سوريا، لن تدفع روسيا إلى التخلي عن الورقة الإيرانية، وستتوازي لديها محاولات تحجيم النفوذ الإيراني مع المحافظة عليه، ما دامت القوى الغربية، وعلى رأسها الولايات المتحدة حاضرة في الأزمة السورية، وقد نكون أمام تصعيد أكبر ضد النفوذ الإيراني في حال انسحاب هذه القوى من سوريا.

## خاتمة

من مجمل ما سبق، يتضح لنا أن إيران تنظر إلى نفسها كدولة إقليمية مهمة في المنطقة، وهي ترى أنه لا بدّ أن يكون لها الدور الأبرز في قضاياها، وهي تسخر في سبيل ترسيخ هذا الدور جميع أدواتها، بدءاً من تطوير القوة النووية لديها لتشكيل قوة ردع لخصومها، ومشروعها

العسكري العابر للجغرافية الإيرانية، وتطوير برامج الصواريخ والطائرات المسيرة، التي يتم تطويرها في مدن تحت الأرض، وفق ما أكد الحرس الثوري الإيراني مؤخراً، بوجود مدينتين تحت الأرض لهما، ويصل مدى بعض الطائرات فيها إلى 2000 كم.

تلجأ إيران أيضاً إلى القوة الناعمة في الدول التي تريد الهيمنة عليها، وتتمثل بالترويج للثقافة الشيعية والحضارة الإيرانية الإسلامية، وتأسيس حاضنة شعبية شيعية موالية لها من خلال عمليات التغيير الديمغرافي، كما هي الحال عليه في عدة مناطق في سوريا ومنها الغوطة الشرقية وريف حمص، وتوطين عوائل عراقية شيعية<sup>22</sup>، فيها وهذا الطموح في الهيمنة في داخل المنطقة يتصادم بطبيعة الحال مع استراتيجيات الدول الكبرى الساعية لفرض هيمنة شاملة على المنطقة، وبالتالي تُخلق الأزمات وتتصاعد حدة التوترات بينها وبين هذه الدول.

ومع اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية في 24 شباط الفائت، وذلك بالتوازي مع انسداد أفق الحل في مباحثات فيينا، نعتقد أنّ إيران ستكون أمام عدة احتمالات، يمكن إيجازها فيما يلي:

- 1- قد تستفيد الولايات المتحدة من حرب أوكرانيا بفرض شروط على روسيا للتخلي عن دعمها لإيران وعدم الوقوف ضد أي قرار أممي ضدها، وبالتالي تخسر إيران أكبر حليف كانت تعوّل عليه في مجلس الأمن، وتعتقد الآمال في شراء أسلحة متطورة منه في المدى القريب.
- 2- ستكون إيران أكثر عزلة بعد تغيير قواعد اللعبة، والضغط الأمريكي الأكبر اليوم على الدول الأوروبية، بعد حاجة هذه الدول الملحة للحماية الأمريكية من الخطر الروسي؛ إذ لطالما كانت إيران تستقوي بموقف الأوروبيين الذي كانوا يساندون إيران لوقت طويل، بسبب:
  - أ: موقفهم الضمني غير الراضي عن الهيمنة الأمريكية على القرار العالمي.
  - ب: استيائهم من العقوبات الأمريكية التي ألحقت الضرر بمصالح شركاتها في إيران.
  - ج: مخاوفهم من اندلاع حرب من شأنها أن تلحق الضرر بخطوط إمدادات الطاقة في الخليج العربي، وتغرق أراضيها باللاجئين.

3- سيزداد الضغط على إيران في مباحثات فيينا، وستكون إيران أمام الرضوخ للأمر الواقع واللجوء إلى ما تسميه بـ "الليونة البطولية"، وهذا ما أشار إليه المرشد الإيراني علي خامنئي

<sup>22</sup> <https://cutt.us/EyZEO> مصعب المجبل - صحيفة الاستقلال - نشر بتاريخ 26 كانون 1 - استرجع بتاريخ 5 آذار 2022

في إحدى خطبه الأخيرة، حول إمكانية التعامل مع "الأعداء"، وهذا يعني تقديم التنازل للولايات المتحدة والعودة إلى التزاماتها النووية دون تحقيق الشروط التي كانت تفرضها في المباحثات.

4- قد تستفيد إيران أيضاً من التوصل إلى اتفاق في فيينا وإحياء الاتفاق النووي ومناصفة روسيا بتصدير النفط إلى دول العالم بعد رفع العقوبات وانتقال هذه العقوبات إلى روسيا، وهذا بدوره قد يزيد من الهوة بين إيران وروسيا، وبالتالي تحقق الهدف الأمريكي في ضرب هذه العلاقة المتطلعة إلى التعزيز والتطور في إطار المحور الشرقي مع الصين، وقد تنعكس آثار هذا التصعيد بينهما في سوريا، من خلال السير ضد التخوفات الإيرانية في سوريا ومنها زيادة التنسيق مع إسرائيل لاستهداف القواعد الإيرانية، ودفع عجلة المفاوضات بين الإدارة الذاتية والحكومة السورية نحو الأمام.

5- أما في حال إعلان فشل مباحثات فيينا وموت الاتفاق النووي مع إيران، وعدم تمكن الولايات المتحدة من إرضاخ روسيا لمطلبها فيما يتعلق بإيران، وبالتالي الاستمرار في حرب الاستنزاف ضد روسيا في أوكرانيا من خلال إطالة أمد الصراع، قد نكون أمام تعزيز في العلاقات الروسية-الإيرانية، وظهور صفقات بيع أسلحة روسية متطورة لإيران علناً، وبالتالي سيكون من المنطقي أن نتوقع تراجعاً في التنسيق الروسي-الإسرائيلي ضد إيران في سوريا، وبالتالي تزايد الصدام الإسرائيلي-الإيراني، الأمر الذي ربما يدفع إسرائيل لشن ضربات عسكرية ضد إيران، التي من الممكن أن تعلن الانسحاب من اتفاقية حظر انتشار السلاح النووي، وبالتالي العمل للحصول على السلاح النووي دون أية قيود، ويرجح أن يدفع ذلك الولايات المتحدة إلى هذا الصراع، وبالتالي تكون روسيا قد أعادت الكرة إلى الملعب الأمريكي، ونجحت في الإيقاع بين الولايات المتحدة وإيران، وإدخال أمريكا في حرب استنزاف غير تقليدية تدور في مساحة جغرافية واسعة شديدة الحساسية والأهمية بالنسبة للولايات المتحدة وحلفائها، وهذه الحرب إن وقعت ستكون طويلة الأمد، وذات عواقب وخيمة على المنطقة بأسرها، وستدفع إيران ثمناً باهظاً فيها، قد تنتهي بتغيير نظام الجمهورية الإسلامية، ولن يكون تأثيرها قليلاً على الكثير من الدول ولا سيما دول المنطقة، وقد ينتج عن ذلك نشوء نظام عالمي جديد، قائم على أنقاض النظام السابق.

## القمح بين الواقع والمطلوب في مناطق الإدارة الذاتية

د. شوقي محمد

### مقدمة

أصاب الجفاف هذا العام - وللموسم الثاني على التوالي - آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية البعلية، في مناطق شمال وشرق سوريا، مما دفع الكثير من أصحابها، في أحسن الأحوال، إلى التخلي عن أراضيهم لصالح رعاة الأغنام، حتى قبل الوصول إلى موسم الحصاد، وبأسعار لا تعوّض إلا نسبة قليلة من تكاليف زراعتها.

القضية لا تتوقف عند هذا الحد، فالأمر ينذر بموسم شحيح في ظل استمرارية النقص في إمدادات الأسواق العالمية بالقمح، متأثرة بالحرب الروسية الأوكرانية، وهذا سيقود - بلا شك - إلى صعوبات عديدة لتغطية حاجة المنطقة من القمح. كونه المادة الرئيسية في صناعة الخبز، والتي لا تغيب عن موائد الأهالي في جميع المناسبات.

ونتيجة أزمات متلاحقة، بخصوص تأمين مادة الطحين للأفران من مصادر محلية، شهدتها المنطقة - كما باقي المناطق السورية - خلال فترات عديدة سابقة، قامت الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا بخلط دقيق الذرة مع دقيق القمح، لتأمين الاحتياجات المتزايدة للسكان من مادة الخبز، حيث إن شح الموسم الحالي لأسباب مختلفة، وعلى رأسها حالات الجفاف والتصحر، ينذر بصعوبات جمة في تأمين حاجة الأفران من الطحين. ولا جدال حول أن هذا الأمر سيقترن مع ضعف القدرات الشرائية في مناطق الإدارة الذاتية، وسيكون له آثار على واقع الأسواق الاستهلاكية عامة، وعلى إمكانات إعادة زراعة الأراضي للموسم القادم خاصة؛ فمحصول القمح هو أحد المصادر الرئيسية لإيرادات أهالي المنطقة بشكل عام.

### مشكلة الدراسة

تعتمد مناطق الإدارة الذاتية في زراعة القمح - بنسبة عالية - على مياه الأمطار، لذا، فإن شح هطول الأمطار للعام الثاني على التوالي، أودى بالموسم إلى الحدود الدنيا للإنتاج، وذلك من

الأراضي المروية فقط، وهي لا تشكل نسبة عالية من المساحات المزروعة. بالتالي، يمكننا طرح مشكلة الدراسة على شكل السؤالين التاليين:

- في ظل موجة الجفاف، وغياب الخطط الزراعية والتخزينية المتكاملة، هل لدى الإدارة الذاتية خطط بديلة لتأمين حاجة مناطقها من القمح المخصص لطحين الخبز، وإمداد الأفران بها؟

- هل تستطيع الإدارة الذاتية الاستمرار في تقديم دعم الخبز، في ظل ارتفاع أسعار القمح عالمياً، مع أن الواقع يشير إلى حتمية التوجه نحو الاستيراد؟

### أهمية الدراسة وأهدافها

انخفضت مستويات إنتاج القمح في مناطق الإدارة الذاتية خلال الموسمين الماضيين، مقارنة بالأعوام السابقة، وتواجه المنطقة خطر فقدان الكميات اللازمة من القمح المخصص لطحين الخبز.

من هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، لأنها ستسلط الضوء على الواقع الراهن لمحصول القمح والحاجة التخزينية منه، بهدف إمداد الأفران بمادة الطحين، إضافةً إلى قضايا الدعم وما تشكله من إشكاليات عديدة للإدارة الذاتية.

فالهدف من هذه الدراسة؛ وهو التعرف على أهم المشكلات والعوائق التي تتسبب في تراجع المواسم الزراعية، وبالتالي تترك آثاراً باتجاه خلق أزمات تأمين حاجة المنطقة من القمح. إلى جانب التعرف على الفرص والإمكانات المتاحة لتحسين المواسم الزراعية، وأخيراً تقديم مجموعة من المقترحات المطلوبة، للقيام بذلك.

### منهجية الدراسة

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي في تبيان الحالة الراهنة لإنتاج محصول القمح وتقويمها، وذلك خلال تشخيص المشكلات والعوائق، ومناقشة الوضع الحالي لحاجة المنطقة من القمح، وصولاً إلى نتائج تتضمن تقديم العديد من المقترحات، لتحديد الأهداف التي يجب الوصول إليها مستقبلاً.

## محتويات الدراسة:

تمهيد. أولاً -مواسم زراعية متراجعة ومفرزات الأزمة سيده الموقف.

ثانياً -أهم المشكلات والعوائق أمام زراعة القمح الموسمية.

ثالثاً -القمح بين التكلفة وضرورات الدعم.

رابعاً -ضرورات التخزين وعدم التفريط بحبة قمح.

خامساً -قضايا تسويق القمح ومشكلاته. ختاماً: ما هو المطلوب؟

## تمهيد

تشكل قضايا الأمن الغذائي الهاجس الرئيسي لدى حكومات العالم قاطبة، حيث تُعدُّ ركيزة أساسية تحظى بأهمية بالغة، لما تتركه من آثار متعددة على قضايا حقوق الإنسان، وإمكانيات توفير الغذاء الضروري له. وفي ذلك تعمل مختلف الحكومات على تحقيق الأمن الغذائي لمواطنيها -خاصة ما يتعلق منها بالمحاصيل الزراعية الاستراتيجية- بالاعتماد على مواردها المحلية، بعيداً عن المصادر والتدخلات الخارجية قدر المستطاع، وبالتالي الابتعاد عن المخاطر المرافقة للاعتماد على الخارج، سواء على الصعيد الاقتصادي أو السياسي.

وتُعرف مناطق شمال وشرق سوريا، وخاصة منطقة الجزيرة، بنوعية أقماعها العالية الجودة والوفيرة، والتي كان إنتاجها يغطي نسبة كبيرة من احتياجات السوريين قبل بداية الأزمة عام 2011. وبالرغم من الآثار السلبية الكبيرة التي تركتها الأزمة على القطاع الزراعي برمته، ما تزال هذه المنطقة تشكل المصدر الرئيسي للقمح في البلاد، والذي يعتبر المادة الرئيسية لصنع الخبز، إضافة إلى منتجات أخرى كالمعكرونة، والبسكويت، وباقي المعجنات. وهذا يقود - بالدرجة الأولى - إلى ضرورة الاهتمام بالقطاع الزراعي عموماً، وبزراعة وإنتاج القمح خصوصاً، والعمل على توسيع المساحات التخزينية، بهدف تحقيق سياسة الاكتفاء الذاتي للمنطقة، وتوفير الأمن الغذائي لأهلها.

## أولاً-مواسم زراعية متراجعة ومفرزات الأزمة سيده الموقف

يشكل القمح السلعة الأكثر استراتيجية محلياً وعالمياً، والمادة الأكثر حضوراً عند تناول أية قضية تهم الأمن الغذائي في العالم؛ ذلك لأنها المادة الأولية في صناعة الخبز، إضافةً إلى استخدامها في صناعات غذائية أخرى مختلفة.

ولطالما كانت مناطق شمال وشرق سوريا توفر الكميات الأكبر من هذه المادة في سوريا، فقد كان إنتاج هذه المناطق -قبل الأزمة- يؤمن أكثر من 60% من حاجة البلاد من القمح، والتي كانت تقدر بنحو 2.5 مليون طن سنوياً. ولكن الأزمة جاءت على معظم مفاصل القطاعات الاقتصادية الرئيسية في البلاد، ومنها القطاع الزراعي، وألحقت بها أضراراً كبيرة تعلق بالبنية التحتية وتخریب المساحات الزراعية أو احتراقها، إضافة إلى ترك الآلاف من الفلاحين أراضيهم وقراهم، بسبب المواجهات العسكرية التي كانت تحصل بين الأطراف المتصارعة على الأرض.

شهدت سنوات الصراع في سوريا تراجعاً كبيراً في إنتاج القمح، مع ارتفاع كبير في تكاليف إنتاجه، هذا بعد أن كانت سوريا تنتج أكثر من 4 مليون طن سنوياً قبل عام 2011، في مساحة زراعية كانت تقارب 1.6 مليون هكتار، عملاً بسياسة دعم المحاصيل الاستراتيجية، التي حققت الاكتفاء الذاتي في البلاد حتى بداية الأحداث، لتتراجع هذه الكمية إلى مستويات متدنية جداً، حتى بلغت عام 2017 ما يقارب 850 ألف طن فقط، ثم عاود الارتفاع في عام 2018، وبلغ حدود 1.2 مليون طن، بحسب منظمة الفاو للأغذية. وبذلك فقد حصل عجز كبير في الكميات المطلوبة من الأقماع، والتي كانت تبلغ 2.5 مليون طن سنوياً.

في موسم 2019، والذي شهد حرائق كبيرة في مناطق شمال وشرق سوريا، وبلغ عددها أكثر من 70 حريقاً، جاءت على مساحة ما يزيد عن 2500 هكتار، فقد خصصت الإدارة الذاتية حينها مبلغ 200 مليون دولار لشراء القمح، وقدرت الكميات التي استلمتها الإدارة بحدود 900 ألف طن، بالرغم من الصعوبات التسويقية الكبيرة، والمنافسة الشديدة مع الحكومة السورية لاستلام المحصول.

أما في موسم 2021، فقد ضرب الجفاف معظم المساحات المزروعة بالقمح، والتي بلغت في مناطق الإدارة الذاتية حدود الـ300 ألف هكتار، مما أدى إلى خروج نسبة عالية منها من دائرة

الإنتاج، وتراجعاً كبيراً في كميات الإنتاج، حيث بلغت حدود الـ210 آلاف طن فقط، بالإضافة، لتراجع تلك التي تم تسليمها لمراكز التسويق، فقد استلمت المراكز التابعة للإدارة الذاتية، نحو 185 ألف طن فقط من القمح، حيث بلغ الإنتاج أقل من نصف المسجل عام 2020، والذي استلمت الإدارة منه آنذاك ما يقارب من 600 ألف طن. وبذلك يتضح جلياً مدى التراجع الكبير في كميات الإنتاج السنوي من القمح، مع كل ما يترتب على ذلك من آثار على مسألة الأمن الغذائي، وخاصة توفير الخبز للمواطنين.

شهد الموسم الحالي نوعاً من إحجام المزارعين عن زراعة القمح البعلية؛ بسبب التخوف المستمر من تغيرات المناخ، وحالات الجفاف، وقلة الأمطار، التي تعاني منها المنطقة، إلى جانب ارتفاع تكاليف الزراعة، والحصاد، والتسويق. وهذا ما حصل تماماً، فمن قام بالزراعة البعلية خسر موسمه في غالب الأحيان، ولا يتوقع أن يصل إنتاج منطقة الإدارة الذاتية هذا العام لأكثر من 500 ألف طن في أحسن الأحوال، بعد خروج مساحات كبيرة من الأراضي البعلية من دائرة الإنتاج، وبقاء ما يقدر بـ 100 ألف هكتار من الأراضي المروية المزروعة بالقمح.

### ثانياً - أهم المشكلات والعوائق أمام زراعة القمح الموسمية

باتت المواسم الضعيفة الناجمة عن شح الأمطار، التي تشهدها المنطقة، سبباً رئيسياً في زيادة العجز في كميات مادة القمح التي تحتاجها، والتي تقدر بـ 550 ألف طن سنوياً. ولكنها ليست السبب الوحيد، وفي ذلك يمكننا ذكر عدة عوائق تقف أمام تحسن المواسم الزراعية في مناطق الإدارة الذاتية:

- الاعتماد الكبير على مياه الأمطار، وارتفاع نسبة الزراعة البعلية، مقارنة بتلك المروية، وتغيرات المناخ، والجفاف الذي يصيب المنطقة، كل ذلك يدفع بالمزارعين نحو العزوف عن زراعة القمح، والتحول نحو مزروعات أخرى، لا تحتاج إلى كميات كبيرة من الأمطار.
- ضعف الإدارة السليمة للموارد الزراعية وللقطاع الزراعي بشكل عام، وعدم رسم استراتيجيات واضحة المعالم والأهداف للمواسم الزراعية، تتضمن تحديد الاحتياجات الواجب توفيرها لتحقيق تلك الأهداف.

- عدم توفر مستلزمات الإنتاج وارتفاع تكاليفها، من بذور وأسمدة وأدوية زراعية، إضافة إلى أزمات المحروقات المستمرة في القطاع الزراعي، والتي تشكل هاجساً كبيراً لدى المزارعين، وخاصة أولئك الذين يقومون بإرواء محاصيلهم من آبار خاصة؛ تعتمد فيها مضخات المياه على وقود المازوت لتشغيلها.
- غياب المشاريع الزراعية التطويرية، وعدم تقديم الدعم اللازم للتحويل إلى الأساليب الحديثة في الري، في ظل تراجع مستوى منسوب المياه الجوفية في المنطقة، لأسباب مختلفة؛ منها ما يتعلق بالمناخ وقلة الأمطار.
- حجز نسبة كبيرة من مياه نهري دجلة والفرات من قبل الدولة التركية، كواحدة من السياسات التي تحارب بها الإدارة الذاتية في مناطق شمال وشرق سوريا. وذلك، بهدف التأثير على إنتاجية القطاع الزراعي، وخلق عجز في الكميات المطلوبة من المحاصيل الزراعية، وخاصة الاستراتيجية منها. فقد خفضت أنقرة حصة سوريا من مياه نهر الفرات بشكل كبير جداً، ولنحو 200 متر مكعب في الثانية فقط، ضاربة بعرض الحائط جميع الاتفاقيات الدولية الموقعة بشأن ذلك، وخاصة "اتفاقية عام 1987" التي نصّت على أن تكون تلك الحصة 500 متر مكعب في الثانية.
- عدم العمل على استنباط أصناف بذار جديدة من القمح، من قبل الإدارة الذاتية في مراكز البحوث الزراعية، بهدف التحسين الوراثي - كما كان يحدث في السابق - والاكتماء بالتنوعيات الموجودة سابقاً، والتي باتت تخضع لشروط مناخية جديدة قد لا تلائمها، مما تسبب بتراجع إنتاجية حقول القمح.
- مسألة الدعم الزراعي، وخاصة دعم المحروقات، وما تسببه من زيادة في الأعباء المالية للإدارة الذاتية، الأمر الذي يدفع بها إلى التقنين ما أمكن في الكميات التي تقدمها للمزارعين، مما يصيب عمليات ري المزروعات باختناقات مستمرة خلال موسم الري، فينعكس ذلك سلباً على إنتاجية المحصول في نهاية الموسم.
- ترافق نقشي الأمراض في حقول القمح، وخاصة "الفطر الأصفر"، مع قلة الأدوية الزراعية، وعدم توفر الأسمدة، وعدم الاستجابة السريعة للجهات التنفيذية نحوها.
- العجز الواضح في مسألة توفير البذار، بأسعار وجودة مناسبة، وذلك لعدم قيام مؤسسة إكثار البذار التابعة للإدارة الذاتية بتوفير وتأمين الكمية الكافية من البذار اللازمة

للمزارعين، بالكميات والجودة والأسعار المناسبة، الأمر الذي يدفع بهم نحو الاعتماد إما على تخزين جزء من محصول العام الفائت وتحويله لبذار الموسم التالي، أو التوجه نحو الأسواق التجارية؛ والتي تتميز بارتفاع أسعارها وعدم معرفة مقدار جودتها، مما يتسبب بضعف في إنتاجية الموسم اللاحق، وزيادة أعباء تكاليف الإنتاج لدى المزارعين.

- المنافسة التسويقية بين الإدارة الذاتية ومراكز الحكومة السورية في مسألة استلام وشراء الأقماع من المزارعين، والقرارات التي تقيد حرية المزارع في تسليم محصوله، والتي تعرضه غالباً لحالات استغلال من قبل التجار الكبار؛ الذين يملكون حرية حركة أكبر ويشتررون المحصول من أصحابه بأسعار غير مرضية، ولكنها تخفف وتسهل لهم الكثير من مصاعب التسويق وإجراءات تصريف الفواتير وسواها.
- لا تعتمد الإدارة الذاتية في مسألة تأمين البذار على الإجراءات الفعلية العملية واللازمة، لذلك فإن مراكز البحوث الزراعية هي المعنية أصلاً بالمحافظة على الجينات الأصلية للبذار من جهة، وإنتاج أصناف مقاومة للأمراض المنتشرة والملائمة لتغيرات المناخ والحرارة، من جهة ثانية، كما أنها تقوم -وفق خبراء الزراعة- "باعتماد صنف ما من القمح للزراعة، وتعمل على زيادة الكمية المطلوبة من هذا الصنف بزراعته عند فلاحين موثقين".

### ثالثاً - القمح بين التكلفة وضرورات الدعم

لا شك أن توفر الموارد الاقتصادية تعتبر القضية الأهم في القيام بالاستثمارات، والتي تحتاج حينها إلى إدارة سليمة، تستغل تلك الموارد بالشكل الأمثل، وتحافظ عليها من الهدر والضياع. ففي مناطق شمال وشرق سوريا تتوفر الكثير من الإمكانيات، التي تؤهل المنطقة للحصول على المنتجات الزراعية الضرورية منها، والاستراتيجية. ولا جدال حول أنه بإمكان الإدارة الذاتية توفير احتياجات سكانها من السلع والمنتجات الأساسية، وخاصة القمح، وباقي السلع الزراعية.

جغرافياً، تنتشر مساحات زراعية كبيرة في المنطقة، تقدر بحدود الـ 1.2 مليون هكتار. إضافة إلى مرور نهري دجلة والفرات<sup>23</sup> داخل أراضي مناطق شمال وشرق سوريا، الأمر الذي يوفر إمكانية

<sup>23</sup> لا بد من الإشارة إلى أن تركيا تستخدم مياه هذه الأنهار، كحرب خاصة، لتنفيذ أجناس سياسية أو عسكرية ضد مناطق شمال وشرق سوريا.

زيادة المساحات المروية. كل ذلك يترافق مع توفر النفط؛ السلعة الأكثر أهمية في أي نشاط اقتصادي تنموي، يتم من خلالها توفير المحروقات والوقود اللازم لإتمام العملية الزراعية من جهة، وتسويقها من جهة ثانية.

ولعل الفرصة - اليوم - باتت مواتية أكثر من أي وقت مضى من زمن هذا الصراع، فالإدارة الأمريكية استنتجت هذه المناطق من عقوبات "قانون قيصر"، وبالتالي يمكن العمل الآن على تنفيذ مشاريع زراعية، وتطوير الواقع الزراعي في المنطقة، وآليات وأساليب العمل الزراعي، وخاصة ما يتعلق بمشروعات الري الحديث، وإقامة معامل الأسمدة الحديثة، وأخرى لتوفير الأدوية والمبيدات الزراعية.

تشكل مسألة ارتفاع تكاليف الإنتاج الزراعي - وخاصة إنتاج القمح - الهاجس الأهم لدى المزارعين وفلاحي المنطقة، خاصة وأن جُلهم يعتمدون على مياه الأمطار، حيث إن نسبة المساحات المروية لا تتجاوز 25% من مجموع المساحات المزروعة في أحسن الأحوال. وبالتالي تتم المراهنة على ما تجود به السماء، لتعويض تكاليف الإنتاج؛ وهي مسألة تخضع لحالة الجفاف التي تمر بالمنطقة بشكل مباشر، والتي تعاني من تراجع واضح في كميات الهطولات المطرية خلال السنتين الماضيتين.

فقد ارتفعت أسعار مستلزمات الإنتاج أضعافاً عديدة عما كانت عليه سابقاً، إلى جانب شح الإنتاج، بسبب الجفاف والتصحر وقطع مياه الأنهار، وخاصة نهر دجلة؛ إذ إن الكثير من القرى الحدودية كانت تعتمد عليه في إرواء محاصيلها. فقلة البذار المحسنة، وارتفاع أسعارها، وأسعار الأسمدة والمبيدات العشبية العالية - إن وجدت - قد أرهقت كاهل المزارعين بشكل كبير، إضافة إلى ذلك، فإن غلاء الوقود وأسعار قطع الغيار، أدى إلى ارتفاع أسعار الحراثة والبيارة والحصاد والنقل والتحميل؛ كل ذلك تسبب في تراجع إنتاجية العمل الزراعي بشكل عام، وخاصة زراعة القمح، التي تُعتبر النشاط الأهم داخل هذا القطاع الحيوي والهام.

من هنا، يمكننا طرح القضية الهامة الأخرى، وهي كميات ومستويات ونوع الدعم الذي تقدمه سلطات الإدارة الذاتية، والذي يشكل بدوره هاجساً يقض مضاجع الجهات المعنية بها، لأنها

تكلف الخزينة العامة للإدارة الذاتية أموالاً طائلة، وعبئاً مالياً ضخماً، لا يتناسب مع قدراتها وإمكاناتها المالية.

لكن بالرغم من ذلك، وخلال الموسم الحالي، تلقت الأراضي المروية المزروعة بالقمح مثلاً، والتي قدرت بـ 300 ألف هكتار، دعماً من الإدارة الذاتية، حيث قدمت لها المحروقات (المازوت) بأسعار مدعومة، وكمية كبيرة من البذار.

وبكل الأحوال، لا يمكن الحديث عن القطاع الزراعي دون التركيز على ضرورات تقديم الدعم اللازم له؛ لأن هذه المسألة لا تدخل في سياق الحسابات المالية والتجارية فقط، وإنما تتعلق بمسألة توفير الأمن الغذائي، وعدم الاعتماد على الخارج في توفير الخبز للمواطنين، مع كل ما تحمله هذه القضية من مخاطر اقتصادية، واجتماعية، وسياسية.

إن تقديم الدعم بشكل مدروس ومُنهَج، يبدأ من مرحلة تحسين البذور علمياً في مراكز مختصة، وتقديمها للمزارعين بأسعار تشجيعية. إلى جانب ضرورة توفير الأسمدة والمبيدات والمحروقات، وتسهيل عمليات التسويق حتى الانتهاء من استلام المحصول. وبالموازاة، لا بد -أيضاً- من اتباع سياسة تأسيس مشاريع زراعية صغيرة ومتوسطة، تدفع باتجاه تقوية الأسس التنموية في المنطقة، وتحفز المزارعين على التمسك بأراضيهم، والاستمرار في عمليات زراعة المحاصيل الاستراتيجية وخاصة القمح؛ لأن ترك الفلاح وحيداً في مواجهة الخسائر الموسمية المتلاحقة، ستدفعه -بلا شك- نحو التحول عن زراعة القمح، هذا إن لم يترك موضوع الزراعة برمته؛ لأن تكبد الخسائر المتلاحقة، يفوّض إمكاناتهم المادية، ويقلل من قدراتهم في الاستمرار بالزراعة.

#### رابعاً - ضرورات التخزين وعدم التفريط بحبة قمح

عانت المنطقة من موجة جفاف خلال الموسمين الحالي والسابق، أدت بشكل رئيسي إلى تراجع كميات إنتاج القمح. وبالرغم من الدعم الذي تقدمه الإدارة الذاتية، إلى جانب جزء تقدمه الحكومة السورية، للأفران في مناطق شمال وشرق سوريا، إلا أن هذه المناطق -كباقي المناطق السورية- شهدت أزمة مادتي الطحين والخبز عدة مرات، وأدت إلى ارتفاع أسعار "الخبز السياحي" الذي يغطي نسبة عالية جداً من حجم الطلب الكلي في المنطقة. وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى غياب سياسات تخزينية واضحة، تتكامل مع السياسات الزراعية والإنتاجية. وبالتالي، تضع المنطقة في

مواجهة أزمات خطيرة، وخاصة النقص في مادة الخبز؛ التي تشكل العنصر الرئيسي على المائدة السورية، بشكل عام.

وعلى الرغم أن الإدارة الذاتية كانت قد استلمت موسمي 2019 و2020، ما قُدر مجموعته بـ 1.5 مليون طن من الأقماع، فإن المنطقة شهدت أوائل العام التالي (2021)، أزمة طحين واسعة، أدت إلى توقف الكثير من الأفران عن العمل؛ بسبب ارتفاع أسعاره، وقلة الكميات المتوفرة منه في السوق. الأمر الذي دفع بالإدارة الذاتية إلى رفع سعر الخبز السياحي إلى 1200 ل.س، قبل أن ترتفعه مرة أخرى -لاحقاً- إلى 1500 ل.س. كما رفعت سعر الخبز المدعوم من 250 ل.س، إلى 300 ليرة. وتعاني أسواق الإدارة الذاتية الفترة الحالية من شح كبير في مادة الطحين، بعد استفاد نسب عالية من المخازن لديها، مما دفعها إلى خلط طحين القمح بنسبة من طحين الذرة، وصلت إلى 20%، لصناعة الخبز.

هذه المؤشرات وغيرها تفرض علينا -بلا شك- وضع سياسة تخزينية متكاملة، بناءً على دراسات اقتصادية تبيّن احتياجات المنطقة، وكميات المخازن اللازمة، وتحديد المدد التخزينية بما يتماشى مع ضرورات الأمن الغذائي، وتأمين حالة الاكتفاء الذاتي في المنطقة. ذلك، حتى لا تصبح عرضة للابتزازات السياسية الخارجية، خاصة وأننا نستورد الطحين من تركيا عبر إقليم كردستان، فمن المحال أن نسلم قرار أمننا الغذائي للنظام التركي.

#### خامساً -قضايا تسويق القمح ومشكلاته

لا يحتاج المرء إلى الكثير من الجهد ليلحظ المنافسة الشديدة بين مؤسسات الإدارة الذاتية الخاصة باستلام القمح، وبين تلك التابعة للحكومة السورية. ويقدم كلا الطرفين أسعاراً تشجيعية؛ بهدف تحفيز المزارعين على تسليم المحصول لهم. ففي حين حددت الإدارة الذاتية سعر كيلو القمح بـ 2200 ليرة سورية، وهو سعر -حسابياً- يعتبر عالياً مقارنة بالأسعار العالمية، حددت المؤسسة العامة لتجارة وتصنيع الحبوب التابعة للحكومة السورية سعر شراء القمح بـ 2100 ليرة. كما أصدرت الإدارة الذاتية قراراً يقضي بمنع وتجارة القمح بين أقاليم الإدارة الذاتية، ونوّهت فيه إلى فرض غرامات وعقوبات كبيرة على المخالفين.

ما يمكن قوله هنا، إن الكميات المتوقعة إنتاجها وتسليمها من القمح من قبل المزارعين، لن تكون كافية لتغطية احتياجات المنطقة البالغة حدود 550 ألف طن. وكان من الأجدى، وبدلاً من إصدار هكذا قرار، البحث عن حلول اقتصادية متكاملة لمسألة زراعة وإنتاج وتسويق القمح، تحفز المزارعين على الإنتاج وعلى تسليمه لمؤسسات الإدارة الذاتية.

حيث كان بالإمكان -مثلاً- ربط مسألة تقديم المحروقات بأسعار مدعومة، مقابل تعهد المزارعين بتسليم محاصيلهم لشركة التطوير الزراعي التابعة للإدارة الذاتية. إضافةً إلى البحث في مسألة تحسين وتطوير البذار، واستنباط أنواع محسنة، تتلاءم مع الحالة المناخية للمناطق المختلفة. كما وجب ضرورة تحديد نسبة المساحات الزراعية لكل من القمح الطري والقمح القاسي، بحسب حاجة المنطقة؛ لأن الطري يُستخدم في صناعة الخبز، الذي تعاني الإدارة الذاتية من نقص كميات مخازنه.

### ختاماً ما هو المطلوب؟

ما تزال حالة عدم الاستقرار الأمني والسياسي تلقي بظلالها على أية أنشطة اقتصادية، أو إنتاجية. وتشكل مفردات اقتصاديات النزاع، حالة لا يمكن إخفاءها بأية حال. وفي ذلك، فإن عموم الأمن الغذائي في سوريا يتعرض لخطر كبير، ونسبة المحتاجين إلى الغذاء، تتزايد يوماً بعد يوم، لأسباب كثيرة؛ منها ما هو اقتصادي، ومنها ما هو أمني وسياسي.

لذلك يتوجب علينا في مناطق شمال وشرق سوريا -ذات المساحات الزراعية الواسعة والخصبة- التركيز على المسألة الزراعية، وخاصة زراعة القمح، إلى جانب الشعير، كمحاصيل استراتيجية توفر الأمن الغذائي، وتعمل على تحقيق الاكتفاء الذاتي. وفي هذا السياق، يمكننا تقديم بعض المقترحات:

- توجيه القطاع الزراعي والقائمين عليه، بضرورة بناء الخطط المتكاملة، والأهداف التي تحقق الاكتفاء الذاتي في المنطقة، خاصة من منتج القمح.
- العمل على تحديد الأهداف المطلوب تحقيقها، خلال الخمس سنوات القادمة، في حقل زراعة القمح خاصةً، والقطاع الزراعي عموماً. وذلك، لنتمكن من رسم الخطط الزراعية

المتكاملة والمتعلقة بالدورات الزراعية، وتحسين البذور، وتحديد السياسات الاقتصادية؛ التي من خلالها يتم تحقيق تلك الأهداف.

- تحديد حاجة المنطقة من القمح. وفي ذلك يتم تحديد المساحات الواجب زراعتها، موزعة بحسب الحاجة بين نوعي القمح الطري والقاسي، إضافةً إلى تحديد المساحات التخزينية والمُدَد الزمنية الواجب تخزين القمح فيها، بما يتناسب مع حاجة المنطقة، وعدم الاستمرار في استيراده، أو استيراد الطحين من الخارج.

- تقديم الدعم الكافي لمسألة زراعة القمح، بدءاً من البذور والأسمدة، مروراً بالمحروقات والوقود، وانتهاءً بتسهيلات التسويق والاستلام. كون هذا المنتج يرتبط بالأمن الغذائي للشعب، ولا شك أن قلته يتسبب في اضطرابات مختلفة، وتؤثر على الحالة المعيشية للسكان. مع مراعاة القدرات المالية للإدارة الذاتية، وبالتالي تقديم الدعم يجب أن يكون مدروساً بشكل جيد.

- تحسين العمل وتطويره في مركز البحوث العلمية التابع للإدارة الذاتية، وذلك لاستنباط نوعيات البذور المحسنة، وتحديد تلك الملائمة للمناخ الحالي في المنطقة، وذات الإنتاجية العالية، والخالية من الأمراض، هذا من جهة. من جهة ثانية، العمل على اكتشاف نوعيات الأمراض الحقلية، وتحديد الأنواع الملائمة من الأدوية المكافحة لها. وذلك كفيل بإنتاج نوعيات جيدة من الأقماح، وبجودة وإنتاجية عالية.

- العمل مع عدد من الفلاحين وفق عقود زراعية ومزايا تشجيعية معينة، لزراعة البذور المحسنة التي تنتجها مراكز إكثار البزار ضمن أراضيهم، بهدف إنتاج كميات كبيرة منها للمواسم المقبلة.

- تأسيس مشاريع زراعية صغيرة ومتوسطة، ترفع من سوية الإنتاج، وتحقق الاستقرار للفلاحين ولأسرهم، إضافةً إلى تأسيس مشاريع صناعية مرتبطة بالإنتاج الزراعي، أو تعتمد على المنتج الزراعي كمادة أولية رئيسية، بهدف رفع نسبة القيم المضافة في القطاع الزراعي، مما سيحسن من المستوى المعيشي للفلاحين من جهة، ويوفر الأموال اللازمة لإعادة الإنتاج وتطويره من جهة ثانية.

- تسعير القمح بناءً على اعتباره سلعة استراتيجية، وأحد أهم مقومات الأمن الغذائي في المنطقة. وبالتالي الابتعاد عن الحالة المحاسبية والتجارية في التسعير، لما لذلك من آثار على الواقع الإنتاجي من جهة، وعلى الواقع المعيشي من جهة أخرى.
- تنفيذ مشاريع الاعتماد على الري الحديث في إرواء محصول القمح، وإعطائه الأولوية في ذلك، وتقديم جميع المستلزمات والأدوات اللازمة لذلك، بأسعار تشجيعية ومحفزة، أو وفق قروض زراعية بدون فوائد، يرتبط سدادها بالموسم الزراعي ومحصوله. وذلك بهدف رفع مستوى إنتاجية الأرض، وزيادة الكميات المنتجة، وسد حاجة المنطقة من القمح اللازم، خاصة للطحين.
- الاستفادة من إعفاء هذه المناطق من عقوبات "قانون قيصر"؛ من خلال طلب الدعم والتعاون من المؤسسات الزراعية الدولية، وخاصة منظمة "الفاو" الخاصة بالأغذية والزراعة والتابعة للأمم المتحدة، للعمل على إقامة وتنفيذ مشاريع تعافي القطاع الزراعي، وإعادة بنائه على أسس سليمة، تحقق الاكتفاء الذاتي للمنطقة، وتعمل على رفع إنتاجية الأصول الزراعية فيها.

## أثر منصات الإعلام الاجتماعي على المنظومة القيمية للشباب

(بحث تطبيقي على فئة الشباب في مدينة القامشلي)

أ. أوصمان علي

### المقدمة

أصبح الإعلام الاجتماعي مؤشراً لقياس الرأي العام الداخلي والخارجي، وفضاءً حرّاً لنشر الأفكار، كما لم يعد خافياً على أحد، الأثر الكبير الذي يتركه التقدم التقني في ميداني الإعلام والاتصال، وما لازمهما من تحوّل للجمهور من استخدام النوافذ الإعلامية التقليدية ذات الأحجام الكبيرة، والنطاق المحدود زمنياً وجغرافياً في الربط والتواصل، إلى الشاشات الرقمية الصغيرة، التي تعزز لدى المستخدم - إيجاباً أو سلباً - أنماطاً متقلّبة من المفاهيم، والاتجاهات، والمعتقدات، موظفة في هذا المسار أحدث آليات الإقناع، والجذب، والقبول التي غيرت على إثرها طبيعة العملية الاتصالية، ومفاهيم العديد من النظريات الإعلامية المعنية بأصول التنشئة الاجتماعية، ومستقبل العلاقات الانسانية، والأبعاد القيمية لاستخدام الجمهور لمنصات الإعلام الافتراضية.

تلك الشبكة التي تم ابتكارها في الولايات المتحدة غداة نهاية الحرب الباردة، بدأت عملها المذهل، والمثير للخيال، معتمدة أيديولوجية قائمة على الانفتاح، والحرية، والتفاعل النشط بين الأفراد والجماعات والأمم.

كما رفدت «الإنترنت» الإنسانية بفوائد عظيمة، واختصرت قروناً من العمل في المعرفة والتواصل إلى سنوات، لكن بموازاة ذلك نشأت أربعة مخاطر؛ أولها درجة كبيرة من الاعتماد على الشبكة، التي استسلمت لنزوع احتكاري لعدد محدود من الشركات الأميركية، وثانيها قابلية كبيرة للتأثر بأنشطة ضارة وهدّامة على صعيدي الأمن الفردي والخصوصية، وثالثها ممانعة واضحة لجهود التقييد والضبط، أمّا رابعها أنها باتت أداة من أدوات الحرب، والصراع، والتدخلات في شؤون الدول. (1)

من هنا، فإن استثمار المتلقي للشبكات الاجتماعية الإلكترونية أخذ يحمل أبعاداً شديدة التأثير من النواحي السلوكية، والوجدانية، والمعرفية، وباتت بحكم جاذبيتها، وتنوع أدواتها، وشمول محتواها، وسيلة مؤثرة لتعزيز الهيمنة الثقافية، والرقابة المجتمعية؛ أضف إلى ذلك، إحداثها تحولات نوعية في أنماط الحياة المعاشة، وتغيير عادات الجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية.

لذا تحوّل طيف من المتلقين من مرحلة التركيز والاستهلاك السلبي الجامد، وغير الواعي للمعلومة، إلى مرحلة المشاركة والتفاعل، وصنع أجندة خاصة به، تفرض - في أحياناً كثيرة - على وسائل الإعلام خيارات القبول والنشر الآني، سيما في ظرف لم يعد فيه الجمهور العام كتلة متجانسة من الأفراد المشتركين من حيث الخصائص والسمات، ولم تعد ملكاً لأحد، بل أصبح لكل فرد عالمه الخاص، ونمط حياته، الذي في حال تقاعست الوسيلة الإعلامية عن إشباع حاجاته، ومتطلباته، عندها بيده خيار التحول إلى وسيلة بديلة، دون أدنى جهد، أو تكلفة تذكر.

كما لا يمكن هنا التشكيك في الدور الجوهري للإعلام الاجتماعي، فيما يخص تحقيق النمو الاقتصادي، ودعم التواصل، والحريات، والتطوير الذاتي للمستخدمين.

أياً كان حجم التأثيرات، وعمق الارتدادات الناتجة عن تحديثات وسائل الإعلام الرقمي، إلا أنها تُعدّ - يقيناً - الوسيلة الأفضل للوصول إلى الشعوب، والفئات المهمّشة، كي تعبر عن آرائها واهتماماتها، وتعوّم حقوقها ومشكلاتها، فضلاً عن التخلص من احتكار النخب، والشخصيات المؤثرة لمساحات النشر، وخلق نافذة عالمية لتوحيد الخطاب الجامع.

طبعاً لا يمكننا التسليم بهذه الرؤية الإيجابية من منظور قطعي، ففي النهاية يتوقف حجم تأثير الإعلام الرقمي على ما يتمتع به الجمهور - فرداً أو جماعة - من قدرات إدراكية، ووعي، وثقافة، وقيم راسخة، إلى جانب المناخ العام، وهذه العوامل تتحكم في توظيفه السلبي أو الإيجابي للمنصات الرقمية، وبالتحديد نقصد هنا فئة الشباب التي تقود الإعلام الاجتماعي الجديد.

## الجانب المنهجي

### أولاً: مشكلة البحث

تعدّ منصات الإعلام الاجتماعي جزءاً حيوياً، وأساسياً من نمط حياة الأفراد اليومية، ومعياراً مرجعياً لتوجيه تصرفاتهم، وميولهم، واتجاهاتهم، نحو أطر اجتماعية واقتصادية، وأخلاقية مبهمة، وغير واضحة الأهداف، مما جعلها موضع جدل وإثارة، يُبنى على إثرها العديد من النقاشات، حول مدى انعكاس المنصات الرقمية - سلباً أو ايجاباً - على القيم الراسخة في المجتمعات، وما يلزمها من تحسين أصول الإرشاد، والتربية، والتوجيه من جهة، وتأطير، وتنميط العادات، والثقافات، والسلوكيات - سلباً - من جهة أخرى.

خلال بحثنا الحالي، سنسعى إلى تشخيص عادات تعرّض الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي، ودراسة أثرها على المنظومة القيمية للشباب، إلى جانب استنباط النتائج من المتغيرات التي تؤثر في دورة حياة العملية الاتصالية بين المنصات الرقمية الاجتماعية، والمتلقي الشاب، مع الأخذ بعين الاعتبار أن مجتمعاتنا المحلية حديثة العهد بالطفرة الرقمية، لذا كانت الفجوة الاتصالية عميقة التأثير على مناحي الحياة كافة.

عموماً تتمحور مشكلة البحث في الإجابة على تساؤل رئيسي: ما تأثير منصات الإعلام الاجتماعي على المنظومة القيمية للشباب؟

**ثانياً: أهمية البحث** تتبع قيمة البحث بشكل أساسي من نقاط عدة، هي:

1- الدور الفعّال والحيوي لمنصات الإعلام الاجتماعي في التأثير على البنية القيمية للمجتمعات، واستقرار المسؤوليات الاجتماعية لأفرادها، سيما مع تحوّل العالم من وسائل الإعلام التقليدية إلى الوسائل الشعبية والتفاعلية، التي تختزل العالم ضمن شاشة هاتف جوال، أو حاسوب.

2- أهمية دور منصات الإعلام الاجتماعي في خلق أو وأد القدرات الإدراكية، والمعرفية، والثقافية لدى المستخدمين، وترسيخ أنماط فكر نقدية أو سطحية تجاه القضايا.

3- اختيار فئة الشباب التي تُعدّ طاقة ديناميكية لإحداث التغيير الايجابي أو السلبي في المجتمع.

4- للقيم دورٌ رئيسي في تكوين شخصية الفرد، وتوجيهه سلوكياً، ومعرفياً، وعاطفياً، وهي مؤشر نوعي لتطور المجتمعات، أو انحدارها.

5- استخدام الشباب للإنترنت قد يزيد من احتمالية تنامي النزعات الاستهلاكية، ومخاوف التقليد بدلاً من الابتكار، وتبني العزلة، والتطرف، سيما مع غياب الإجراءات التنظيمية، والتوجيهية في الاستثمار السليم، والهادف للإنترنت، لذا يستوجب التحليل بمنهجية علمية.

**ثالثاً: أهداف البحث** يركز البحث على تحقيق جملة من الأهداف، هي:

- 1- التعرف على منصات الإعلام الاجتماعي المفضلة لدى الشباب.
- 2- التعرف على المدة الزمنية التي يقضيها الشباب أمام منصات الإعلام الاجتماعي.
- 3- التعرف على دوافع استخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي.
- 4- التعرف على التأثير الإيجابي أو السلبي للمنصات الاجتماعية على المنظومة القيمية للشباب.

**رابعاً: تساؤلات البحث**

- 1- ما هي منصات الإعلام الاجتماعي المفضلة لدى الشباب؟
- 2- ما هي المدة الزمنية التي يقضيها الشباب أمام منصات الإعلام الاجتماعي؟
- 3- ما هي دوافع استخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي؟
- 4- ما التأثير الإيجابي أو السلبي لمنصات الإعلام الاجتماعي على المنظومة القيمية للشباب؟

**خامساً: منهج البحث**

ينتمي البحث الحالي إلى البحوث الوصفية، التي تقوم على "جمع المعلومات الوافية، والدقيقة عن أي ظاهرة أو مجتمع أو نشاط، وصياغة عدد من النتائج، ممن تقوم على أساسها إصلاحات اجتماعية، وما يرتبط بها من أنشطة أخرى". (2)

سيتم سحب عينة عشوائية من مجتمع البحث الذي يمثله الشباب، ومن المتوقع أن يبلغ عددهم (200) شخصاً من كلا الجنسين، تتراوح أعمارهم/هن ما بين 18-30 عاماً، وتم اختيار هذه الفئة العمرية بالتحديد كونها أكثر الأعمار استخداماً للإنترنت عموماً، ومنصات الإعلام الاجتماعي على وجه الخصوص، أمّا عن أدوات البحث، فسيتم توظيف أداة الاستبانة التي تضم أسئلة (مفتوحة ومغلقة)، إلى جانب إجراء المقابلة البحثية الشخصية مع أصحاب الاختصاص.

#### سادساً: حدود البحث

تمتد الفترة الزمنية لإنجاز البحث بين 5 يناير/كانون الثاني، إلى 15 مارس/آذار من عام 2022، في حين تضم الحدود المكانية مدينة القامشلي السورية، أمّا عن الحدود الموضوعية، فنتناول ما تخلفه منصات الإعلام الاجتماعي من تأثيرات جمّة على المنظومة القيمية للشباب.

#### سابعاً: مفاهيم أساسية

- منصات الإعلام الاجتماعي: مجموعة من التطبيقات المستندة إلى الإنترنت، والتي تعتمد على الأسس الأيديولوجية، والتكنولوجية للويب، وتسمح بإنشاء وتبادل المحتوى، الذي ينشئه المستخدم، كما تسمح، وتسهل التفاعلات بين الأشخاص، والعرض الذاتي. (3)
- المنظومة القيمية: هي مجموعة المعايير، والأحكام، والقوانين، والأفكار، والاتجاهات التي تنمو خلال التنشئة، والتفاعل مع البيئة المحيطة، وتمثل للفرد الإطار المرجعي لممارساته وتعاملاته مع الآخرين. (4)
- القيم السياسية: هي القيم التي يمتلكها كل شخص، والتي تساعد على فهم السياسة بطريقة أو بأخرى، وهو ما يجعل شخصاً معيناً يدعم أيديولوجية معينة، وتضم الحرية، والأمان، والمساواة. (5)
- القيم الاقتصادية: تتمثل في سعي الفرد، ورغبته نحو تكوين ثروة مالية، والرغبة في توفير حياة رغيدة. (6)
- القيم الاجتماعية: هي مجموعة القيم المعترف بها في المجتمع، والتي تحدد السلوك الاجتماعي للأشخاص الذين يشكلون المجتمع، وتهدف إلى تعزيز العلاقات الإنسانية،

وتحقيق توازن الرفاه الاجتماعي من خلال الصفات التي تعتبر إيجابية، مثل الاحترام والعدالة والصدقة وغيرهم. (7)

■ القيم النفسية: وهي مجموعة القيم التي تهئ الشباب لفهم ذاته جيداً، وذلك باعتبار أن فهم الذات ما هو إلا مقدمة لفهم الآخر والتعايش معه، ويعبر عنها بقيم مثل: إثبات الذات – الطموح. (8)

■ القيم الانسانية: تعني القواعد التأسيسية لنظام أخلاقي متكامل، يتم فيه تحديد الطبيعة البشرية الصلبة، من خلال أفكار الإصلاح والأعمال الفنية. (9)

#### ثامناً: متغيرات البحث

المتغير المستقل:

- منصات الإعلام الاجتماعي، وتطبيقاته التفاعلية (فيسبوك، يوتيوب، تويتر، انستجرام..).

المتغير التابع:

- المنظومة القيمية للشباب من (أنماط سلوكية، واتجاهات، ومعتقدات..).

المتغير الوسيط:

- المدة الزمنية التي يقضيها الشباب أمام منصات الإعلام الاجتماعي.
- المناخ المحيط بالمستخدمين.
- المؤهل العلمي للفئة المستخدمة.

#### تاسعاً: مصادر المعلومات

جُمعت المعلومات والبيانات من مصادر أولية وثانوية، ضمت: (دراسات، وأبحاث سابقة، وكتب، وأوراق بحثية، ومقالات، ومواد إخبارية

## الجانب النظري

### أولاً: الثورة الرقمية وظهور منصات الإعلام الاجتماعي

طالما ظل الاتصال والإعلام أبرز نتاجات التكنولوجيا، والثورة التقنية التي أثرت على نحو عميق في حياة البشرية، وأحدثت تحولات جسيمة في شكل وطبيعة العلاقات الانسانية بين الأفراد، والأمم، ووفرت الكثير من الوقت والجهد والتكلفة المادية، للوصول إلى الأهداف المرجوة، وأصلت العديد من العادات، والأنماط السلوكية، والمفاهيم في بنية وهوية المتلقين، أياً كانت انتماءاتهم، وولاءاتهم، وجغرافيتهم، هذا بالطبع ما أنتجته الثورة الرقمية في عالم الإعلام، الذي انتقل بفضل وسائل التواصل، والربط الحديث من نطاق الجماعة إلى الفرد، ومن حدود الدول إلى الكونية في التأثير والغرس الثقافي، وفي النتيجة تراجع دور وسائل الإعلام التقليدية كالتلفاز، والإذاعة، والصحف.

كانت بداية الشبكات الاجتماعية في تسعينيات القرن الماضي، حيث ظهرت شبكات اجتماعية مثل شبكة (sixdegrees.com) التي منحت الأفراد فرصة طرح لمحات عن حياتهم، وإدراج أصدقائهم، وفي عام 1995، صمم "راندي كونرادز" موقع (Classmates.com)، لمساعدة الأصدقاء وزملاء الدراسة، ومع بداية الألفية الثانية، وظهر الجيل الثالث G3 من شبكات الاتصال اللاسلكية، وزيادة القدرة على نقل البيانات، والمحادثات الفورية أو الصور أو مقاطع الفيديو، ذاع صيت تطبيقات وبرامج كانت شهيرة في هذه الفترة (مثل: ياهو ماسنجر، وبريد الهوت ميل)، ومن ثم الموقع الأمريكي My Space.

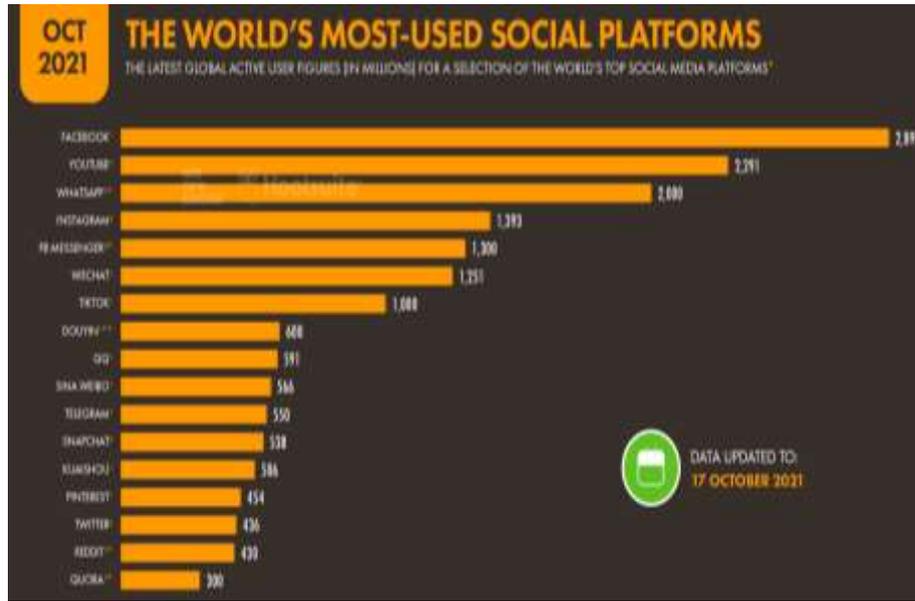
مع بداية الجيل الرابع G4 من شبكات الاتصال اللاسلكية عام 2010، تطورت المكونات المادية والبرمجية للبنية التحتية للإنترنت، وظهر الجيل الثالث من الويب، بما تميز به من ذكاء صناعي، وقدرة على تبويب وتصنيف المعلومات، بالإضافة إلى انتشار استخدام إنترنت الهاتف المحمول على نطاق واسع، فاستطاعت الشبكات الاجتماعية الاستفادة من هذه المميزات، والعمل على تطوير أدوات التواصل بين مستخدميها، وانتشرت تطبيقات التواصل الاجتماعي، التي تعتمد على الهواتف الذكية مثل: (واتساب، ووينشات، ولين، وبوتيم.. وغيرها).

فضلاً عن ظهور تطبيقات ركزت على المحتوى المرئي، خاصة الصور والفيديوهات، مثل: إنستجرام، وسناب شات، وغيرهم، من التطبيقات، التي أصبحت سمة رئيسية خلال المدة الممتدة من 2010 حتى 2020. (10)

ثانياً: حقائق وأرقام عن منصات الإعلام الاجتماعي

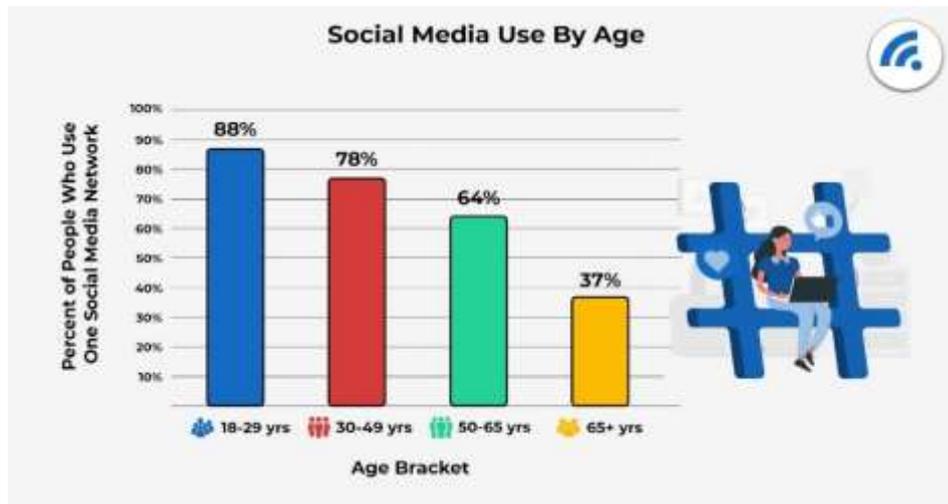
نستعرض في هذه الجزئية من البحث جزءاً من الجداول البيانية والإحصائيات، تتضمن قائمة لأكثر منصات الإعلام الاجتماعي استخداماً، وأرقاماً عن مدة الاستخدام، والفئات العمرية.

(1) منصات الإعلام الاجتماعي الأكثر استخداماً خلال عام 2021



الشكل رقم (1) - المصدر data reportal

(2) الفئات العمرية الأكثر استخداماً لمنصات الإعلام الاجتماعي



الشكل رقم (2) - المصدر : broadband search

### (3) حقائق عن خريطة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي



الشكل رقم (3) - المصدر: موقع الجزيرة نقلاً عن data reportal

### ثالثاً: الشبكات الاجتماعية والمنظومة القيمية للشباب

من اللبانات الأساسية في ازدهار أي مجتمع - بغض النظر عن دينه، وعرقه، ولسانه، ولونه - منظومة القيم والمبادئ العليا الحاكمة لهذا المجتمع. حيث لا يُتصور وجود مجتمع إنساني بدون وجود منظومة من القيم والمثل العليا، التي تحكم وتوجه، وتضبط، وتقيم التصورات، والتصرفات

العامة والخاصة في هذا المجتمع، فتلك المنظومة من القيم والمثل العليا هي التي تميز المجتمع البشري عن المجتمع الحيواني، الذي لا تحركه إلا الغرائز، وبقدر سمو ونقاء وكمال وشمولية تلك المنظومة وسلامة مصادرها، وقوة إيمان الأفراد والجماعات بها - اعتقاداً وتطبيقاً - يرتفع المجتمع ويعلو على غيره من المجتمعات، ويحقق ميزة التفوق الحضاري، والأمني ويتأهل لقيادة البشرية. (11)

في الحقيقة، أثرت الثورة التكنولوجية وتطبيقاتها المختلفة على منظومة القيم بجميع أنماطها، مثل منظومة القيم الاجتماعية، والدينية، والذاتية للفرد، أي ما يتعلق برؤية الفرد لذاته، ومجتمعه، وتتميز القيم بعدة خصائص، لعل أهمها أنها، "غير مرتبطة بزمن محدد، حيث أنها عابرة للماضي والحاضر، والمستقبل، وتختص القيم بالبشر دون غيرهم، وأن تلك القيم نسبية وليست مطلقة، معيارية تمثل معياراً لإصدار الأحكام وتفسير السلوك، وتتميز القيم بأنها تحمل صوراً متضادة ومتعارضة، ومكتسبة عبر مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وتتميز أيضاً بأنها ذاتية، ويختلف وزنها من فرد إلى آخر، وهو ما كان له انعكاس أمني، واقتصادي، وثقافي، وسياسي واجتماعي على المجتمع بكل فئاته. وتلعب القيم عدة وظائف لعل أهمها، أولاً: تشكيل شخصية الفرد وتحديد أهدافها، والقدرة على التكيف، والتوافق، وتحسين القدرة على الإدراك، وثانياً: المحافظة على تماسك المجتمع، وتحديد أهدافه، ومواجهة المتغيرات التي تحدث، أمّا ثالثاً: فيعزز القدرة على التعبير عن الهوية والمصلحة الوطنية. (12)

وإذا كانت مرحلة الشباب تفتقر إلى الاتزان والاستقرار، وتتطبع بالاندفاع والحماس الزائد، فإن الشباب -إذا أبقى على التناقضات بين القيم والممارسة في الواقع- ستتعمق الهوية بينه وبين قيمه الدينية والوطنية، وسيصبح على كامل الاستعداد للانقياد لكل السلوكيات التي تقع تحت الحواس، لدرجة التماهي وذوبان الشخصية. (13)

#### رابعاً: نظريات التأثير الإعلامي

تُعدّ نظريات الاتصال، واحدة من الأدوات العلمية الدقيقة لتحديد حجم، ومستوى تأثير وسائل الإعلام على الجمهور في حقول: السياسة، والاقتصاد، والمجتمع، والتعليم، والتربية..، كما تقيس درجة التفاعل الناتج عن العملية الاتصالية التي تضم عناصر عدة: (المرسل، والرسالة،

والوسيلة، والمتلقي، ورجع الصدى)، وهي تختلف في مضمونها، حسب نوع التأثير المباشر أو غير المباشر لوسائل الاتصال.

سنشير باختصار إلى بعض النظريات التقليدية، كنظرية وضع الأجندة، إلى جانب نظريات أخرى جديدة ظهرت مع بروز دور الاتصال الرقمي، ومن هذه النظريات (التلاقي أو الدمج، والشبكات الاجتماعية، والمجال العام)، وستتم الاستفادة منها كخلفيات علمية أثناء تحليل البيانات الإحصائية.

### 1) نظرية وضع الأجندة Agenda-Setting Theory:

تسمى أيضاً نظرية ترتيب الأولويات (Salience Transfer)، تم إعلان هذه النظرية رسمياً من قبل "ماكومبز"، و"شو" في دراسة قاما بها عام 1968، وتبحث في تأثير وسائل الإعلام على الجماهير، التي تتعرض لتلك الوسائل. ويفترض هذا المدخل أن وسائل الإعلام لا تستطيع أن تقدم جميع الموضوعات والقضايا التي تحدث في المجتمع، وإنما يتم اختيار بعض الموضوعات التي يتم التركيز عليها بشكل أكبر، والتحكم في طبيعتها، ومحتواها، هذه الموضوعات تثير اهتمام الجمهور، وتحثهم على التفكير فيها، وعليه ستمثل هذه الموضوعات أهمية نسبية أكبر لدى الجمهور من الموضوعات التي لا تقوم وسائل الإعلام بطرحها. (14)

### 2) نظرية التلاقي أو الدمج Convergence Theory:

تعتبر هذه النظرية من بين أهم الأطر المستحدثة التي تسعى لتقديم فهم كامل، ومخطط للشبكات الاجتماعية، وهي عبارة عن خلاصة لأهم إسهامات "هنري جينكنز"، و"جون بافليك"، و"فريدريك كيتلر" الذين يعدّون حالياً من أبرز منظري هذه الظاهرة، ويدور محتوى النظرية حول جملة من الافتراضات الرئيسية، أهمها أن هناك تغييرات جسيمة تحدثها تكنولوجيا الإعلام الجديدة على طبيعة التواصل البشري من حيث طرق التواصل، وكافة أوجه الحياة. (15)

ويقدم "جينكنز" المفاهيم الرئيسية للنظرية، وهي ثلاث:

- التلاقي أو الدمج.

- الذكاء الجماعي.

- ثقافة المشاركة.

والمقصود بالتلاقي هو التدفق المتداخل لمختلف أنواع المحتويات، والنصوص، والفيديوهات، والصور.. ومختلف أنشطة الجماهير، التي أصبحت لها القدرة على إنتاج وانتقاء المحتويات داخل الشبكات الاجتماعية المختلفة. (16)

### (3) نظرية الشبكات الاجتماعية Social Networks Theory:

طُرحت هذه النظرية لأول مرة عام 1800م، من قبل "دافيد اميل دوركايم"، و"فردناند تونيس"، حيث ناقشوا لأول مرة وجود الفرد ككائن مستقل، أم كجزء ضمن شبكة المجتمع، وأن المجتمع الحديث يتكون من كتلة عضوية واحدة "Organic Solidarity" والتي تنشأ نتيجة العلاقة والروابط بين أفراد مختلفين في التصرف والعادات، ولكن تجمعهم شبكة المجتمع الواحد، الذي يتعايشون فيه.

تطورت هذه النظرية بإضافة البعد الرياضي والتكنولوجي لها منذ نهاية سبعينيات القرن الماضي، حتى عصر الانترنت، وقد نجحت مواقع التواصل الاجتماعي بفعل ما عجز عنه أي وسيلة أخرى، في ترجمة فرضية هذه النظرية على أرض الواقع: وهو جمع الناس على اختلاف لغاتهم وثقافتهم وعقائدهم، في بوتقة التواصل عبر الشبكات الاجتماعية، وصهرتهم، مشكّلة بذلك أكبر مجتمع إلكتروني، فلم يحدث أن استطاع شخص أو حدث تجميع الناس في فضاء مثلما فعلت مواقع التواصل، ومن هنا تتبع القوة الحقيقية لهذه التقنية. (17)

### (4) نظرية المجال العام Public Domain Theory:

تشرح النظرية كيف أن وسائل الإعلام نقلت النقاش من المجال العام إلى المجال الخاص، بحيث تتم فيه صناعة منتج إعلامي قادر على إختراق العقول، وإيهامها وإبعادها عن الحقائق، كما تؤكد أن وسائل الإعلام الإلكتروني تخلق حالة من الجدل بين الجمهور، تتيح تأثيراً كبيراً في القضايا العامة، وتؤثر على النخبة العامة، والحاكمة، والجمهور، مما يعني أن ثقافة الانترنت أصبحت لها جماهيرها وشعبيتها، وهي في ازدياد مطرد على العكس من قراء الصحف والكتب، لاعتبارات عدة، إذ تشير الاحصائيات التي جرت مؤخراً بأن أكثر من 80% من فئة الشباب

يفضلون التعامل مع الإعلام الإلكتروني، لأنه يتيح لهم إمكانيات تفاعلية عديدة، مثل الدردشة، والتعليق بسرعة، والتزامنية الشديدة، مما يؤكد بأنه المستقبل للإعلام الإلكتروني.

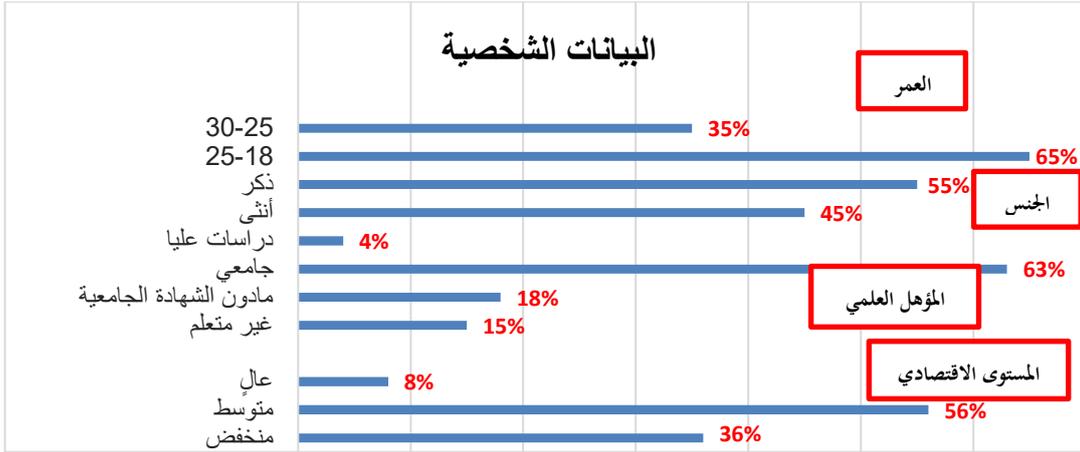
يؤكد "هابرماس" - مطور النظرية - على الدور الكبير لوسائل الاعلام في المجال العام، إذ تقوم وسائل الإعلام (كمجالات عامة) بدور مزدوج، فهي تقوم بآتاحة الفرصة للأفراد للتعبير عن الرأي والحوار، لكنها أيضاً تنقل رأي السلطة، وتوجهاتها للمواطنين. (18)

## الجانب الميداني: النتائج العامة للبحث الميداني

سنستعرض في هذا الجزء من البحث، البيانات، والمعلومات المستخلصة من الاستبيانات، الموزعة على الشباب، مدعومة بالرسوم البيانية، والتفسيرات الوصفية.

### خصائص عينة البحث

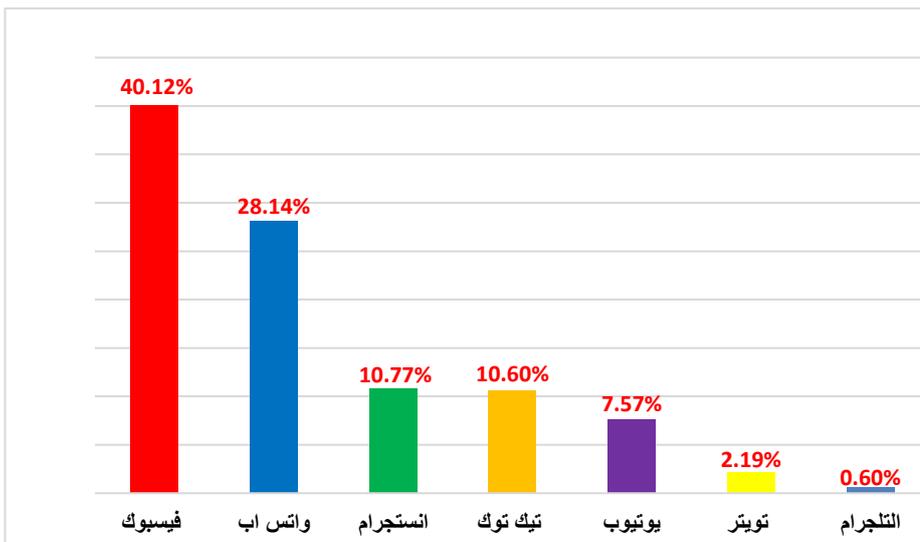
البيانات الشخصية	
النسبة	العمر
%65	25-18
%35	30-25
النسبة	الجنس
%45	أنثى
%55	ذكر
النسبة	المؤهل العلمي
%15	غير متعلم
%18	ما دون الشهادة الجامعية
%63	جامعي
%4	دراسات عليا
النسبة	المستوى الاقتصادي
%36	منخفض
%56	متوسط
%8	عالٍ



### 1) منصات الإعلام الاجتماعي المفضلة لدى الشباب

40.12%	فيسبوك
28.14%	واتس اب
10.77%	انستجرام
10.60%	تيك توك
7.57%	يوتيوب
2.19%	تويتر
0.60%	التلجرام

الجدول رقم (1)



الرسم البياني رقم (1)

بناءً على نتائج الجدول رقم (1)، يتضح أن أهم التطبيقات التي يستخدمها الشباب تأخذ الترتيب التالي: فيسبوك في الصدارة بنسبة 40.12%، ومن ثم واتس آب 28.14%، وانستجرام 10.77%، وتيك توك 10.60%، يليهم يوتيوب 7.57%، وتويتر 2.19%، وأخيراً التلجرام بنسبة 0.60%.

من المعلوم، أن لكل مرحلة تطبيقاتها الإلكترونية، وترجع الفيسبوك على عرش هذه القائمة أمر طبيعي، نظراً للجماهيرية التي قد اكتسبها في الشرق الأوسط بعد "ثورات الربيع العربي"، وما ميّزه أكثر ما يعرضه من عوامل جذب بصري وتفاعلية تستقطب الشباب الشغوفين بالنشر، ومتابعة الصفحات، التي تثير اهتماماتهم وتشبع حاجاتهم، عوضاً عن اكتساب أصدقاء جدد وزملاء عمل، والاستفادة سلباً أو إيجاباً من البصريات، والمعلومات المتدفقة، في سياق إتصالي يتسم بالتزامنية.

أما الواتس آب، فبعد من أهم تطبيقات الدردشة المنتشرة في المنطقة، بعد أن كانت الكفة ترجح لصالح سكايب، وياهو، قبل عقد من الآن، وما يمنح هذا التطبيق الأهمية، تحقيق الأمن التام للمستخدم من خلال تشفير المحادثات الشخصية والجماعية، والتمتع بالمراسلات البسيطة والموثوقة، فضلاً عن عدم حاجتها إلى تدوين بيانات شخصية إضافية عن العمر، أو الجنس، أو البريد الإلكتروني، كما الفيسبوك، إلى جانب مجانية الاتصال، وغرف المشاركة المرئية، التي توفر على المستخدم المحلي تكلفة الاتصالات الهاتفية، خاصة الدولية منها.

في المقابل تصدّر الانستجرام في الآونة الأخيرة اهتمامات الجيل اليافع والشاب، لنشر يومياته، بعروض بصرية جذابة ومغرية لزوار التطبيق، بل أصبحت وجهة الكثيرين للدخول في عالم الشهرة والنجومية، والتجارة الرابحة، مستثمرين تطبيق الفلاتر، والبيث الحي، واستخدام ميزة بوميرانغ - Boomerang التصوير المتعاقب، حيث تتيح تسجيل الفيديوهات التي تصل مدتها الزمنية إلى حدود الثانيتين، ويتم تشغيلها، وعرضها بشكل بطيء loop لمدة 6 ثوانٍ متتابعة، مع إمكانية إعداد استطلاعات للرأي، وعرضها على جمهورهم، عوضاً عن استخدام تطبيق Hyperlapse لتسريع الفيديو، وإعداد الفيديوهات الاحترافية، ومشاركة القصص والصور، والروابط الإلكترونية على مختلف منصات الإعلام الاجتماعي.

بينما أخذ التيك توك أيضاً ينتشر بسرعة كبيرة في الوسط الشبابي، الذي يخصص جزءاً كبيراً من أوقاته للترفيه عن نفسه، والابتعاد عن ظروف الحرب، التي تحيط بهم منذ عقد من الزمن، إلى جانب تفضيل شريحة واسعة منهم متابعة ما يروج له المشاهير والمؤثرون من فيديوهات مُدَّها بين دقيقة إلى ثلاثة دقائق، لكنها لا تخلو في أحياناً كثيرة من مشاهد العري "الخادشة للحياء العام، والمنافية للقيم الأخلاقية والمجتمعية في منطقة متحفظة على عرض هكذا محتوى"، ومن أخطر المشاهد المعروضة أيضاً مشاهد الانتحار، التي يضع فيها بعض الأشخاص نهاية لحياتهم بطريقة جنونية وصادمة، ويمكن اعتبارها إحدى أسباب انتشار ظاهرة الانتحار - بشكل غير مسبوق - بين الشباب على مستوى مناطق الإدارة الذاتية، وباقي الجغرافية السورية، حيث تتشكل هنا هوة وفجوة بين المتداول افتراضياً، والواقع الأصلي المعاش، الذي تتصف فيه الأوضاع الاقتصادية والأمنية والنفسية بالتدهور، مما لا يتيح للجيل الشاب بلوغ أهدافه، والتفكير بمستقبل آمن ومستدام، ليغرق في عالم ديستوبي مخالف ليوتوبيا المحتوى الافتراضي (الانسلاخ من الذات).

كما أن هنالك شريحة من الشباب تفضل استخدام اليوتيوب، لكسب المعارف والاستمتاع بمشاهدة الفيديوهات على اختلاف أحجامها، أو حتى لأغراض تجارية تؤمنها لهم الشركة الأم، بناءً على عدد المشتركين في قنواتهم الشخصية، ومعدل المشاهدات، والوصول.

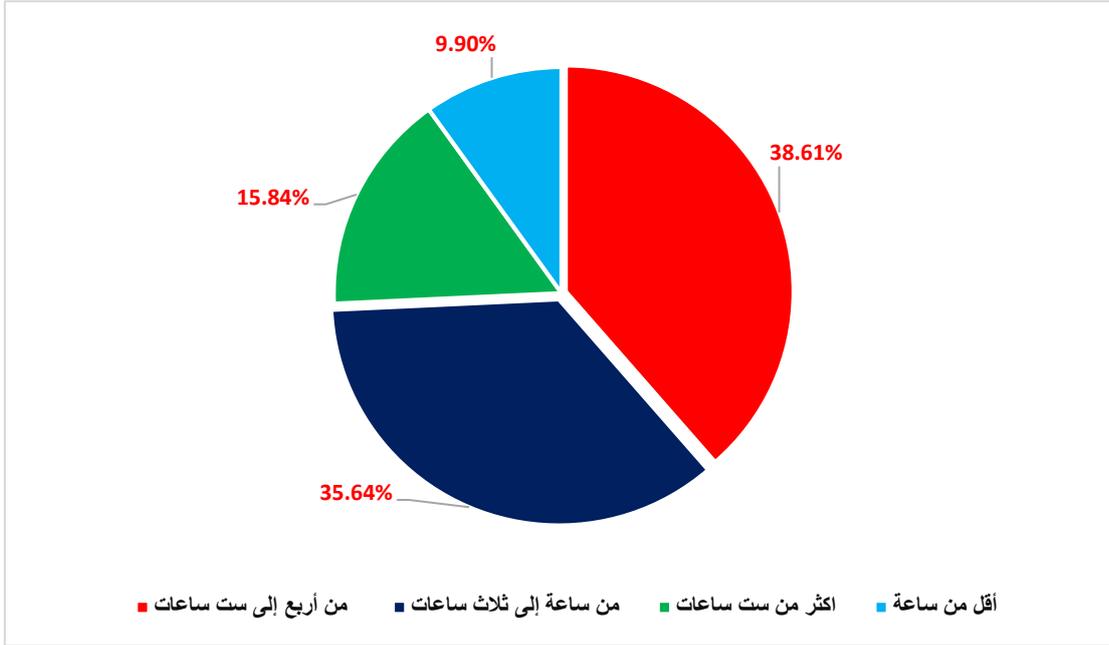
في حين يُستخدم تويتر (شبكة التدوينات الصغيرة) على نطاق ضيق، رغم جماهيرية التغريدات، وسلاسة النصوص التي تعمم على حساباتها، والمدعومة بوسوم إشارية، إلا أنها تنشط في وسط النخبة، والإعلاميين، وما يماثلهم، ممن يملكون غالباً أرقاماً دولية لتسجيل الحساب.

على الجهة الأخرى، وبينما يتجه معظم الأفراد لاستخدام الواتس أب للاتصال، فإن حظوظ استخدام التلجرام ينخفض رغم ميزاته العديدة، سيما ميزة إرسال فيديوهات بأحجام كبيرة، وتخصيص مجموعات تدريبية فعّالة من حيث طريق العرض، والاسترسال في التواصل المهني.

## (2) عدد ساعات الاستخدام اليومي لمنصات الإعلام الاجتماعي

38.61%	من أربع إلى ست ساعات
35.64%	من ساعة إلى ثلاث ساعات
15.84%	أكثر من ست ساعات
9.90%	أقل من ساعة

الجدول رقم (2)



الرسم البياني رقم (2)

تشير بيانات الجدول رقم (2)، أن النسبة الأعلى من عينة البحث تستخدم منصات الإعلام الاجتماعي لمدة زمنية تتراوح من أربع إلى ست ساعات بمعدل (38.61%)، في حين أن (35.64%) اختاروا من ساعة إلى ست ساعات، و(15.84%) من العينة يداومون على إدمان التطبيقات الإلكترونية دون تحديد معدل طول ساعات التصفح، ومعظم هؤلاء من العاطلين عن العمل أو ممن يعملون في الوسائل الإعلامية (وفقاً للبيانات الشخصية للمستبنيين/ات)، أما عن الفئة التي تخصص حيزاً زمنياً ضعيفاً من حياتها اليومية لمنصات الإعلام الاجتماعي، فتقدر فقط ب(9.90%) من عينة البحث، وغالبيتهم ممن يعانون ظروفاً معيشية متدهورة، لا تعينهم لسد نفقات استخدام شبكة الإنترنت.

تجدر الإشارة هنا، إلى أنه ورغم ما تتمتع به منصات الإعلام الاجتماعي من ميزات إيجابية، إلا أنه وفي حال الأدمان على استخدامها دون ترشيد أو وعي لمدى الضرر الذي قد يلحقه، سيخلف تغييرات جسيمة، على طبيعة التواصل البشري، ولها آثاراً سلبية على الأصعدة كافة، حيث سيتحول الاستخدام المفرط إلى سلوك قهري، ينسحب على مناحي الحياة، وسوية العلاقات الاجتماعية، وسلامتي الصحة العقلية والنفسية، بل حتى على مستوى فهم الواقع الأصلي، الذي قد يصطدم فيه المستخدم بزيف المشاهد الخيالية المصطنعة؛ وبالتالي، من شأن ذلك أن يشعر الفرد بحالة من الاغتراب النفسي والثقافي.

### (3) دوافع استخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي

36.77%	اكتساب المعارف، والحصول على المعلومات
19.35%	التسلية والترفيه
16.13%	التواصل الاجتماعي
15.48%	استيعاب الواقع
6.45%	التخلص من التوتر والعزلة
5.81%	كسر الروتين اليومي

الجدول رقم (3)



الرسم البياني رقم (3)

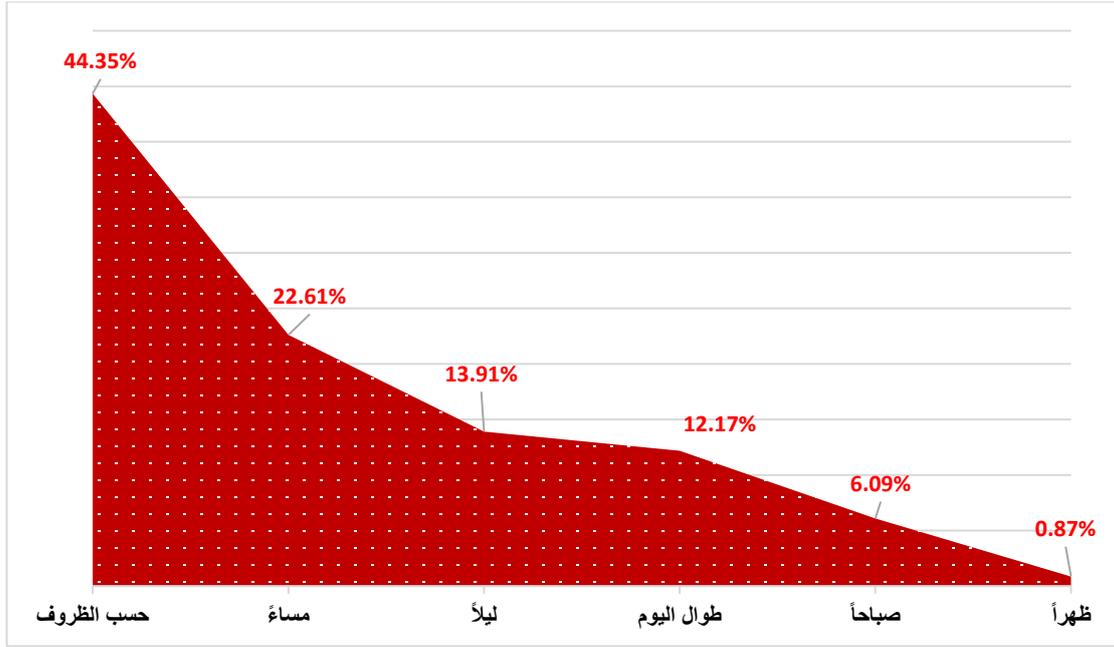
يتضح من خلال الجدول رقم (3) أن حاجة الشباب إلى اكتساب المعارف والحصول على المعلومات، والتشبع بمهارات إضافية في مجالات مختلفة، تنصدر قائمة دوافع استخدامهم لمنصات الإعلام الاجتماعي، حيث بلغ المعدل (36.77%)، وهذه النسبة قد تزداد أو تنخفض، وفقاً لسير الأحداث والمجريات، التي تمر بها المنطقة، سيما أنها قد تتحول مع الحشد الافتراضي للوقائع إلى قضايا رأي عام تثار بقوة.

ثم تأتي دوافع التسلية والترفيه، ورغبة المستخدم في التخلص من ضغوطات الحياة اليومية، وتحقيق الاسترخاء بنسبة (19.35%)، بينما (16.13%) من العينة المبحوثة تسعى للتواصل الاجتماعي مع المحيط العام كدوافع طقوسية، سيما الأصدقاء والأقارب وزملاء العمل، يليها رغبة المستخدمين في فهم واستيعاب الواقع، وإزالة الغموض تجاه الأحداث الطارئة والرائجة بمعدل (15.48%)، ومن ثم تأتي حاجة المستخدمين للتخلص من التوتر والعزلة، وكسر رتابة الروتين اليومي بنسبتي (6.45%)، و(5.81%)، وهنا يجدون في الفضاء الإلكتروني ملاذاً آمناً من تراكم المشكلات، ونافذة للتعرف، وتأمين الراحة.

#### 4) الأوقات المفضلة لاستخدام الشباب منصات الإعلام الاجتماعي يومياً

حسب الظروف	%44.35
مساءً	%22.61
ليلاً	%13.91
طوال اليوم	%12.17
صباحاً	%6.09
ظهراً	%0.87

الجدول رقم (4)



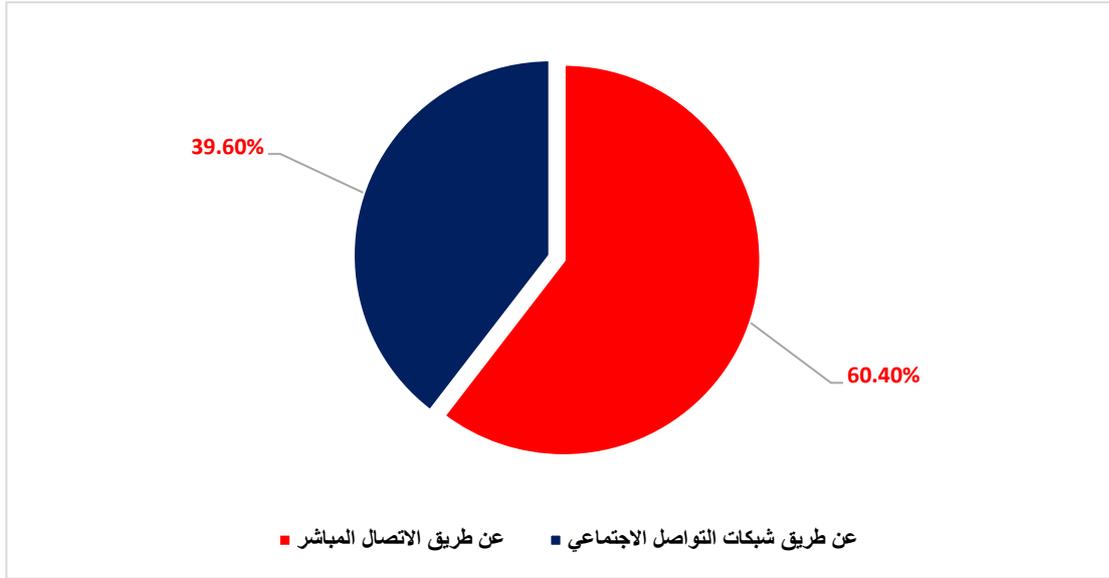
الرسم البياني رقم (4)

تبين نتائج الجدول رقم (4) تفضيل الشباب تصفح منصات الإعلام الاجتماعي حسب الظروف التي يجدونها الأنسب بالنسبة لهم، وتقدر بـ (44.35%)، في حين أن (22.61%) من العينة البحثية تستخدم المنصات الإلكترونية مساءً، و(13.91%) ليلاً، أي خارج ساعات العمل الصباحية والنهارية، بينما يدمن آخرون على تصفح منصات الإعلام الاجتماعي بنسبة (12.17%) طوال اليوم، دون الالتزام بفترات زمنية معينة أو قواعد إرشادية، وهذا ما له آثار نفسية، وصحية، ودراسية سلبية على المتصفح، ناهيك عن إضعاف الانتاجية، وسيادة الخمول والكسل عموماً، أمّا عن الأفراد الذين يفضلون استخدام الإنترنت ضمن أوقات الذروة، والنشاط (صباحاً، وظهراً)، فيقدرون بـ(6.09%)، و(0.87%).

#### (5) الطرق التي يفضلها الشباب للتحدث مع الناس

عن طريق الاتصال المباشر	60.40%
عن طريق منصات الإعلام الاجتماعي	39.60%

الجدول رقم (5)



الرسم البياني رقم (5)

يوضح الجدول رقم (5) أن النسبة متقاربة -إلى حد ما- بين من يفضل التواصل مع الناس عن طريق الاتصال المباشر (وجهاً لوجه) (60.40%)، ومن يجد في منصات الإعلام الاجتماعي الخيار الأمثل للتواصل مع المحيط العام بمعدل (39.60%).

غالباً ما يؤدي تصاعد الرغبة لدى المستخدم في توظيف الفضاء الإلكتروني كبديل للتواصل البشري، يؤدي إلى ارتدادات سلبية في البنية القيمية، تُفقد على إثرها العلاقات الاجتماعية سمات التفاعل، والاستقلالية الشخصية، وتؤثر حتى على نمط التنشئة الاجتماعية التي تزود الأفراد بمنظومة غنية من القيم، والمعايير، والمعتقدات المساهمة في تشكيل الأنماط الأساسية في الثقافة، والأدوار والأعراف التي يتطلبها المجتمع، وفقاً ما تثبته "نظرية التعلم الاجتماعي".

كما تنجح منصات الإعلام الجديد - إلى حد بعيد - في اختيار زوايا عاطفية منتقاة بعناية، من مواضيع تثير غرائز الجمهور، باعتبار أن أقرب سبيل للهيمنة على عقل المستخدم هي الوصول إلى قلبه.

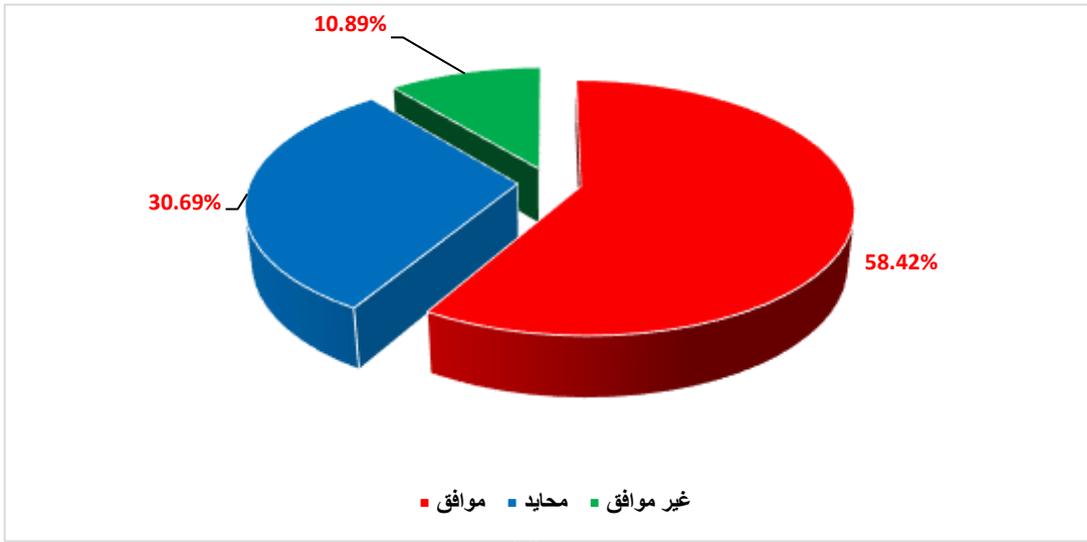
يشير خالد أحمد (مستشار، ومدرب إعلام اجتماعي) في إحدى المناظرات التلفزيونية عن استخدامات المنصات الاجتماعية إلى أن مسألة الانتقال من الواقع الفعلي إلى الافتراضي هي مسألة قناعات، وضعف أو قوة شخصية المستخدم الشاب هي الفيصل، فحسب وجهة نظره، كلما قل احترام الفرد لذاته، واتصف مناخه العام بالاضطراب وعدم الاستقرار، زاد تماهيه مع

المحتوى المعروض على منصات الإعلام الاجتماعي، حتى وإن كان يعلم بأن ما يتلقاه من مضامين قد تخدم أجندات مخالفة لمعتقداته.

#### 6) تتسبب منصات الإعلام الاجتماعي في إهمال العلاقات الاجتماعية مع الأسرة والأصدقاء

موافق	58.42%
محايد	30.69%
غير موافق	10.89%

الجدول رقم (6)



الرسم البياني رقم (6)

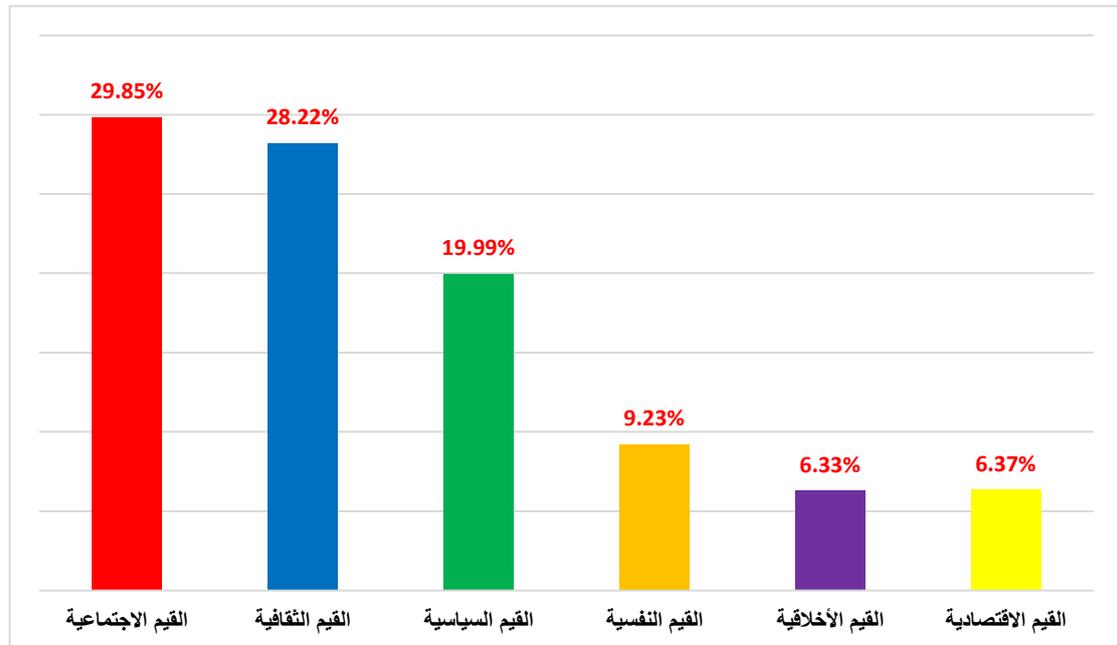
يتبين في ضوء بيانات الجدول رقم (6)، أن المعدل الأعلى من الشباب يتفقون على الآثار السلبية التي يخلفها استخدام منصات الإعلام الاجتماعي على العلاقات الاجتماعية، وما ينتج عنها من إهمال التواصل مع الأسرة والأصدقاء، ونسبتهم (58.42%)، وهؤلاء يؤكدون على صفة "التفاصل الاجتماعي" التي باتت تخيم على المجتمعات، فقد شنتت أفراد الأسرة، وسجنتم في عالم إفتراضي انتهكت فيه الخصوصية، والأدبيات الأخلاقية، وضربت العادات، والتقاليد المتوارثة، فضلاً عن تدمير العلاقات الزوجية. تقول هنا "سيلفي بروتاسييف"، عالمة النفس والمحللة النفسية: "تقليل قيمة الذات هو شكل من أشكال البحث عن الطمأنينة والراحة، نريد من الآخرين أن يشفقوا علينا ويساعدونا ويحبونا، نحاول أيقاظ شعور أبوي لدى الآخرين، افتقرنا إليه في طفولتنا بحثاً عن الطمأنينة، لكن الراحة التي نحصل عليها مؤقتة"، بالضبط هذا ما يمر به كثير من المستخدمين/ات أثناء بحثهم عن منافذ إلكترونية تخفف عنهم عبء ضغوطات الحياة.

في حين يجد (30.69%) من العينة أنها قد تحمل الوجهتين (السلبية أو الايجابية) للاستخدام الرقمي، فأما أن تعزل الفرد عن بيئته الاجتماعية، أو توطّد وتعزز العلاقات الاجتماعية، وأصحاب هذا الرأي يتفقون على أن الأمر برمته يتوقف على سوء أو حسن استخدام الشباب للمنصات الرقمية، أي على ما يتمتع به من وعي، وتعليم، وتربية، بينما (10.89%) لا يوافقون على دور المنصات الرقمية في إهمال العلاقات الاجتماعية، ويُرجعون السبب في ذلك إلى دورها الجوهرى في ردم العوائق الزمنية والجغرافية بين الأفراد والجماعات، وإمكانية كسب أصدقاء جدد من جنسيات وهويات مختلفة، أو الوصول إلى أصدقاء قدامى فقدناهم منذ زمن طويل.

#### (7) القيم التي يكتسبها الشباب أثناء استخدامه لمنصات الإعلام الاجتماعي

القيم الاجتماعية	29.85%
القيم الثقافية	28.22%
القيم السياسية	19.99%
القيم النفسية	9.23%
القيم الأخلاقية	6.33%
القيم الاقتصادية	6.37%

الجدول رقم (7)



الرسم البياني رقم (7)

تُظهر نتائج الجدول رقم (7)، أن القيم الاجتماعية تصدر لائحة القيم التي يكتسبها الشباب، نتيجة استخدامهم منصات الإعلام الاجتماعي بنسبة (29.22%)، يليها القيم الثقافية (28.22%)، ثم القيم السياسية (19.99%)، وتبعاً القيم النفسية (9.23%)، والقيم الأخلاقية (6.33%)، وأخيراً القيم الاقتصادية بمعدل (6.37%).

في الصفحة التالية لائحة لأهم القيم (الاجتماعية، والثقافية، والسياسية، والنفسية، والأخلاقية، والاقتصادية) التي يكتسبها الشباب أثناء استخدامهم منصات الإعلام الاجتماعي.

ما القيم السياسية الإيجابية التي تكتسبها أثناء استخدامك لمنصات الإعلام الاجتماعي؟	
المشاركة السياسية	29.09%
المساواة	28.18%
الحرية	21.82%
الانتماء	20.91%
ما القيم الاجتماعية الإيجابية التي تكتسبها أثناء استخدامك لمنصات الإعلام الاجتماعي؟	
الصدقة	37.19%
مساعدة الآخرين	23.97%
الإحساس بالمسؤولية	23.14%
الاحترام	15.70%
ما القيم الاقتصادية الإيجابية التي تكتسبها أثناء استخدامك لمنصات الإعلام الاجتماعي؟	
ترشيد الاستهلاك	52.48%
التعاون المالي	26.73%
تحقيق الربح المادي	20.79%
ما القيم النفسية الإيجابية التي تكتسبها أثناء استخدامك لمنصات الإعلام الاجتماعي؟	

التخلص من العزلة	29.60%
الطموح	20.00%
تحقيق الذات	18.40%
المؤانسة	16.00%
الإبداع	16.00%

ما القيم الثقافية الإيجابية التي تكتسبها أثناء استخدامك لمنصات الإعلام الاجتماعي؟

معرفة ثقافة الشعوب	37.76%
تعلم اللغات	22.38%
معرفة بالعادات والتقاليد	18.18%
محايد	11.19%
الافتداء بشخصيات أدبية مؤثرة	10.49%

ما القيم الأخلاقية الإيجابية التي تكتسبها أثناء استخدامك لمنصات الإعلام الاجتماعي؟

الود والألفة	39.20%
الصدق	22.40%
العدل	19.20%
الأمانة	12.00%
الكرم	7.20%

بينما كانت المعلومة - حتى وقت قريب - ملكاً للمؤسسات، وصناع القرار، إلا أننا كجمهور متلقين للمحتوى الرقمي أصبحنا عنصراً إيجابياً في العملية الاتصالية، أي تمكنت المنصات الاجتماعية من قلب المعادلة، فانتقل الجمهور من مستقبل إلى منتج للمحتوى (الجمهور هو القائد)، وبتنا قادرين على التواصل مع صناع القرار والتعبير عن آرائنا، وهمومنا، وإيصال أصواتنا إلى المعنيين على الملأ، وهذا ما ساعد حتى المؤسسات، والمنظمات المعنية على

استشعار اهتمامات المستخدمين حول قضية ما، إلى جانب ابتكارها اليوم أدوات لإحداث التغيير السياسي، وكسر حاجز الخوف، والإفصاح عن مكونات الذات.

أي يمكننا القول هنا، بناءً على استجابة المبحوثين/ات، أن منصات الإعلام الاجتماعي، هي أدوات تمكين ذاتي وجمعي للأفراد والجماعات، ومنصة للفئات المهمشة لإيصال صوتها إلى العالم.

تعلق "روز علي" وهي باحثة في الشؤون النفسية والاجتماعية على الموضوع، فتقول: "تمكنت هذه المواقع في جذب كافة الفئات العمرية وخاصة فئة الشباب، التي تتأثر بالقيم والسلوكيات والمضامين التي تقدمها هذه المواقع، سواءً كانت إيجابية أو سلبية، لأنها تسعى نحو التغيير المستمر، من خلال تحصيل العلم، ومحاولة التقليد واتباع العادات، والخروج عن المألوف، ومن هنا يمكن معرفة مدى تأثير هذه المواقع على منظومة القيم وسلوكيات وانفعالات وطريقة التفكير لدى الشباب اليوم، ولا يمكن إنكار دورها الإيجابي في تحقيق الذات وتبادل الخبرات والآراء والتعلم من المحيط، والانطلاقة نحو العالم الخارجي، إلى جانب الترفيه والتسلية، اللذان يعتبران الدافع الأول والأساسي للشباب لاستخدام هذه المواقع".

#### 8) الآثار السلبية الناتجة عن استخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي

الاغتراب الثقافي	
34.65%	محايد
31.68%	موافق
30.69%	غير موافق

العزلة الاجتماعية	
55.45%	موافق
22.77%	غير موافق
19.80%	محايد

تقمص وتقليد سلوك غير مقبول اجتماعياً	
42.57%	موافق
30.69%	محايد
26.73%	غير موافق

اختلال الشخصية والانطوائية	
39.60%	موافق
32.67%	محايد
26.73%	غير موافق

تفكك العلاقات الأسرية	
موافق	%42.57
محايد	%29.70
غير موافق	%27.72

الاستغراق والضياع في عالم الخيال	
موافق	%54.46
محايد	%25.74
غير موافق	%19.80

الإدمان وضياع الوقت	
موافق	%56.44
محايد	%27.72
غير موافق	%15.84

اكتساب معارف ومعلومات خاطئة	
موافق	%38.61
محايد	%35.64
غير موافق	%24.75

الابتزاز والتهديد والتجسس	
محايد	%44.55
موافق	%34.65
غير موافق	%20.79

انتحال الشخصية	
محايد	%43.56
موافق	%32.67
غير موافق	%22.77

زرع التفكير السطحي	
موافق	%38.61
محايد	%35.64
غير موافق	%25.74

تأصيل السلوك الاستهلاكي	
محايد	%35.64
موافق	%32.67
غير موافق	%30.69

اكتساب السلوك العدواني	
محايد	%36.63
غير موافق	%34.65
موافق	%28.71

تشير نتائج الجداول أعلاه، إلى الآثار السلبية لاستخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي على الأصعدة (النفسية، والاجتماعية، والثقافية، والفكرية، والمعرفية، وحتى الأمن الشخصي).

من هنا، يمكننا أن نلتمس في محيطنا الارتدادات العميقة الناتجة عن الاستخدام السلبي للتقنية الإلكترونية الحديثة، بدءاً بتراجع الانتاجية، وهيمنة الكسل، والخمول على العديد من مرافق العمل، ومروراً بالعزلة الاجتماعية، والاكنتاب الناتج عن فصل المتصفح عن واقعه الأصلي، وإغراقه في عالم الخيال والأوهام والخرافات، ليصبح الواقع المعاش مصطنعاً، والصورة النرجسية المثالية التي تقدمها منصات الإعلام الاجتماعي الافتراضية هي السائدة، وهذا ما نسميه بـ"الصدمة الإلكترونية"، وغالباً ما تخلف وراءها تهديدات جمّة، تؤثر على استقرار العلاقات الأسرية، وسلامة الصحة النفسية والعقلية لدى المتلقي، قد تدفع بالبعض إلى التفكير بالانتحار، أو إصدار أنماط سلوكية عنفية تهدد الذات، والدائرة المحيطة به.

أضف إلى ذلك، سيؤدي الدور السلبي لبعض المنصات الإلكترونية الوهمية، التي توظف منصات الإعلام الاجتماعي لاستدراج الشباب، ودفعهم لارتكاب أعمالاً إرهابية مقابل مبالغ مالية، أو عبر استغلال تدهور حالته النفسية، بالطبع هذا ما يسود بقوة في البيئات المهمشة والفقيرة، التي تفتقر لأدنى سبل العيش، من موارد مالية مستقرة، وتعليم، وصحة، ومرافق ترفيه، ومساحات خضراء، حيث ينقاد فيها الشباب بصورة لا إرادية، ويفقد إمكانية أن يكون لنفسه رأياً مستقلاً حول القضايا الهامة مع تكرار المادة، وتنوع أشكال العرض، وتحويل الأمور الهامشية إلى بؤرة اهتمام، يأتي كل هذا في ضوء تصاعد معايير "الترند" على الصفحات الزرقاء على حساب المعايير الأخلاقية، سيما تلك التي تحرض على الكراهية، والتجيش ضد فئة اجتماعية بعينها.

من جهتها تضيف الباحثة النفسية والاجتماعية روز علي، أضراراً إضافية إلى استخدام الشبكات الاجتماعية، فتشير إلى انعكاساتها السلبية على الصحة النفسية والتفاعل الاجتماعي، وتقول: "من المعروف أن الاستخدام المفرط، يؤثر بشكل كبير على مستوى الاتصال والمشاركة مع أفراد الأسرة داخل المنزل، ويقلل من مقدار التواصل الاجتماعي في المحيط الذي ينتمون إليه. إضافة إلى أنه يؤدي إلى حالات من الاكنتاب والقلق والوحدة والعزلة الاجتماعية، وتؤثر هذه المواقع سلباً على الجانب المعرفي، وطرق التفكير في التعامل مع متغيرات الحياة، والتي من شأنها

تعزيز القيم الفردية بدلاً من القيم الاجتماعية، وقيم العمل الجماعي المشترك، الذي يمثل عنصراً هاماً في ثقافة المجتمع. أما النقطة الأهم التي يجدر بنا تسليط الضوء عليها، هي الإدمان وقضاء الوقت الطويل في تصفّحها، حيث تعمل هذه المواقع على تشتيت ذهن وأفكار الشباب، ليحولهم بذلك إلى مجرد متابعين سلبيين للأحداث، وأشخاص كسولين، غير قادرين على القيام بواجباتهم اليومية والمهنية والأكاديمية".

مع الحرب السورية التي اجتازت عقداً من الزمن، تكابد مناطق الإدارة الذاتية - كغيرها من الجغرافية السورية - عناء مخلفات الحرب، التي أبعدت مئات الآلاف من الشباب عن مقاعد الدراسة، واضطر كثير للعمل في مهن شاقة أو التطوع في صفوف الفصائل المسلحة لإعالة أسرهم، بعد أن كان سقف طموحاتهم قبل الحرب أعلى بكثير من الواقع المعاش حالياً.

#### (9) نمط التغيير الذي تحدّثه منصات الإعلام الاجتماعي على الشباب

متنوع	71.29%
إيجابي	18.81%
سلبي	9.90%

الجدول رقم (23)



الرسم البياني رقم (23)

يتضح من خلال الجدول (23)، أن شكل التغيير الذي تحدثه منصات الإعلام الاجتماعي على النسق القيمي للشباب، هو تغيير مثبت، يتنوع بين الإيجاب والسلب، ونسبة أصحاب هذا الرأي (71.29%)، في حين أن (18.81%) من الشباب يؤمنون بالدور الإيجابي للشبكات الاجتماعية في إحداث التغيير الهادف على المستوى الشخصي أو المجتمعي، فيُجمعون على دورها الهام في التطوير الذاتي (المهني، والريادي)، والبحث عن الوظائف وتأمينها، وإظهار الحقائق، وكشف المستور لدرجة أصبح لها حتمية، لا يمكننا الاستغناء عنها، في المقابل (9.90%) من العينة الشابة تخالف الرأي السابق، وتجد في استخدامها للتطبيقات الاجتماعية تأثيراً هداماً تقتل عقول المتلقين واجتماعيتهم، وتستنزف الطاقات، وتوجه الشباب إلى مسار يتماهى مع مصالح القائمين على "السوشل ميديا"، وبالتالي يولد شرخاً في المجتمع، وتنتشر الفرقة، وتزيد من العزلة والتوتر الناتج عن الادمان، إلى جانب المعارف الخاطئة والمعلومات الكاذبة التي يتلفها الجمهور من الفضاء الرقمي، وانتشار الجريمة الإلكترونية، من قذف وتشهير وتتمر ونشر الحسابات الوهمية لخطاب الكراهية والأفكار الهدامة، وتدمير الوعي، والانحلال الأخلاقي وتعزيز التطفل، والتجسس، والنميمة، واختراق خصوصية الآخرين، ناهيك عن تفسير المتلقي الشاب للرموز المتضمنة في المحتوى المعروض في إطار المدركات المختزنة في العقل، والتي تسقط دلالتها المختلفة على الرموز التي يتعرض لها، فيفسرها في هذا النحو الذي يطلق عليها "الإطار الدلالي".

**النتائج:** بناءً على ماسبق تقديمه، تم التوصل إلى جملة من النتائج:

- 1- يتصدر الفيسبوك قائمة منصات الإعلام الاجتماعي المفضلة للشباب، يليها على التوالي واتس آب، وانستجرام، وتيك توك، ومن ثم يوتيوب، وتويتر، وأخيراً التلجرام.
- 2- غالبية الشباب يقضون من (أربع إلى ست ساعات)، أو من (ساعة إلى ثلاث ساعات) في استخدام منصات الإعلام الاجتماعي، تليها الفئة التي تداوم أكثر من ست ساعات، وأقلها تتصفح المنصات الاجتماعية الرقمية بمدة زمنية تقل عن ساعة واحدة.
- 3- من أهم دوافع استخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي، اكتساب المعارف والمعلومات عن قضايا معينة، تليها الحاجة إلى الترفيه عن النفس والتسلية، والتواصل الاجتماعي، واستثمار العالم الافتراضي لفهم الواقع واستيعاب أحداثه، ومن ثم تأتي حاجة البعض إلى التخلص من التوتر والعزلة، وأحياناً أخرى كسر نمطية الحياة اليومية، وروتين مجرياتها.
- 4- أفضل الأوقات التي يختارها الشباب لاستخدام منصات الإعلام الاجتماعية، تكون وفقاً للظروف الملائمة لهم، ومن ثم تأتي فترة المساء، ومن بعدها ليلاً، وآخرون يفضلون الإبحار في المنصات الرقمية طوال اليوم، وآخرون في فترتي الصباح والظهر.
- 5- النسبة متقاربة -إلى حد ما - بين من يفضل التواصل مع المحيط عن طريق الاتصال المباشر، وبين من يختار الاتصال الرقمي عن طريق منصات الإعلام الاجتماعي.
- 6- معظم الشباب يتفقون على دور منصات الإعلام الاجتماعي في إهمال العلاقات الاجتماعية مع الأسرة والأصدقاء، في حين هنالك الرأي الوسطي، الذي يجد في التواصل الرقمي تعزيزاً، وأيضاً انحداراً للعلاقات الاجتماعية، والأسرية، على خلاف الرأي الأقل نسبة، والذي لا يوافق على الدور السلبي لمنصات الإعلام الاجتماعي في إحداث شرخ للعلاقات الاجتماعية.
- 7- تتصدر القيم الاجتماعية ك (الصدقة، ومساعدة الآخرين، والإحساس بالمسؤولية، والاحترام) قائمة القيم التي يكتسبها الشباب من منصات الإعلام الاجتماعي، يليها القيم الثقافية (معرفة ثقافة الشعوب، وتعلم اللغات، ومعرفة بالعادات والتقاليد، والافتداء بشخصيات أدبية مؤثرة)، والقيم السياسية مثل (المشاركة السياسية، والمساواة، والحرية، والانتماء)، والقيم النفسية (التخلص من العزلة، والطموح، وتحقيق الذات، والموانسة، والإبداع)، ومن ثم تأتي القيم

الأخلاقية (الود والألفة، والصدق، والعدل، والأمانة، والكرم)، وأخيراً القيم الاقتصادية (ترشيد الاستهلاك، والتعاون المالي، وتحقيق الربح المادي).

8- من الآثار السلبية الناتجة عن استخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي (سيما المدمنين منهم): (1) العزلة الاجتماعية (2) الاغتراب الثقافي (3) اختلال الشخصية وسيادة الانطوائية، (4) تقمص أنماط سلوكية غير مقبولة اجتماعياً (5) تفكك العلاقات الأسرية (6) الاستغراق والضياع في عالم الخيال (7) الإدمان وضياع الوقت (8) انتحال الشخصية، والابتزاز والتهديد والتجسس (9) التزود بمعلومات ومعارف خاطئة (10) اختلال الصحة العقلية والنفسية (11) انتشار التنمر والتنميط، وزرع التفكير السطحي (12) تأصيل السلوك الاستهلاكي (13) اكتساب السلوك العدواني.

9- معظم الشباب يجدون أن تأثير منصات الإعلام الاجتماعي عليهم (سليبي، وإيجابي)، بينما تليها الآراء الإيجابية، ومن ثم تأتي الآراء السلبية.

**التوصيات:** يمكننا الاستناد على النتائج، للخروج بجملته من المقترحات:

- 1- تعزيز دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية (الأسرة، والمؤسسات التعليمية، والدينية، والتوعوية، والأصدقاء..) في غرس القيم الإيجابية الراسخة لقواعد أخلاقية متينة في شخصية الشباب.
- 2- تطوير البنية التعليمية والتربوية هي من أفضل الحلول لتأصيل الرؤية النقدية تجاه أي محتوى.
- 3- تضمين المناهج والمقررات الدراسية مواداً عن أخلاقيات استخدام منصات الإعلام الاجتماعي، ومعاييرها، لإكساب الشباب أساليب سليمة في التعامل الإلكتروني، والمواطنة الرقمية.
- 4- تكثيف إجراء الدراسات والبحوث، التي تحلل النسق القيمي الناتج عن استخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي، وآثارها على الأداء العلمي، والأنماط السلوكية.
- 5- الإشادة بالدور الهام لوسائل الإعلام في توعية الشباب بأفضل الطرق لاستخدام منصات الإعلام الاجتماعي بشكل إيجابي، وفتح قنوات للتواصل مع المستخدمين، من باب استثمار طاقات الشباب، ومواهبهم، وتعميم قصص النجاح إلكترونياً ليقّدي بهم الآخرون.
- 6- تشجيع هيئة الشباب والرياضة التابعة للإدارة الذاتية للشباب من خلال إقامة الأنشطة الترفيهية، والعلمية، والرياضية، التي تعزز التماسك والصدقة بينهم، وتخلصهم من شوائب المنصات الرقمية.
- 7- دور منظمات المجتمع المدني، والمؤسسات العلمية المختصة في تنظيم الدورات التأهيلية، التي تعزز في شخصية الشباب الحس النقدي، والمسؤولية الاجتماعية لتحليل، والشك في أي محتوى يعرض على المنصات الرقمية.
- 8- استقطاب الخبراء والمختصين الإعلاميين، والنفسيين، والباحثين في العلوم الاجتماعية لإطلاق منصات رقمية تستهدف الشباب، وباقي الفئات العمرية بمضامين علمية جذابة تشبع الحاجات، والدوافع المتنوعة.
- 9- إحاطة الشباب بأهم الأدوات للإبلاغ عن الجهات المتورطة في الجرائم الإلكترونية من تجسس، وتهديد، وانتحال، وابتزاز.

**10-** توعية الشباب بأساليب الكشف عن المحتوى الملقق، وتقصي الحقائق، وتعميم التربية الإلكترونية.

**11-** إخضاع المستخدمين الشباب للعلاج النفسي، للتخلص من أضرار استخدام الاعلام الاجتماعي، والاندماج في العلاقات الاجتماعية، ناهيك عن توفير فرص العمل للعاطلين.

**12-** تخصيص برامج توعوية عن المخاطر الأخلاقية، والاجتماعية، الناجمة عن استخدام الشباب لمنصات الإعلام الاجتماعي.

**13-** إطلاق منصات إلكترونية محلية، مهمتها التحليل والتمحيص النقدي للمحتوى المعمم على منصات الإعلام الاجتماعي، من نصوص وصور وفيديوهات، وإحاطة المتصفح بطرق التأكد من صحة المعلومات.

## المراجع:

- (1) ياسر عبد العزيز، "إعادة تعريف الإنترنت"، الموقع الإلكتروني لصحيفة الشرق الأوسط، تاريخ النشر 17 يناير/ كانون الثاني 2022، تاريخ الاسترجاع 19 يناير/ كانون الثاني 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/v6qCD>
- (2) عامر إبراهيم قنديلجي، "البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات التقليدية والالكترونية"، الأردن، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2008، ص129.
- (3) "Kaplan, A.M, Haenlein, M, (2010) Users of the world, unite! the challenges and opportunities of Social Media, Journal of Business Horizons, 53 (1), pp. 59-68.
- (4) فايز خضر بشير، "منظومة القيم في المجتمع الفلسطيني بين كبار السن والشباب دراسة مقارنة"، فلسطين: أريحا، مجلة جامعة الاستقلال، مج4، ع2، ص6.
- (5) القيم السياسية (أنواع وأمثلة)، موقع WARBLETONCOUNCIL، تاريخ الاسترجاع 22 يناير/ كانون الثاني، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/IRIQJ>
- (6) + (7) مرجع سابق.
- (8) نجلاء الجمال، 2018، "دور الإعلام الجديد في تغيير المنظومة القيمية لدى الشباب دراسة تطبيقية على الشباب المصري"، الجزائر: مستغانم، جامعة عبد الحميد بن باديس، المجلة الدولية للاتصال الجماعي، مج5، ع3، ص18.
- (9) ماهي القيم الاجتماعية والإنسانية؟، موقع مفاهيم، تاريخ النشر 20 أغسطس / آب، تاريخ الاسترجاع 29 يناير/ كانون الثاني، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/eu1Pq>
- (10) إيهاب خليفة، "ملامح التحول نحو الجيل الجديد للشبكات الاجتماعية، موقع المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، تاريخ النشر 12 مايو / أيار 2020، تاريخ الاسترجاع 25 يناير/ كانون الثاني، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/RYuOb>
- (11) شريف عبد العزيز، "منظومة القيم وأثرها في بناء المجتمعات وانهارها"، موقع الخطباء، تاريخ النشر: 18 نوفمبر / تشرين الثاني، تاريخ الاسترجاع 2 فبراير / شباط 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/JQ7JZ>

(12) عادل عبد الصادق، "قيم وسلوك الشباب في عصر الشبكات الاجتماعية"، موقع مركز سمات للدراسات، تاريخ النشر: 2 يناير / كانون الثاني 2019، تاريخ الاسترجاع 25 يناير / كانون الثاني 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/VEf8t>

(13) محمد سعيد اخريف، "الشباب وأزمة القيم"، مدونات الجزيرة، تاريخ النشر:

4 مايو/ آيار 2017، تاريخ الاسترجاع 5 فبراير/ كانون الثاني، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/xY3YN>

(14) نظرية وضع الأجندة، موقع ميمابس، تاريخ الاسترجاع 24 يناير / كانون الثاني 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/IRjM3>

(15) sonia Livingstone,(2008),Taking risky opportunities in youthful content creation: teenagers' use of social networking sites for intimacy, privacy and self-expression, New Media & Society,2008, Available at: <https://cutt.us/vKJBU>

(16) Jenkins, H. (2006). Convergence Culture: Where Old and New Media Collide. New York: New York University Press, New York, 2006, P.241

(17) يوسف جمال، "نظرية الشبكات الاجتماعية، علوم الإعلام والاتصال، تاريخ الاسترجاع 21 يناير / كانون الثاني 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/B8hHi>

(18) نظرية المجال العام، موقع عربي، تاريخ الاسترجاع 3 فبراير/ شباط 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/E2qlw>

## التضخم يجتاح الاقتصاد العالمي من جديد

"دراسة في الأسباب والآثار والانعكاسات"

د. شوقي محمد

### مقدمة

خلال العام الفائت، شهدت معظم الاقتصادات العالمية، موجةً مخيفةً من التضخم، البعض منها لم تشهدها منذ سنوات. وقد رصد خبراء الاقتصاد حول العالم تمدداً في هذه الظاهرة، واعتبر البعض أنها ستكون أبرز محطات التهديد للاقتصادات العالمية -بمختلف مستوياتها- خلال العام الحالي، ولربما ستواجه مخاطر جمةً على امتداد الساحة العالمية، قد تنجم عن أساليب أو أدوات معالجة هذه المستويات العالية للتضخم، وخاصة في تلك البلدان التي لها تأثير مباشر على الاقتصاد العالمي برمته، كالولايات المتحدة، وبريطانيا، وبعض الدول الأوروبية على وجه التحديد.

من المنظور الاقتصادي للوضع الراهن، على صعيد الاقتصادات العالمية مالياً واقتصادياً، تكمن الخطورة بشكل رئيسي في تداخل أدوات معالجة التضخم مع الآليات المولدة له، ومع آثاره السلبية، هذا من ناحية. من ناحية أخرى، تأتي تلك الخطورة أيضاً من مخاوف الارتدادات الاقتصادية لأية إجراءات قد تتخذها البنوك الكبرى في العالم، بهدف الحد من التضخم، وخاصة البنك "الاحتياطي الفيدرالي" الأمريكي، على الاقتصادات في الدول الناشئة والمتخلفة، التي تعاني أصلاً من معدلات تضخم مرتفعة ناجمة أحياناً عن:

- سوء إدارة الاقتصاد الوطني في تلك البلدان، وآليات استخدام الموارد الاقتصادية المتاحة.
- ضرورات تطبيق السياسات التوسعية داخل اقتصاداتها، لأسباب تتعلق بزيادة الاستثمارات، وتحسين المستويات المعيشية.

- مآلات آليات الحكم، وأدوات السلطة السياسية في تلك البلدان. ومدى استحواذها على مقدرات البلاد، لصالح فئة معينة، على حساب التطوير، وتحديث الاقتصاد الوطني.
- الظروف السياسية، وحالة عدم الاستقرار الأمني في العديد من هذه البلدان، والتي تنجم عنها عادة اهتزازات في قيمة العملة المحلية، وتراجع في سعر صرفها، وبالتالي ارتفاع معدلات الفائدة.

إذاً، وبالنظر لمجريات الأحداث داخل الاقتصادات العالمية -وخاصة الكبرى منها- يبدو أن المشهد لن يخلو من مخاوف وتهديدات قادمة، خاصة إذا ما عرفنا أن معدلات التضخم آخذة في الارتفاع داخل الاقتصاد الأمريكي، وباقي الاقتصادات المتقدمة، ذات التأثير القوي على اقتصادات الدول الأخرى في العالم، زاد من خطورة هذا الأمر اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية بكل ما تحمله من آثار خطيرة على الاقتصاد العالمي بشكل عام وعلى اقتصادات الدول الفقيرة بشكل خاص. وبذلك فإن معدلات التضخم العالية التي قد تتجه نحو الأعلى بالنتيجة، ستعكس في صورة تراجع القوة الشرائية للأفراد، وارتفاعاً في مؤشر أسعار المستهلكين الإجمالية، وزيادة في تكاليف الإنتاج، وبالتالي زيادة في مؤشر أسعار المنتجين أيضاً. وهذه الانعكاسات حال استمرارها، ستحدث اختلالات بنيوية، قد تحفز على تنشيط مسببات ارتفاع التضخم، وخاصة إذا ما وصلت الحالة لدى مختلف الوحدات الاقتصادية المجتمعية إلى التنبؤ بقدوم مستويات عالية من التضخم وبناء الخطط المستقبلية، واتخاذ الإجراءات بناءً على تلك التنبؤات، مما سيساهم في ترسيخ التضخم، وتكوين محفزات ذاتية له داخل الاقتصاد.

### مشكلة الدراسة

بالرغم من سيطرة المنظومة الرأسمالية على مفاصل الاقتصاد العالمي، والتحالفات التي تظهرها الأطراف الرئيسية لهذه المنظومة هنا وهناك، إلا أن ما يحدث على أرض الواقع هو عملية تناقض مصالح، واختلاف في الآليات والأدوات، التي تستخدمها مختلف الدول لتحقيق مآربها. الأمر الذي ينجم عنه العديد من الآثار المختلفة على الاقتصاد العالمي بشكل عام.

وعليه فإن مشكلة الدراسة يمكن أن تطرح على شكل التساؤلات التالية:

- مع استمرار ارتفاع معدلات التضخم في اقتصادات الدول الكبرى، لماذا لا يتم اتخاذ السياسات المالية والنقدية الكفيلة بالسيطرة عليها حتى الآن؟
- هل ستعكس الآثار السلبية للتضخم في الاقتصادات العالمية بدرجة كبرى على اقتصادات الدول الناشئة والمتخلفة؟
- هل ستمتد ظاهرة ارتفاع معدلات التضخم في الاقتصاد العالمي لفترة طويلة أم لا؟

### أهمية الدراسة

لا شك أن العالم أصبح قرية صغيرة، نتيجة التطورات الإلكترونية، والتقنية الهائلة، والتي انعكست على العديد من مناحي الحياة الاقتصادية لمختلف بلدان العالم، لدرجة بات معها تداخل الأحداث داخل الاقتصادات العالمية شيء مألوف بالنسبة للدول. فقد تُحدث أية إجراءات أو سياسات اقتصادية تتخذها الدول القوية - اقتصادياً - كالولايات المتحدة، ارتدادات قوية داخل اقتصادات الدول الأخرى، الناشئة منها أو المتخلفة، وخاصة تلك المرتبطة بعلاقات اقتصادية قوية معها.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة، كونها ستبحث في ظاهرة ارتفاع معدلات التضخم في اقتصادات الدول الكبرى، بعد جائحة كورونا، وفي إثر اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية وما يمكن أن تتركه من آثار اقتصادية سلبية على الاقتصاد العالمي برمته، واقتصادات الدول الأخرى بشكل منفصل. إضافة إلى إظهار التحديات التي تواجه السلطات النقدية والمالية داخل الاقتصادات القوية، أثناء محاولتها للسيطرة على ارتفاع التضخم، وكبح الآثار التي قد تتركها هذه التحديات، سواءً على صعيد اقتصاداتها المحلية، أو على الصعيد الاقتصادي العالمي.

### الهدف من الدراسة

تهدف هذه الدراسة، من خلال البحث والتحليل، إلى تبيان الأسباب التي أدت إلى ارتفاع معدلات التضخم في الاقتصاد العالمي، بعد انحسار موجة فيروس كوفيد19، وماهي الآثار التي تركتها على الاقتصادات المحلية خصوصاً، وعلى الاقتصاد العالمي عموماً.

إضافة إلى ذلك، تهدف الدراسة أيضاً إلى توضيح الآثار والانعكاسات، التي تتركها هذه الظاهرة على الاقتصادات الناشئة في المنطقة، كما ستطرق إلى تبيان بعض تلك الانعكاسات على اقتصاد مناطق شمال وشرق سوريا، وعلى القدرات الشرائية للمستهلكين فيها.

## فرضيات الدراسة

- ظاهرة التضخم الحالي نجمت -بالدرجة الأولى - عن عدم قدرة العرض على مجاراة الطلب العالمي بعد انحسار موجة كورونا.
- ظاهرة التضخم العالمي الحالية قد تستمر لفترة طويلة نسبياً.
- الآليات والأدوات المطروحة لكبح جماح التضخم الحالي، ستتعرض آثارها على العديد من اقتصادات الدول الأخرى.
- الاقتصاد المحلي لمناطق شمال وشرق سوريا، لن تطاله تأثيرات قوية للتضخم العالمي.

## محتويات الدراسة

### تمهيد

الفصل الأول -التضخم الاقتصادي (المفهوم -الأسباب -الآثار، وطرق العلاج).

أولاً -مفهوم وتعريف التضخم.

ثانياً -أسباب التضخم.

ثالثاً-آثار التضخم.

الفصل الثاني -أسباب ظاهرة التضخم الحالي في الاقتصاد العالمي وآثاره

أولاً -أسباب التضخم الحالي في الاقتصادات العالمية.

ثانياً-آثار التضخم الحالي على الاقتصاد العالمي.

الفصل الثالث -الانعكاسات والآثار على اقتصادات الدول الأخرى.

أولاً -الآثار الاقتصادية للتضخم على اقتصادات الدول الناشئة والفقيرة.

ثانياً -الانعكاسات على مناطق شمال وشرق سوريا.

## النتائج والخاتمة

## • تمهيد

لا تقتصر الآثار السلبية للتضخم على الاقتصاد ومؤشراته فقط، بل غالباً ما تطال الحياة الاجتماعية، وحتى السياسية داخل البلدان، كونه (أي التضخم) يؤثر على القدرة الشرائية للمستهلكين، ويؤدي إلى ارتفاع في تكاليف الحياة المعيشية، والتوزيع العشوائي للدخل والثروة، لصالح الأغنياء على حساب تزايد نسب الفقر، وتراجع مستويات الدخل لدى الطبقات المتوسطة والفقيرة.

من هنا، فإن ظاهرة التضخم إذا ما نشأت داخل اقتصاد ما، فهي تحظى عادة باهتمام السلطات السياسية والاقتصادية معاً، إضافة إلى مختلف الطبقات الاجتماعية، لدرء آثارها السلبية، وتخفيفها ما أمكن. وحيث ارتفعت معدلاته داخل الاقتصادات المتقدمة، منذ بداية عام 2021، فإن التضخم بات يقض مضاجع المسؤولين، داخل الحقلين الاقتصادي والسياسي، لما قد يسببه من اختلالات في البنى المالية والنقدية، وما سيشتركه من آثار اقتصادية واجتماعية مختلفة.

يشير معظم خبراء الاقتصاد حول العالم، إلى أن الوضع الراهن للتضخم، الذي يجتاح الاقتصاد العالمي، لن يكون مديداً لدرجة أن يصبح قادراً على خلق حالة من الكساد في الاقتصاد العالمي، على شاكلة ذلك الكساد الذي حصل في سبعينيات القرن الماضي؛ كما يؤكدون على أن كبرى البنوك المركزية العالمية، تملك من الأدوات المالية والنقدية، ما يجعلها قادرة -بصورة أو بأخرى- على السيطرة على معدلات التضخم، وكبحها.

ولكن ما يثير المخاوف الحقيقية، من حدوث اختلالات بنيوية داخل الاقتصاد العالمي، ناجمة عن استمرار هذه المعدلات في الارتفاع، وما يتركه من آثار سلبية على اقتصادات الدول الكبرى، وبالتالي على معظم دول العالم، هو أن هذه المعدلات آخذة في الارتفاع، منذ بداية العام الفائت، وما تزال مستمرة حتى الآن، بل زادت وتيرتها في الربعين الثاني والثالث من العام نفسه، فلماذا لم يتم اتخاذ الإجراءات الكفيلة بكبح جماح التضخم والسيطرة عليه؟

الجواب ببساطة، هو في تداخل العديد من العوامل في بوتقة السيطرة على معدلات التضخم، وقد تحدث بعضها ارتدادات سلبية أكبر على مستويات متعددة، أو قد تنعكس على صُعد اقتصادية

واجتماعية، وحتى سياسية معينة في حالات أخرى. هذه هي صورة المشهد الاقتصادي الحالي،  
فهل سيستمر لمدة طويلة؟

في الدراسة الحالية سيتم التركيز على مسببات التضخم، الذي يجتاح الاقتصاد العالمي، والآثار  
التي قد يتركها على بنية العلاقات الاقتصادية الدولية، إضافة إلى انعكاساته على اقتصادات  
الدول الأقل تطوراً، وما هي الفرص الممكنة للسيطرة عليه؟

ولكن، بداية سنخوض في مفهوم التضخم، وأسبابه، والآثار الاقتصادية والاجتماعية، التي يتركها  
عادة على الاقتصاد، وطرق، وأدوات العلاج المعتمدة، وفق المنطق الاقتصادي المعهود.

## الفصل الأول - التضخم الاقتصادي

### (المفهوم - الأسباب - الآثار، وطرق العلاج)

يُعدُّ التضخم أحد أخطر الأمراض الاقتصادية في معظم الاقتصادات الوطنية، ولمختلف البلدان، على اختلاف درجات تطورها، وهيكلها الاقتصادية والاجتماعية. لذلك، ما أن تظهر أعراضه داخل اقتصاد ما، حتى تسارع الجهات الرسمية المسؤولة عن الوضع الاقتصادي للبلد المعني، بتبني إجراءات اقتصادية معينة، تتناول الشروع في تطبيق العديد من السياسات المالية والنقدية، لكبح جماح معدلات التضخم، التي إذا ما تركت دون علاج، فقد تتسبب باختلالات هيكلية داخل الاقتصاد الوطني، وتضرب العديد من مؤشراتته الرئيسية.

### أولاً - مفهوم وتعريف التضخم

لا يختلف الاقتصاديون كثيراً على مفهوم التضخم أو تعريفه، بقدر اختلافهم على أساليب معالجته أو ضرورته في بعض الأحيان اقتصادياً، لتشجيع الاستثمار وزيادة معدلات النمو الاقتصادي.

### 1- مفهوم التضخم

يَسْهُلُ "معدل التضخم" الكثير من وقت الاقتصاديين في أي بلد كان، كون ارتفاع هذا المؤشر يترك آثاراً غير محمودة على مختلف الجوانب والسياسات الاقتصادية، سواءً على صعيد الاقتصاد الجزئي وجوانبه المتعددة، أو على صعيد الاقتصاد الكلي ومؤشراته في سياق الاستثمار، والاستهلاك، وسعر الصرف، ومستوى الصادرات، وغيرهم.

لذلك، يمكن القول بأن التضخم وآثاره لا يقتصر على جانب محدد من الاقتصاد الوطني، بل إن ارتفاع معدله يعدّ قضية هامة، تشغل صانعي السياسة الاقتصادية، كون التضخم يترك آثاراً سلبية على مختلف القطاعات وفروع الاقتصاد الوطني من جهة، وضرورة قيامهم بتحقيق الاستقرار في مستويات الأسعار، التي تأخذ بالارتفاع، وتلحق أضراراً بالجوانب الاقتصادية والاجتماعية، وحتى السياسية في البلد المعني من جهة أخرى.

إذاً، لا يقتصر مفهوم التضخم على ارتفاع مستويات الأسعار، ولو أنه الصورة الحقيقية له، بل يتجاوز ذلك، بإحداث حالة من التخلخل البنيوي داخل الاقتصاد الوطني، إذا ما تُرك بدون معالجة، قد تكون له عواقب وخيمة على البلاد، ومواطنيه.

التغير الرئيسي الذي يحدث بعد ارتفاع معدل التضخم، هو تغير في الرقم القياسي لأسعار المستهلكين، والذي يزداد مع كل زيادة في معدل التضخم، وهو يعكس تراجع قدرة الأفراد على تأمين نفس كمية السلع والمواد، التي كان بمقدورهم تأمينها قبل ارتفاع معدل التضخم.

بقي أن نذكر، أن للتضخم أنواع عديدة، فهناك التضخم الزاحف أو المعتدل، والتضخم المتسارع، والتضخم الجامح، التضخم المستورد، التضخم بدفع الطلب، التضخم بدفع ارتفاع تكاليف الإنتاج.

## 2- تعريف التضخم

لا يوجد اختلاف كبير -من الناحية النظرية- في إعطاء الاقتصاديين تعريفاً للتضخم، بل تدور معظم التعريفات حول ارتفاعات مستمرة في مستويات الأسعار، أو زيادة في مستويات الطلب الكلي عن العرض الكلي. وبالاستناد إلى ذلك، يمكن تعريف التضخم بأنه الزيادة المستمرة في أسعار السلع والخدمات، الناجم عن الفائض في حجم الطلب الكلي عن العرض الكلي، والذي ينتج أثرين رئيسيين، الأول: نقدي، يتمثل في تراجع قيمة العملة المحلية، والثاني: مالي، يتمثل في تراجع القدرات الشرائية لدى الأفراد.

من خلال التعريف السابق، يمكننا أن نقف على عدة جوانب رئيسية في مسألة التضخم، وهي:

- أن التضخم يعكس حالة ارتفاع عامة في مستويات الأسعار. وهذا يعني أن هذا الارتفاع لا يقتصر على قطاعات محددة أو سلعاً وخدمات بعينها، بل تشمل جميع السلع والخدمات، وفي جميع القطاعات داخل الاقتصاد.
- إن التضخم هو ارتفاع مستمر في مستويات الأسعار، وليست حالة اقتصادية مؤقتة تنتهي بانتهاء المسبب الرئيسي لها.

- بالدرجة الأولى، يشعر بآثار التضخم السلبية، الشريحة ذات الدخل المحدودة، لأنها ستفقد أجزاءً متلاحقة من قدراتها الشرائية، نتيجة ارتفاع الأسعار المستمر أو انخفاض قيمة العملة المحلية.

- يترك التضخم أثراً مباشراً على سعر صرف العملة المحلية، حيث تفقد نسباً متلاحقة أيضاً من قيمتها، وبالتالي تنخفض قوتها الشرائية، مما يؤثر على قدرات المستهلكين الشرائية، ويدفع باتجاه إضعاف إمكاناتهم في تأمين قوتهم اليومي، وخاصة الشرائح ذوات الدخل المنخفضة أصلاً.

### ثانياً - أسباب التضخم

يعكس ظهور التضخم، وارتفاع معدله، داخل اقتصاد ما، حدوث مجموعة من الضغوطات التضخمية، التي تدفع به نحو الأعلى. وهذه الضغوطات قد تشمل ضغوطات تدفع بالطلب الكلي نحو تجاوز مستوى الاستخدام الكامل، أو ضغوطات تقيد العرض الكلي، وتبقيه دون مستوى الاستخدام الكامل. وفي الحالتين يتم تحفيز التضخم، وتبدأ آلياته بالعمل داخل مفاصل الاقتصاد الوطني، وسرعان ما تظهر آثاره على القطاعات الاستهلاكية بالدرجة الأولى، لتنتقل إلى القطاعات الإنتاجية، فترتفع الأسعار في جميع القطاعات وبشكل مستمر.

لذلك، يمكن تقسيم أسباب، أو محفزات التضخم إلى قسمين:

#### 1- أسباب تتعلق بجانب الطلب

لا جدال في أن ارتفاع مستويات الطلب عن العرض الكلي من السلع والخدمات يحفز على التضخم، وتقف وراء ذلك العديد من الأسباب، التي تدفع بالطلب نحو الزيادة، يمكن توصيفها اقتصادياً بالسياسات التوسعية، وهي:

أ- ارتفاع الإنفاق العام بشقيه الاستثماري والجاري.

ب- التوسع في منح الائتمان من قبل المصارف.

ت- إصدارات نقدية جديدة بدون تغطية لا إنتاجية ولا من العملات الصعبة.

ث- انخفاض معدلات الفائدة، ومعدلات الضرائب.

إن جميع الأسباب المذكورة أعلاه، تدفع بالطلب الكلي نحو الزيادة، وبالتالي تتشكل محفزات التضخم داخل الاقتصاد، وفي حال كان الجهاز الإنتاجي غير قادر على تلبية هذه الزيادة في الطلب، سيؤدي ذلك إلى ارتفاع في مستويات الأسعار، ويبدأ التضخم.

## 2- أسباب تتعلق بجانب العرض

قد يقود تخلف العرض الكلي عن تلبية احتياجات الأسواق المختلفة إلى حدوث محفزات للتضخم داخل الاقتصاد، وهذا من شأنه أن يتسبب بارتفاع في مستويات الأسعار، وحدث التضخم.

من الأسباب التي تتعلق بجانب العرض نذكر:

- أ- عدم مرونة أو عجز الجهاز الإنتاجي عن زيادة حجم العرض الكلي.
- ب- ارتفاع أسعار عناصر الإنتاج، أو قلة توافرها.
- ت- عدم توفر رؤوس الأموال الثابتة، وقلة الأصول الإنتاجية.
- ث- ضعف مستويات الاستثمار، بسبب عدم توفر رؤوس الأموال، وارتفاع معدلات الفائدة والضرائب.
- ج- اتباع سياسات مصرفية تقيد من منح الائتمان، والتسهيلات المصرفية، وخاصة المتعلقة بفتح الاعتمادات المصرفية.
- ح- مشاكل مختلفة قد تتعلق بسلاسل التوريد، وعمليات إيصال السلع والمنتجات إلى منافذ البيع والتوزيع.

## ثالثاً- آثار التضخم

ذكرنا في معرض حديثنا عن مفهوم التضخم أن له أثرين رئيسيين، أحدهما مالي، يتعلق بتراجع القدرات الشرائية للأفراد، والثاني نقدي، يتعلق بانخفاض قيمة العملة المحلية. إن هذين الأثرين يتركان بصماتهما بقوة داخل مختلف قطاعات الاقتصاد الوطني، وداخل الوحدات الإنتاجية فيه، كما يطلان الحياة الاجتماعية، ليحدثا فيها هزات متلاحقة، ما لم تسارع السلطات الاقتصادية إلى القيام بإجراءات الحد من جماح التضخم، وإلا فإنه يتزايد ككرة الثلج، نتيجة الارتدادات النفسية لدى الأفراد والمنظمات الاقتصادية، فكل منها لا شك أنه سيتخذ تدابيرها الخاصة للحفاظ

على قيمة ممتلكاته وأصوله من الانخفاض، الذي قد يصل لحد الانهيار في فترات متقدمة من التضخم.

وفيما يلي، سنقف عند بعض أهم الآثار الاقتصادية والاجتماعية للتضخم، والتي يمكن إيجازها كالتالي:

### 1- الآثار الاقتصادية للتضخم

يترك التضخم آثاراً اقتصادية خطيرة على جميع القطاعات الرئيسية داخل الاقتصاد الوطني، وإذا ما تُرك دون معالجة، فإنه سيحدث اختلالات هيكلية، يمكن أن تسير بالاقتصاد المعني نحو الهاوية. ومن أهم آثار التضخم الاقتصادية يمكننا أن نذكر ما يلي:

#### أ- انخفاض القوة الشرائية للعملة المحلية

تعرف القوة الشرائية للعملة، بأنها "كمية السلع والخدمات، التي يمكن شراؤها بوحدة النقد". وفي حال حدوث التضخم، تفقد العملة المحلية جزءاً من قوتها الشرائية، فتتخفص كمية السلع والخدمات التي كان يمكن الحصول عليها بنفس وحدة النقد، مما يؤدي إلى بداية فقدان الثقة بالعملة المحلية، لتتقد معها واحدة من أهم وظائفها كمخزن لحفظ الثروة، فيبدأ الأفراد بتحويل مدخراتهم إلى عملات أخرى أكثر ثباتاً من العملة المحلية، أو شراء العقارات أو المعادن الثمينة، كوسائل يستخدمها هؤلاء لحفظ الثروة.

#### ب- انخفاض القدرة الشرائية للمستهلكين

لعل من أخطر آثار التضخم زيادة الأعباء المالية لدى المستهلكين، وخاصة ذوي الدخل المحدودة، فمع زيادة معدل التضخم ترتفع أسعار السلع والخدمات لدرجة يصبح معها أصحاب الدخل المحدودة غير قادرين على تأمين احتياجاتهم الأساسية بنفس كمية دخولهم السابقة، خاصة وأن هؤلاء يخصصون الجزء الأكبر من هذه الدخل أساساً -نتيجة قلتها- لشراء السلع والمنتجات الغذائية، ومع اشتداد التضخم، تزداد أعباؤهم المالية أكثر فأكثر، فينحدر الكثير منهم إلى حدود خط الفقر أو ما دونه، بسبب عجزهم عن تأمين مستلزمات حياتهم اليومية.

## ج-انخفاض القدرة على الادخار

يشكل الادخار الرافعة المالية الرئيسية للاستثمار، ومع حدوث التضخم يبدأ الأفراد ومعهم الحكومات ومنظمات الأعمال بتخصيص الجزء الأكبر من موازنتهم للإنفاق الاستهلاكي أو الجاري، وبالتالي تنخفض القدرة على الادخار لدى تلك الوحدات الاقتصادية، مما يترك آثاراً مباشرة على تراجع حجم الاستثمار، سواءً من جهة عدم تأسيس مشاريع جديدة، أو عدم التوسع في المشاريع القائمة، الأمر الذي يقلل من فرص العمل والتوظيف، ويؤثر بالتالي على مستويات الدخل الكلية داخل الاقتصاد الوطني، وبالتالي يقلل من القدرات الشرائية لدى المستهلكين، ويصعب عليهم فرص الحصول على احتياجاتهم الأساسية على أقل تقدير.

## د-أثر التضخم على الإنفاق العام

لا شك أن التضخم يترك آثاراً خطيرة أيضاً على الموازنة العامة للبلد المعني. حيث تضعف قدرة الحكومة على تمويل إنفاقها العام بشقيه الجاري والاستثماري، لأن ارتفاع معدلات التضخم يبتلع القدرة المالية للإيرادات الحكومية، التي تذهب إلى الإنفاق العام. مما قد يدفع الحكومة إلى اللجوء إلى سياسات مالية أو نقدية، كالتمويل بالعجز (الاستدانة من المصرف المركزي)، أو إصدار كميات جديدة من النقد بدون تغطية، الأمر الذي يخلق محفزات ذاتية جديدة لتزايد معدل التضخم، ودفعه باتجاه الأعلى، وبالتالي إحداث اختلالات بنيوية داخل القطاع الحكومي، وفي الأسواق عامة، تتجم عن تزايد كميات النقد المعروضة للتداول، والمقترنة بعجز المؤسسات الإنتاجية عن زيادة كميات المعروض من السلع والمنتجات داخل الاقتصاد الوطني. خاصة وأن معظم الإنفاق الحكومي سيتم توجيهه حينها إلى الشق الاستهلاكي، مما يرفع من مستويات الطلب، ويدفع بالتالي معدل التضخم نحو الزيادة مرة أخرى.

## هـ-التوجه نحو الأنشطة الاقتصادية غير الإنتاجية

نتيجة لزيادة نسبة الدخل المخصص لشراء السلع الاستهلاكية بسبب التضخم وارتفاع الأسعار، فقد يلجأ المستثمرون إلى القطاعات الاستهلاكية لسد الطلب المتزايد على السلع الاستهلاكية، لأن هذه القطاعات ستحقق لهم أرباحاً أعلى لا محال، فتقل رؤوس الأموال الموجهة نحو الاستثمار في القطاعات الأساسية، الأمر الذي يُضعف من البنية الإنتاجية والاقتصادية

للاقتصاد المحلي، ويزيد من اعتماد البلد على السلع المستوردة، التي قد تكون أرخص من تلك المنتجة داخل البلد. لأن التضخم يرفع من تكاليف الإنتاج، وبالتالي أسعار المنتجات.

هذا الأمر كفيل بإحداث اختلالات هيكلية داخل الاقتصاد الوطني، تتخفف معها نسبة مساهمة القطاعات الإنتاجية في الناتج المحلي، وينخفض معها الناتج المحلي ذاته، فينشط قطاع التجارة والخدمات، على حساب تراجع نشاط قطاعات الصناعة والزراعة، فتحدث تغيرات هيكلية داخل الاقتصاد، تساهم من جديد في تكوين دوافع ذاتية لتنشيط التضخم، والدفع به نحو الأعلى.

### و- الأثر على ميزان المدفوعات

يعدّ ميزان المدفوعات مرآة للاقتصاد الوطني، من حيث إظهار قدراته الإنتاجية، وقوة بنيته الاقتصادية؛ وهنا يمكن للتضخم أن يترك آثاراً سلبية واضحة عليه، حيث تزداد كمية المستوردات على حساب تراجع كمية الصادرات، نتيجة تراجع القدرة الإنتاجية والاستثمارية داخل الاقتصاد الوطني بسبب التضخم، مما يتسبب بحدوث عجز في الميزان التجاري، الذي ينتقل بدوره إلى ميزان مدفوعات البلد. إضافة إلى أن التضخم سيقيد من دخول رؤوس الأموال المباشرة وغير المباشرة إلى البلد، بسبب عدم الاستقرار المالي، وتذبذب أسعار الصرف، إضافة إلى أن الحكومة يمكن أن تفرض قيوداً على مسألة تحويل الأرباح أو الأموال إلى خارج البلد. على الجانب الآخر، سيدفع التضخم برؤوس الأموال إلى الهروب من الداخل، والبحث عن وجهة أخرى، وأماكن أكثر استقراراً للاستثمار فيها. كل ذلك سيتسبب بعجز في ميزان المدفوعات، وبالتالي سيظهر عجز الاقتصاد الوطني عن حل مشكلاته، وتقليل حجم الصعوبات التي تواجهه نتيجة التضخم.

### ز- الأثر على الجهاز المصرفي

تتعرض المصارف، في ظل معدلات تضخم مرتفعة تزيد عن معدلات الفائدة، إلى مخاطر حقيقية قد تصل إلى درجة التعسر المالي لديها، مما يضعف قدرتها على القيام بوظائفها الرئيسية، وخاصة تمويل الاستثمار، وتقديم القروض للمستثمرين وأصحاب المشاريع، الأمر الذي يضعف من نسبة الاستثمار، وبالتالي التوظيف والعمل داخل الاقتصاد الوطني، إضافة إلى تراجع في أعداد المشروعات الإنتاجية، بسبب تحجيم قدرات المستثمرين، وعدم تلقيهم الدعم

اللازم من الجهاز المصرفي، مما سيضعف من البنية الإنتاجية للاقتصاد الوطني، وزيادة توجه نحو اعتماده على المستوردات الخارجية، وفي ظل عدم توفر الكميات الكافية من العملات الصعبة، التي يجب أن يتم تمويل المستوردات بها، ستضطر الحكومة إلى الاستدانة من الخارج، وبالتالي تصبح رهينة لسياسات المنظمات المالية الدولية، أو تابعة للدول التي تقبل تقديم الأموال اللازمة لها.

النقطة الأخرى التي قد تُحدث تعسر مالي لدى المصارف، هي أن قيمة أقساط القروض التي ستحصلها من عملائها ستخفض نتيجة التضخم، مما سيسبب لها خسارات متلاحقة تزيد من صعوباتها المالية، وتحد من قدرتها على تقديم القروض مرة أخرى، أو المساهمة في إقامة مشاريع واستثمارات جديدة داخل الاقتصاد الوطني.

إضافة إلى ذلك، وفي ظل ارتفاع معدل التضخم، يحجم الأفراد عن إيداع أموالهم لدى البنوك، لعدة أسباب، منها ما يتعلق بانخفاض قيمتها مستقبلاً، ومنها ما يتعلق بمخاوف من إجراءات حكومية قد تشكل صعوبات أمام سحب هذه الأموال، من حيث الكمية والتوقيت التي يريدها أصحابها. كل ذلك سيحد من قدرات المصارف، وتصيب الجهاز المصرفي بشلل مالي ستدفع بعضها إلى الإغلاق أو مغادرة البلد إذا كانت فروعاً لبنوك خارجية، وستدفع بعضها الآخر إلى اتباع أساليب واستخدام أدوات تؤمن لها القدرة على الاستمرار، حتى وإن كانت تلك الأدوات أو الإجراءات غير مفيدة على صعيد الاقتصاد الوطني، مما سيلحق به أضراراً جديدة تزيد من التحديات والصعوبات فيه.

## 2- الآثار الاجتماعية للتضخم

كلما زادت الآثار السلبية الاقتصادية الناجمة عن التضخم، كلما انعكست آثاراً اجتماعية داخل البلد المعني. فمن الطبيعي أن تزداد حدة الفقر، والأعباء المالية خاصة على الأفراد المستهلكين، وأصحاب الدخول المحدودة، إذا علمنا أن التضخم يزيد من مستويات تدفق الأموال والثروة تجاه الأغنياء على حساب الفقراء، الأمر الذي سيعتري آثاراً اجتماعية خطيرة، تتمثل فيما يلي:

أ- تزايد أعداد الفقراء، وانحدار نسبة عالية من الطبقة المتوسطة إلى المستويات الدنيا، نتيجة صعوبات تأمين المستلزمات الرئيسية، والتراجع الكبير في القوة الشرائية للدخل الذي يحصلون عليه.

ب- تزايد أحزمة الفقر حول المدن، وزيادة نسبة العشوائيات السكنية فيها، بكل ما تشكله هذه الأحزمة والعشوائيات من بيئات لزيادة نسب الجريمة، وانتشار المخدرات، وبالتالي الابتعاد عن التعليم، والعمل الإنتاجي.

ت- تزايد أعداد العاطلين عن العمل، وبالتالي تزايد معدلات البطالة، وخاصة لدى فئة الشباب، مما يقتل فيهم روح المبادرة، ويدفعهم إما نحو الهجرة، أو القيام بأعمال غير مشروعة، تضر بالاقتصاد الوطني وبالمجتمع معاً، كالتهرب، وتجارة المخدرات، وحتى القيام بعمليات السطو والنصب على الآخرين.

ث- قد تخلق مثل هذه الأجواء الفقيرة، ومغلقة الأفق، والشباب ممن فقدوا الأمل في المستقبل، بيئة ملائمة لإنتاج الفكر الإرهابي المتطرف، والتحاق الكثير من هؤلاء الناس بالجماعات الإرهابية، والقيام بأعمال خطيرة.

ج- التقتت الأسري، وانغماس الشباب في أجواء غير اعتيادية، نتيجة عدم القدرة على تأمين المستلزمات الرئيسية لحياة الأسرة. إضافة إلى ذلك، فإن العديد من أرباب هذه الأسر قد تدفع بأبنائها الصغار نحو سوق العمل، مع كل ما سيترتب على ذلك من تسرب من المدارس، والابتعاد عن التعليم، والمزيد من الصعوبات مستقبلاً، بشأن تكوين أسرة، والبيئة التي ستعيش فيها.

## الفصل الثاني -أسباب ظاهرة التضخم الحالي في الاقتصاد العالمي وآثاره

دخل العالم خلال الفترة الحالية إلى حقل التضخم المليء بالألغام، والذي يمكن أن يحدث انفجارات في كل الاتجاهات، ما لم يتم التوصل إلى تفاهات واتفاقات بين الاقتصاديين من جهة، وبين السياسيين من جهة ثانية. ف للمرة الأولى منذ 30 عاماً أصبح التضخم القضية السياسية البارزة<sup>24</sup>.

ويشهد الاقتصاد العالمي موجة جديدة من التضخم، سرت في الاقتصادات القوية التي سيكون لها ارتدادات قوية -ولا شك -على معظم اقتصادات دول العالم. فقد شهد اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية -وهو الاقتصاد الأكبر في العالم -ارتفاعاً في معدلات التضخم، لم يشهد لها مثيلاً خلال العشر سنوات الماضية، تجاوزت معدل 6% على أساس سنوي، كما وصل التضخم في اقتصادات دول الاتحاد الأوروبي 4.1% في أكتوبر تشرين الأول من العام الماضي، أما في روسيا فتجاوزت 7.78% مقارنة بالعام 2020، في حين تجاوز في تركيا حاجز 20%.

وتشير الكثير من التقارير الاقتصادية حول العالم بأن مؤشرات أسعار الإنتاج وأسعار المستهلكين تشهد ارتفاعات مستمرة. فقد أشارت تقارير رسمية صينية، أن "مؤشر سعر الإنتاج، الذي يستخدم لقياس كلفة البضائع، التي تباع للشركات، شهد ارتفاعاً بنسبة 10.7%<sup>25</sup> خلال الشهر التاسع من العام 2021.

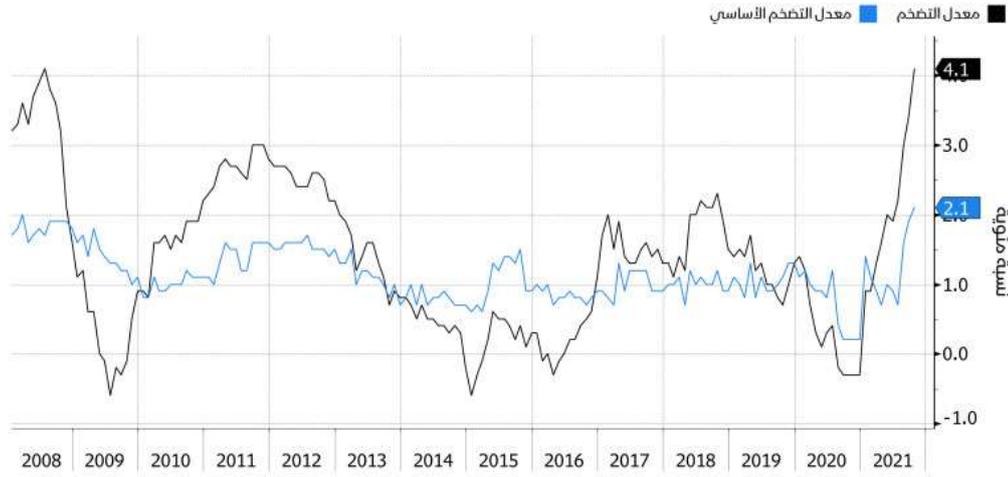
اللوحة التالية توضح تسارع معدل التضخم في دول الاتحاد الأوروبي:

<sup>24</sup> - راندي كروسزير، التضخم: هل علينا أن نقلق الآن - تحليل في صحيفة فاينانشيال تايمز-موقع مصرراوي -  
[/https://www.masrawy.com](https://www.masrawy.com) 2021/11/21

<sup>25</sup> - الجزيرة نت، التضخم يضرب أميركا وكافة أنحاء العالم.. هل يستمر في التقاوم؟ 2021/10/20  
[/https://www.aljazeera.net](https://www.aljazeera.net)

## الأقوى منذ 2008

تسارع معدل التضخم في منطقة اليورو إلى 4.1% في شهر أكتوبر



Bloomberg

المصدر: مكتب الإحصاء التابع للاتحاد الأوروبي

### أولاً - أسباب التضخم الحالي في الاقتصادات العالمية

لن يلقى المتابع للقضايا الاقتصادية العناء الطويل لمعرفة أسباب ظاهرة التضخم الحالية التي تجتاح الاقتصاد العالمي. تقسم هذه الأسباب إلى قسمين: الأول، أسباب مباشرة، تتعلق بالسياسات والإجراءات الاقتصادية في كل دولة على حدة. والقسم الثاني: يتعلق بالأزمة البنوية داخل النظام الرأسمالي العالمي، وطريق سيره، في سعي كبرى شركاته المستمر نحو تحقيق المزيد من الأرباح.

#### 1- الأسباب البنوية للتضخم الحالي

لا يمكننا فصل مسار الواقع الحالي للتضخم الذي تعيشه الاقتصادات العالمية -والتي يمكن وصفها بالأزمة - عن الأزمة المالية التي عصفت بالنظام العالمي قبل عشر سنوات. والتي جاءت نتيجة السياسات الليبرالية، التي تبنتها الدول الرأسمالية بداية الثمانينات من القرن المنصرم. والتي كان لها بالغ الأثر في توسع الرأسمال الاحتكاري، وسطوته على السياسة والاقتصاد والبنى الثقافية والاجتماعية.

يشير "تسو أندونغ"<sup>26</sup> في مقال نشره في غلوبال تايم، بأن الرأسمال الاحتكاري ألغى الحواجز الاجتماعية، وسهل الإنتاج، والتبادل، والتوزيع، والاستهلاك؛ وأعاد تشكيل العالم، بما يتلاءم مع طبيعته، وأن الأزمة المالية الاقتصادية العالمية كانت من نتائج التناقض بين الاحتكارات وإلغاء الحواجز"<sup>27</sup>. من هنا يمكننا التركيز على بعض العوامل البنوية في تحفيز التضخم والتي قد تكون سبباً في تشكيل الضغوط التضخمية داخل الاقتصاد العالمي حالياً:

- تُعدُّ سياسات الرأسمالية الربعية، التي تضمن استمرار آليات إعادة إنتاج الهيمنة والنفوذ الاحتكاري للشركات الكبرى على الواقعين السياسي والاقتصادي، تعد واحدة من مسببات التضخم. وذلك من خلال سحب جزء من القيمة الفائضة المتشكلة أثناء خلق القيمة، عن طريق استغلال القوة العاملة، كما يشير لذلك ماركس، حيث "يملك أصحاب الأصول غير المنتجة الاحتكاريين القدرة على منع اندماج فائض القيمة مع العملية التنافسية لتدفقات رأس المال"<sup>28</sup> بمعنى يتم تقليل الأموال الموجهة للاستثمار في الأصول المنتجة، الأمر الذي يؤثر على العرض والتوظيف، ويزيد من رؤوس الأموال في القطاعات غير المنتجة، مما يزيد من مستوى الطلب الكلي، مقابل انخفاض مستويات العرض.
- السعي المستمر للشركات الاحتكارية الكبرى لتحقيق المزيد من الأرباح، جعلها تدفع بالمزيد من الاقتصادات الكبرى نحو الاعتماد على ما يسمى بـ "الأموال"، بمعنى الاعتماد بشكل كبير على القطاع المالي، وعملياته المختلفة في تمويل الاقتصاد، والتي مكّنت القطاعات الاحتكارية من تحقيق المزيد من الأرباح، التي يمكن القول عنها بأنها وهمية، وتسببت بخلق أزمات مالية لم تقتصر على الجهاز المصرفي الائتماني، بل امتدت إلى معظم القطاعات الاقتصادية، وحتى إلى خارج الحدود، نتيجة التشابكات المالية القوية على الصعيد العالمي.

كان من أهم نتائجه تراجع في نمو الإنتاجية كنتيجة مباشرة لضعف الاستثمارات والأنشطة الاقتصادية في القطاعات الإنتاجية، في مقابل تزايد الأهمية النسبية، للقطاع

<sup>26</sup> عميد مشارك في الكلية الماركسية في جامعة تسنيغهاوا

<sup>27</sup> تسو أندونغ، الرأسمالية تواجه أزمة بنوية - موقع الأخبار 2020/3/2 <https://al-akhbar.com>

<sup>28</sup> مايكل روبرتس، اقتصاد ريعي - مقال في موقع الأخبار 2019/10/14 - نقلاً عن مقال مطول للكاتب الاقتصادي المعروف

مارتن وولف المنشور في صحيفة فايننشال تايمز <https://al-akhbar.com/Issues/277745>

- المالي والقطاعات الريعية الاحتكارية في تكوين الناتج المحلي، وهي في غالب الأحيان تكون عبارة عن فقاعات، سواءً تعلق الأمر بالفائدة، أو بالربح، كفقاعة العقارات مثلاً.
- ازدياد التفاوت الطبقي، نتيجة تركيز السوق، ورأس المال، وارتفاع الأرباح الاحتكارية، وخاصة في الشركات الكبيرة والمتعددة الجنسيات، المتخصصة في التكنولوجيا وتطبيقات وسائل التواصل الاجتماعي. نجم عن ذلك زيادة في كميات الأموال المتدفقة ضمن الحسابات البنكية، وبالتالي زيادة في حجم الطلب الكلي، يترافق ذلك مع ضعف النمو الاقتصادي، الذي ينعكس -ولا شك- ضعفاً في الاستثمار، وبالتالي في الربحية العامة لرأس المال، وهذا ما دفع "مارتن وولف" إلى القول إن "القوة الاحتكارية هي التي تبقي نمو الاستثمار منخفضاً وليس انخفاض الربحية العامة"<sup>29</sup> مما يقوّض من قدرة المنتجين على مجارة الطلب، ويتسبب بحدوث التضخم.
- جوهر النظام الرأسمالي الحالي يتمثل في سيطرة كبرى الاحتكارات العالمية، وليس كما يروج له من خلال منابره الإعلامية الضخمة، بأنه يعتمد على السياسات "النيوليبرالية المعولمة"، وهذه الاحتكارات ذات صبغة مالية بالدرجة الأولى، الأمر الذي يُفهم منه أن أولوية الهيمنة الاقتصادية والنفوذ باتت تتركز في مسألة إعادة توزيع الأرباح، والمزيد من الأرباح المتأتاة من المنتجات المشتقة من التوظيفات المالية.
- وبذلك، فإنه دائماً ما كان خلال العقدين الماضيين يتم التركيز على الاستثمارات المالية، التي لا تقتصر على التوظيف الرأسمالي في المصارف والبنوك وشركات التأمين، بل يتعدى ذلك إلى الجماعات الاحتكارية نفسها، العاملة في الإنتاج الصناعي وقطاع النقل والخدمات، وهذا الواقع لا يسمح بنمو البنية الإنتاجية إلا بنسب ضعيفة، لأنه يتم سحب نسب عالية من الربح، أو من القيم الفائضة المتحققة، ليتم إعادة توزيعها على أطراف رأس المال الاحتكاري، بدلاً من أن يتم إعادة توظيفه لتقوية البنية الإنتاجية وزيادة الاستثمارات والتوظيف، وبالتالي يتم توزيع الثروة بشكل مباشر لصالح الأغنياء من جديد، فيزدادون ثراءً، ويرفعون من مستوى وحجم الطلب الكلي في السوق، مقابل ضعف الإنتاج ومعدلات نمو بائسة، تُدخل البلد المعني في أزمة ركود تضخمي، فتزداد معدلات التضخم، ويفقد الفقراء معها قدرتهم على تأمين حياة لائقة لهم ولأسرهم.

<sup>29</sup> المرجع السابق.

إذاً، يمكننا التأكيد على أن آليات التطور الرأسمالي -كعملية تاريخية- تقود بلا شك إلى حدوث أزمات مختلفة، لا تقتصر على الدول الرأسمالية وحدها، بل تنساق على اقتصادات باقي دول العالم، سواءً بشكل مباشر أو غير مباشر، والتي تمثلت مؤخراً في الأزمة المالية نهايات العقد الماضي، وأزمة التضخم الحالية، التي تجتاح الاقتصاد العالمي؛ وسيكون هناك أزمات مستمرة، كون أية إجراءات تتخذها الدول الرأسمالية، يكون لها تبعات وانعكاسات داخل الاقتصاد الحقيقي، أي الإنتاجي.

## 2- أسباب مباشرة للتضخم الحالي

شهدت اقتصادات دول العالم ارتفاعاً غير طبيعياً في معدل التضخم خلال العام الفائت. فقد ارتفعت أسعار السلع والخدمات إلى مستويات قياسية، ترافق ذلك مع ارتفاع في أسعار مصادر الطاقة، والآثار العويصة التي خلفها انتشار فيروس كورونا، الأمر الذي انعكس ارتفاعاً في التكلفة داخل باقي القطاعات الاقتصادية المختلفة، مما دفع بالعديد من خبراء الاقتصاد حول العالم إلى التحذير من عواقب الأزمة الحالية، وأن ارتفاع الأسعار الحالي يشبه ما حدث في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وتحديداً بين عامي 1946 و1948<sup>30</sup> التقت العديد من الأسباب في ظرف تاريخي واحد، أدت بنتيجتها إلى أن اجتاحت التضخم كبرى الاقتصادات العالمية، وارتدت انعكاساتها على معظم الاقتصادات العالمية، المتقدمة منها والمتخلفة، وكذلك النامية، فما هي تلك الأسباب؟

### أ- تداعيات فيروس كورونا

دخلت معظم الاقتصادات العالمية في حالة ذهول ومفاجأة غير متوقعة بظهور وانتشار جائحة كورونا "كوفيد19"، التي تركت آثاراً أقل ما يمكن أن يقال عنها بأنها خطيرة للغاية. فقد توقفت عجلة الإنتاج لدرجة كبيرة، وشُلَّت الحركة الاقتصادية في العديد من البلدان، وفقدت أخرى السيطرة على خطوط انتشار الفيروس، وأصيب القطاع الصحي بفاجعة، حيث لم تستطع كبرى

<sup>30</sup> الخبير الاقتصادي بول كروغمان - الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد - الجزيرة نت - 2021/11/18

[/https://www.aljazeera.net](https://www.aljazeera.net)

المختبرات الطبية في العالم أن تسيطر على المرض، أو حتى التوصل إلى تبيان الأسباب الحقيقية لظهوره.

لقد أدى انتشار هذا الوباء إلى خلق حالة اقتصادية جديدة، قامت خلالها الدول ذات الاقتصادات الغنية بالعديد من الإجراءات الهادفة إلى الحفاظ على القدرة الشرائية للأفراد، ومنظمات الأعمال، وقد بالغت بعض الحكومات بالإفراط في السياسات النقدية التوسعية والميسرة، مما أدى إلى زيادة حجم النقود لدى الأفراد، كما أنها صرفت مبالغ كبيرة ضمن هذا السياق، الأمر الذي ساهم في زيادة حجم المدخرات العائلية بالدرجة الأولى، نتيجة الحجر العام في معظم البلدان، وقلّة القنوات الاستهلاكية، التي كان يمكن من خلالها صرف كل هذه المبالغ، مع استمرار الاغلاق بسبب انتشار الوباء.

تقول الاحصائيات الرسمية، أن حجم هذه المدّخرات ازداد "بنسبة 25% في دول الاتحاد الأوروبي، وبنسبة 30% في الولايات المتحدة الأمريكية، خلال عام 2020"<sup>31</sup> وهذا ما يمكن أن يفسر لنا ارتفاع مستوى الطلب الكلي خلال العام المذكور، مقارنة بتراجع حجم العرض، نتيجة توقف الحياة الاقتصادية، والإغلاق شبه التام داخل مختلف بلدان العالم.

العديد من الآثار الاقتصادية الأخرى تركها انتشار هذا الوباء حول العالم، وعجزت الحكومات عن السيطرة عليه، وسنأتي على ذكرها في بنود متصلة أخرى، كلٌّ ضمن سياقه الاقتصادي المعلوم.

### ب- انتعاش في الطلب وتقييد في العرض

ما ذكر أعلاه، في البند السابق، يشير إلى سلسلة من حلقات متلاحقة، بدأت بالإجراءات الحكومية النقدية الميسرة وضخ السيولة الرخيصة، مما رفع من مستوى الطلب الكلي مقارنة بالتوقف شبه التام في حلقات الإنتاج المادية والأساسية، نتيجة الإجراءات الاحترازية المتخذة بشأن انتشار جائحة كورونا، والتي أدت إلى توقف النشاط الاقتصادي، وانخفاض مستويات الاستهلاك بشكل كبير.

<sup>31</sup> الجزيرة نت، التضخم يضرب أميركا وكافة دول العالم .. هل يستمر في التقاوم؟ - 2021/10/20 -

<https://www.aljazeera.net> / الجزيرة نت.

ثم تسببت حزم التحفيز المالي، التي قدمتها الحكومات الغربية لدعم البنى التحتية، وتعزيز إنعاش اقتصاداتها، بتشكيل نوع من الضغوط التضخمية. "فمثلاً حكومة الولايات المتحدة قدمت نحو 4 تريليونات دولار في النصف الثاني من العام الماضي، كبرنامج دعم مالي، أما الاتحاد الأوروبي فقدم أيضاً برنامج إنعاش اقتصادي بقيمة 750 مليار يورو، ممول بقرض مشترك"<sup>32</sup>

كل ذلك، وبمجرد أن ظهرت اللقاحات، وبدأت أساليب التعايش مع المرض تظهر تباعاً في مختلف الدول، أدى إلى معاودة الطلب نحو الارتفاع لدرجة عالية ومفاجئة. ومع توفر المدخرات العالية أخذت الأسعار بالارتفاع، وخاصة السلع الغذائية بالدرجة الأولى، ثم طال الارتفاع العقارات والطاقة، ثم الأجور، لتصل معدلات التضخم لمستويات قياسية منذ 30 عاماً. فقد بلغ في الولايات المتحدة نسبة 6.2% نهاية العام الماضي، وهي أعلى نسبة منذ عام 1990.

لقد أدى تخلف العمال عن مراكز عملهم، وخاصة في المؤسسات الإنتاجية، بسبب احترازات عدوى الوباء، وانخفاض نسبة العمالة بشكل عام، على الرغم من استعداد أرباب العمل لرفع الأجور، وعدم توفر مكونات الإنتاج الرئيسية في الوقت والمكان المناسبين، أدى إلى حدوث العديد من الاختناقات في الإنتاج، وبالتالي تخلف مستويات العرض عن مواكبة الطلب المنتعش، نتيجة تزايد كميات النقود في الأسواق، فارتفعت الأسعار بشكل متسارع، ولم تستطع منافذ العرض والبيع تلبية هذا الطلب المتزايد، مع تأخر وصول شحنات المواد والسلع، وعدم توفر مساحات الشحن، وقلة وسائل النقل، وسواها من الأسباب.

### ج-تضرر سلاسل التوريد

يقول جيفري غيرتز<sup>33</sup> في معرض حديثه عن أزمة سلاسل التوريد "هناك دائماً خطر يتمثل في أننا لا ندرك نقاط الضعف إلا عندما تضرب وجوهنا"<sup>34</sup>.

<sup>32</sup> طارق الشال، التضخم فيروس متجدد يهدد الاقتصاد العالمي (تقرير) - موقع AA 2021/6/17 - [/https://www.aa.com.tr](https://www.aa.com.tr)

<sup>33</sup> جيفري غيرتز هو الزميل في برنامج التنمية والاقتصاد العالمي في مؤسسة بروكنغز.

<sup>34</sup> ليندا وانغ، كيف يمكن أن يغير فيروس كورونا سلاسل التوريد - موقع SHAREAMERICA 2020/4/23

[/https://share.america.gov/ar](https://share.america.gov/ar)

لقد أُجبر انتشار وباء كورونا الكثير من مواقع الإنتاج في العالم على التوقف عن العمل أو إبطائه في أحسن الأحوال، الأمر الذي سبب أزمات خانقة في سلاسل التوريد على الصعيد العالمي.

لقد كشف انتشار هذا الوباء هشاشة سلاسل التوريد في العالم، والسبب في ذلك يعود إلى عدة أوجه، أهمها أن التوزيع العالمي للعمل هو لصالح دول محددة، وخاصة تلك المنتجة لمكونات الصناعات المختلفة، كألمانيا والصين والولايات المتحدة، وبالتالي مع بداية عودة المصانع لمستويات التشغيل السابقة، بات على جهات التوريد أن تؤمن كمية الطلب العالية لتلك المعامل والمصانع، فأصيب سلاسل التوريد باختناقات معقدة نتيجة تركيز نقاط العرض في دول محدودة غالباً، كما أشرنا إلى ذلك.

هذا من جهة، ومن جهة ثانية وخلال فترة قصيرة تم شغل معظم مساحات الشحن والتخزين على الموانئ البرية والبحرية، كما لم تعد لدى كبرى شركات الشحن العدد الكافي من آليات النقل، ولا الأعداد الكافية من سائقي الشاحنات، لتغطية حجم الطلب الهائل على مكونات الصناعة خاصة، أو لتوريد المواد الغذائية بالدرجة الأولى، وإيصالها إلى منافذ البيع، الأمر الذي سرعان ما تسبب بارتفاع في الأسعار، بسبب الطلب المنتعش، وعدم قدرة العرض على مواكبته.

الجانب الآخر المتسبب في اختناقات سلاسل التوريد، كان سببه الاعتماد على سلاسل التوريد الطويلة، بسبب تركيز العمل والأسعار، وكمثال على ذلك نذكر "إن هاتف آيفون يحتوي على مكونات من 43 دولة"<sup>35</sup>، وهذا يعني أن توقف أحد أو بعض من سلاسل التوريد هذه سيصيب عملية الإنتاج بالاختناقات أو التوقفات. الأمر الذي سيؤدي إلى التوجه نحو المزيد من اقتصاد الأقلمة والابتعاد عن العولمة.

وخلال أزمة انتشار الوباء انقلبت الآلية، حيث انقطعت هذه السلاسل لأسباب مختلفة، إما بسبب الإغلاق، أو بسبب ترك العمال للعمل، أو إغلاق المعامل والمصانع في دول المنشأ. كما ارتفعت تكاليف الشحن، والتخزين، وحجز الحاويات، وتكلفة الوقود أيضاً، حيث شهدت أسعار الطاقة ارتفاعات متلاحقة خلال العام 2021.

<sup>35</sup> بريطانيا الأكثر تضرراً، اضطرابات التوريد تزعزع الاقتصاد العالمي - الجزيرة نت - نقلاً عن تقرير منشور في الأندبندنت البريطانية للكاتب هاميش ماكري - <https://www.aljazeera.net/ebusiness>

إذاً، بالنتيجة نستطيع القول إن الاختناقات التي أصابت سلاسل التوريد، وعدم الاعتماد سابقاً على سلاسل التوريد القريبة، أدت إلى نقص كبير في العرض، كان واحداً من الأسباب الرئيسية التي ساهمت باجتياح التضخم للأسواق وارتفاعه إلى معدلات غير مسبوقة.

#### د-ارتفاع أسعار الطاقة

لا شك أن الطاقة تشكل أهم السلع الوسيطة في الإنتاج، وإن عدم توفرها بالكميات المطلوبة سيصيب العديد من القطاعات الإنتاجية والخدمية باختناقات في الإنتاج، الأمر الذي سيؤثر على مستويات العرض لاحقاً باتجاه انخفاضها.

لقد أدى انتشار فيروس كورونا في عام 2020 إلى تخلف النشاط الاقتصادي على مستويات واسعة داخل الاقتصاد العالمي، مما انعكس تراجعاً كبيراً في مستويات الطلب الأمر، الذي أودى بشركات الاستثمار في مجال الطاقة إلى تخفيض مستويات الإنتاج، وحجم الاستثمارات في هذا القطاع الذي يشكل الدم للشريان الاقتصادي العالمي.

إن عودة انتعاش الطلب المدفوع بعودة النشاط الاقتصادي، عزز الطلب على النفط والغاز وخاصة مع دخول فصل الشتاء، وتزايد الاحتياجات إلى مصادر الطاقة، في وقت كانت فيه الإمدادات منخفضة نسبياً للأسباب المذكورة آنفاً. لذلك، فقد شهدت أسعار الطاقة خلال العام الفائت ارتفاعات متلاحقة نتيجة زيادة الطلب، بعد انحسار موجة انتشار الفيروس، أو ظهور اللقاحات على أقل تقدير. انعكس ذلك على عودة القطاعات الاقتصادية المختلفة إلى العمل، مما رفع من مستويات الطلب على الطاقة بشكل كبير، وخلال فترة قصيرة لم تستطع جهات الإنتاج، أو جهات التوريد من شركات شحن، أو موانئ التصدير، أو أعداد السفن، وسواها اللحاق بالطلب المتزايد، مما تسبب بارتفاع أسعار النفط والغاز للعقود المؤجلة وعقود التوريد.

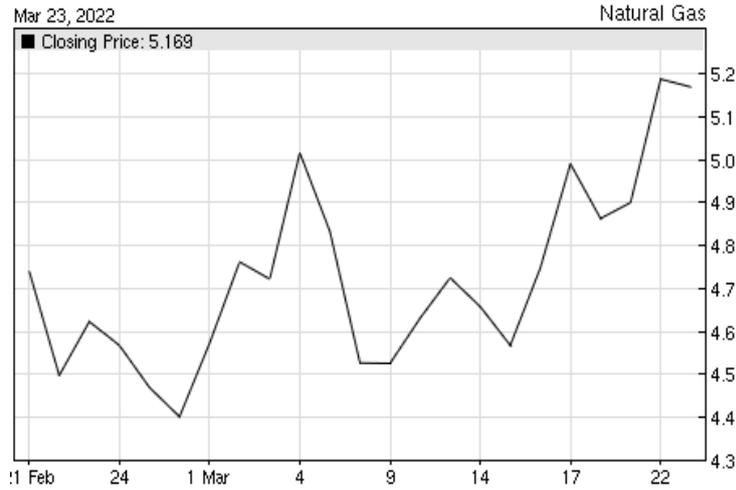
ارتفع سعر برميل النفط لأعلى مستوى له منذ سبعة أعوام، ليتجاوز 85 دولاراً نهاية العام الماضي، كذلك شهدت أسعار الغاز الطبيعي ارتفاعاً لثلاثة أضعاف مقارنة بفترة انتشار الوباء.

وما لبثت أن تواءمت الأسواق مع الأسعار الجديدة للطاقة، حتى بدأت الحرب الروسية الأوكرانية، التي سرعان ما استجابت لها أسواق الطاقة بارتفاعات جديدة للأسعار، وصلت فيها أسعار برميل النفط إلى حدود 120 دولاراً، في حين وصل سعر الغاز الطبيعي إلى 5.61 دولاراً

لكل مليون وحدة حرارية بعد بدء العقوبات الغربية على روسيا، وخشية هذه الأسواق من حظر صادرات الأخيرة من الطاقة، والتي تشكل نسباً عالية من حجم إمدادات السوق، كون روسيا من أكبر مصدري النفط في العالم، وتتبادل ذلك مع المملكة العربية السعودية من سنة إلى أخرى، وأكبر مصدري الغاز الطبيعي والفحم الحجري أيضاً. لذا فإن أية خطوة بهذا الاتجاه ستحدث هزات عنيفة جديدة في أسواق الطاقة، ويولد مخاطر لا يمكن التعامل معها، ستجر أسعار النفط، والغاز، والفحم الحجري إلى مستويات خيالية.

اللوحتين التاليتين توضحان أسعار الغاز الطبيعي والنفط في السوق العالمية بتاريخ

2022/3/23



المصدر: -FEX news <https://www.fxnewstoday.ae/commodities/naturalgas>



المصدر: موقع Investing - <https://sa.investing.com>

إن ارتفاع أسعار الطاقة -أحد أهم العناصر المكونة لتكاليف الإنتاج- انعكس مباشرة على تكلفة السلع، والمنتجات، وخدمات النقل، والمواصلات، و شحن البضاعة، وتخزينها، والتدفئة، والتكييف في المستودعات وغيرها. وتسببت الحرب الأوروبية الحالية بمزيد من ارتفاعات الأسعار، وتخفيضاً جديداً وكبيراً للتضخم لأسباب متعددة. كل ذلك رفع من أسعار السلع والمنتجات، وزاد من مستويات التضخم في الاقتصادات الأوروبية والاقتصاد العالمي على حد سواء، وصلت لأرقام قياسية منذ عقود. ففي الولايات المتحدة شهدت أسعار الجملة لمؤشر أسعار المنتجين ارتفاعاً بنسبة 9.6%<sup>36</sup> وهي نسبة غير مسبوقة منذ أكثر من 40 عاماً.

### هـ -التضخم جاء لمصلحة المدينين

العديد من الحكومات حول العالم، ونتيجة تركيزها على عدم تأثر قدرات المستهلكين الشرائية، قامت بصرف مبالغ ضخمة لمواطنيها، وغالباً ما قامت باستدانة هذه الأموال، بهدف تمويل برامج الإنعاش الاقتصادي، مما رفع من مستويات الدين العام بشكل غير مسبوق تاريخياً.

اليوم تقوم هذه الحكومات بتجاهل مستويات التضخم العالية، التي تجتاح اقتصاداتها والاقتصاد العالمي بالنتيجة، والسبب في ذلك يعود إلى نيتها في تخفيف أعباء الدين العام، وتحجيم آثار السياسات المالية الخاطئة، التي نفذتها غداة انتشار الوباء، ولتقوية قدرتها على تحسين مستوى موازنتها العامة بشكل مباشر. فالمعلوم أن التضخم يفيد المدينين، نتيجة ثبات قيمة الأقساط والفائدة، وهو لغير صالح الدائنين، بسبب تراجع قيمة النقد، وتجاوز معدل التضخم نسب الفائدة. إذاً ستعيد هذه الحكومات أموال الدائنين، ولكنها كقيمة ستكون أقل من قيمتها في تاريخ الحصول على تلك الأموال.

يدرك القارئون على مثل هذه السياسات أنها سترك آثاراً سلبية على الحالتين الاقتصادية والاجتماعية، فهي ستتسبب بارتفاع الأسعار، وتراجع حجم الاستثمارات، وتؤثر على مستويات الإنتاج، والتوظيف، وحركة الأسواق؛ ولكنهم بالمفاضلة بين ذلك وبين اتباع سياسات نقدية أكثر تشدداً، ترى بأنه يمكن التعايش مع مثل هذه الحالة الجديدة، إلى حين تتمكن من تطبيق إجراءات اقتصادية، تهدف لتحجيم مستويات التضخم والتقليل من آثاره السلبية تلك.

<sup>36</sup> ما العوامل التي ستحدد أسعار النفط خلال 2022؟- الجزيرة نت - 2021/12/30

<https://www.aljazeera.net/ebusiness>

## ثانياً-آثار التضخم الحالي على الاقتصاد العالمي

في أواخر العام الماضي، صرح "جيروم باول" رئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، بأنه "ليس متأكدًا مما إذا كان التضخم الحالي مجرد "ظاهرة عابرة"، أو أنه قد يستمر مرتفعاً لفترة طويلة".

لعل ما يحدث اليوم داخل الاقتصاد العالمي، وخاصة في تلك القوية منها، يعكس بصورة واضحة أن الاختناقات التي حدثت في سلاسل التوريد، وسياسات الإنعاش الاقتصادي التي طبقتها الحكومات، وارتفاع أسعار الطاقة، وتكاليف الشحن، والأجور، قد تسببت جميعها - وبشكل مباشر - في رفع معدل التضخم داخل الاقتصادات العالمية المختلفة، لمستويات غير مسبوقة منذ سنين طويلة، الأمر الذي ترك آثاراً سلبية واضحة على الاقتصادات المحلية، بل وتجاوزتها إلى الاقتصادات البعيدة خارج الحدود، بسبب تداخل العلاقات الاقتصادية الدولية، وطبيعة الشركات متعددة الجنسيات، والبعوض من سياسات العولمة، التي ما يزال معمولاً بها في أحياز غير واسعة.

اختلفت هذه الآثار بين تلك المرتبطة ببنية الاقتصاد الوطني نفسه، وبين تلك التي انعكست على المؤشرات الاقتصادية المرتبطة بالوضع الاجتماعي والسياسي في البلدان المعنية بشكل عام.

### 1- الآثار على بنية الاقتصادات المحلية

الضغوط التضخمية، التي تتزايد داخل الاقتصاد العالمي بشكل عام، وداخل الاقتصادات المتقدمة بشكل خاص، تقود هذه الاقتصادات إلى اختلالات بنيوية متعددة، لعل أهمها تراجع حجم الاستثمارات، وتضرر العديد من القطاعات الإنتاجية والخدمية، وخاصة قطاعي الصناعة والزراعة والنقل، إضافة إلى أن ذلك قد يدفع بالموازنات العامة لتلك الدول، نحو المزيد من العجزات المالية.

#### أ- الأثر على بنية القطاعات الاقتصادية الرئيسية

تشكل الحالة الاقتصادية القائمة، نتيجة تداعيات انتشار وباء كورونا، والارتفاع في معدلات التضخم، حالة غير طبيعية، لا يتم التعامل معها بالمنطق الاقتصادي المعهود. لذلك فإن

الارتدادات الاقتصادية لهذه الحالة تكون سلبية بالدرجة الأولى. وخاصة على القطاعات الإنتاجية التي تخلق القيم المضافة، التي بدورها ترفع من مستويات الاستثمار، وخطط إعادة الإنتاج، وبالتالي تحسين مستويات الإنتاجية.

تساهم ارتفاع معدلات التضخم -في ظل مشاكل التوريد القائمة -إلى ارتفاع تكاليف الإنتاج بالدرجة الأولى، إضافة إلى ضعف القدرات الإنتاجية، والاختلالات التي يحدثها داخل الاقتصاد الوطني، بسبب حالة عدم الاستقرار المالي، التي يخلقها التضخم.

إذاً، يمكن القول إن الحالة القائمة، ومع استمراريتها لفترة طويلة على أساس المؤشرات المتعددة كارتفاع أسعار الطاقة، والاختناقات في سلاسل التوريد، ونقص في مكونات الإنتاج في القطاع الصناعي، والنزاع المسلح، الذي حدث خلال شهر شباط في أوروبا، وتداعياته الاقتصادية، وتأثيراته على إمدادات الطاقة إلى الدول الأوروبية، وأسعارها المستقبلية، كل ذلك قد يقود إلى إطالة أمد حالة التضخم التي تحتاح الاقتصاد العالمي. وهذا سيقود بالنتيجة إلى التوجه نحو الاستثمار في القطاعات غير المنتجة وسريعة الربح وسريعة استرداد رأس المال، وخاصة الاستثمار في أسواق الأوراق المالية، وسيادة هذا الاستثمار.

يوفر الاستثمار في الأوراق المالية مستوى عالي من التحوط تجاه آثار التضخم، وهذا يعني اشتداد "أمولة" الاقتصادات، التي تصبُّ لصالح طبقة رأسمالية معينة، تحاول الاستحواذ على الجزء الأكبر من القيمة الزائدة، عن طريق زيادة مستوى الصبغة المالية للاقتصادات الوطنية المختلفة، وسيكون ذلك على حساب التراجع في الإنتاج، وبالتالي تحفيز الضغوط التضخمية من جديد، من خلال تراجع حجم العرض الكلي وارتفاع الأسعار. وهذا ما سيحدث اختلالات بنيوية داخل الاقتصادات الوطنية، لصالح سيادة القطاعات غير المنتجة، مما سيقود إلى تركيز رؤوس الأموال، وإعادة توزيع الأرباح لصالح فئة قليلة، تكون قد استفادت من الصفقات التجارية، وتجارة العقارات، وشكلت رؤوس أموال وهمية، لن تستطيع في المستقبل القريب تطوير الحالة الاقتصادية، أو على أقل تقدير تحجيم الآثار الاقتصادية السلبية للتضخم.

النتيجة هنا قد تكون سلبية للغاية، من حيث الزيادة في معدلات الركود التضخمي، ومعدلات البطالة، والتراجع في مستويات الضمان الاجتماعي، والخدمات العامة، وتآكلاً في القدرات

الشرايئة للأفراد، الأمر الذي قد ينتج عنه اضطرابات اجتماعية تهز العروش السياسية، وقيادات الدول المختلفة.

## ب- الأثر على الاستثمار

لعل ما قام به الرئيس الأمريكي، في الشهر الخامس من العام الماضي، يشير لنا بوضوح إلى أن الإدارة الأمريكية أيقنت من ضرورة تخفيض حجم الاستثمارات في البنى التحتية، نتيجة تداعيات ارتفاع معدل التضخم في البلاد، حيث أعلنت المتحدثة باسم البيت الأبيض، في مايو أيار من العام الماضي "إن الإدارة خفضت حجم الاستثمار في الطرق والجسور من 2.3 تريليون دولار إلى 1.7 تريليون دولار، وأن هذا الأمر يظهر استعداد الإدارة لتقليص حجم الاستثمار مع الإبقاء على المجالات الأكثر حيوية لتجديد بنيتنا التحتية وصناعات المستقبل"<sup>37</sup>

كما أشرنا في البند السابق، أن الاستثمار في ظروف اشتداد التضخم يتجه بالدرجة الأولى إلى أسواق المال، وخاصة شراء الأسهم التي يترافق ارتفاع أسعارها مع ارتفاع معدل التضخم، استناداً إلى أنه وعلى المدى الطويل ترتفع عوائد وأرباح الشركات بنفس وتيرة التضخم تقريباً، وبالتالي ترتفع أسعار الأسهم بجانب الارتفاع العام في مستويات الأسعار.

إن توجه الاستثمار إلى أسواق المال، سيقود إلى تركُّز أكبر في رؤوس الأموال، ويسمح للرأسماليين بإدارة تلك الأموال، وتوجيهها إلى القنوات الاستثمارية، التي تحقق لهم المزيد من الأرباح، بغض النظر عن طبيعة تلك الاستثمارات، ما إذا كانت تساهم في تقوية البنى الاقتصادية والإنتاجية، أو لا. بمعنى آخر سيتم رفع نسبة مساهمة القطاع المالي في الناتج المحلي، وهو بالأساس مملوك لجهات محددة، بعيداً عن المصالح الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع والبلد المعني.

من زاوية معدلات الفائدة يمكننا -ووفق المنطق الاقتصادي التقليدي- القول، إنه مع استمرار معدل التضخم في الارتفاع، لا شك أن معظم البنوك المركزية ستلجأ إلى رفع معدلات الفائدة، كإجراء لعلاج التضخم، وكبح جماحه، وخلق حالة نفسية في السوق، الأمر الذي سيرفع من

<sup>37</sup> جين ساكي، المتحدثة باسم البيت الأبيض - فرانس 24 - 2021/5/22 - <https://www.france24.com/ar>

تكلفة الاستثمار والاقتراض، ويدفع باتجاه تراجع، أو تحجيم الاستثمارات، وما سيتركه مثل هذا الوضع من تأثيرات اقتصادية مختلفة.

النقطة الهامة هنا، ستكون تراجع حجم الاستثمارات الموجهة إلى القطاعات الإنتاجية، بسبب تخوف المستثمرين من انخفاض قيمة أصولهم الاستثمارية مستقبلاً، وانخفاض قيمة العوائد المتحققة منها، بسبب ارتفاع معدلات التضخم، التي ستتسبب بتآكل تلك العوائد، وقيمة تلك الأصول المستثمرة، يضاف إلى ذلك، أن التضخم سيخلق حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي والمالي، وبالتالي لن يكون مشجعاً على إقامة الاستثمارات طويلة الأجل، بسبب التخوف من انخفاض قيمة تلك الاستثمارات مع الزمن.

تتمثل الآثار الاقتصادية، التي قد تنعكس نتيجة مثل هذا الوضع، في قلة فرص العمل، وانخفاض الطلب على العمالة والتوظيف، وبالتالي تراجع في مستويات الدخل، وارتفاع في معدلات البطالة. يضاف إلى ذلك، تراجعاً في قوة البنية الإنتاجية، وخاصة في القطاعات الرئيسية الصناعة والزراعة.

## 2- الآثار الاقتصادية والاجتماعية المباشرة

يثير التضخم الذي يحدث اليوم مخاوف عدة، تتجاوز حالة عدم الاستقرار المالي والأسعار في مختلف الأسواق، قد تدفع باتجاه زيادة أعباء تكاليف المعيشة للفئات الأقل دخلاً، مما يؤدي إلى تراجع في قدراتهم الشرائية، وبالتالي تدهوراً في الحالة المعيشية.

### أ- الأثر على الاستقرار الاقتصادي

لعل من أهم تبعات الآثار التي يتركها التضخم على البنية الاقتصادية والقطاعات الرئيسية فيه، هو خلق حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي، تتمثل في الارتفاع المستمر في الأسعار، وتقلب سعر الصرف، وتذبذب معدلات الفائدة، وعدم التيقن، مما يؤدي إلى عدم الاستقرار في الأسواق وظهور العديد من الاختلالات النقدية والهيكلية داخل الاقتصاد الوطني، تدفع نحو طرد الاستثمارات وتراجع معدلات النمو.

إن حالة عدم الاستقرار الاقتصادي لن تكون محفزة لخلق عوامل النمو الحقيقية داخل الاقتصاد، مع الأخذ بالاعتبار ضرورات التغيير، حيث يتراجع الاستثمار والإنتاج وكذلك الطلب، نتيجة ارتفاع الأسعار، وتآكل دخول الأفراد، وتراجع فرص العمل والتوظيف. يضاف إلى ذلك، أن حالة التضخم ستنشئ مستويات ضئيلة من كفاءة الأموال، وبالتالي فقدان أجزاء كبيرة من القيم المستقبلية لعوائد الاستثمار، وتراجع حجم القيمة المضافة على مستوى الاقتصاد الكلي، بكل ما يتبع ذلك من توزيع غير عادل لدخول عوامل الإنتاج، وقلة الادخار، وانعدام الحافز على الاستثمار، أو التوسع فيه، بحيث يمكن أن يصل الاقتصاد من خلاله إلى معدلات سلبية في العديد من مؤشرات الاقتصاد الكلي.

### ب- الأثر على معدل النمو الاقتصادي

يعتبر معدل النمو الاقتصادي، واحداً من أهم مؤشرات الحالة الاقتصادية لأي بلد كان، فهو يشير إلى مقدار الزيادة في حجم الناتج المحلي بين سنة وأخرى. وفي السياق، فقد حققت العديد من الاقتصادات المتقدمة معدلات نمو عالية في عام 2021، نتيجة السياسات النقدية والمالية التوسعية، التي اتبعتها هذه الدول، كما في الولايات المتحدة الأمريكية، والتي أجزلت بحزم التحفيز المالي، التي قدمتها حكومتها للوحدات الاقتصادية في البلاد، وفي ذلك فقد حقق الاقتصاد الأمريكي معدل نمو قدر بـ 5.7% خلال عام 2021، بعد سنة من الانكماش بنسبة 3.4% في 2020، بسبب جائحة كورونا<sup>38</sup>.

إلا أنه، ونتيجة لارتفاع معدل التضخم إلى مستوى 6.2% في البلاد وهو مستوى قياسي، بسبب تلك السياسات التوسعية، وحزم المساعدات المالية، فقد خفض صندوق النقد الدولي توقعاته لنمو الاقتصاد الأمريكي في عام 2022 إلى 4% فقط مقابل 5.2% وفق توقعاته في أكتوبر تشرين الأول 2021<sup>39</sup>، بسبب تنامي معدلات التضخم فيه.

<sup>38</sup> أحمد حاتم- الاقتصاد الأمريكي ينمو 5.7% في 2021 - موقع AA الإلكتروني - 2022/1/27

[/https://www.aa.com.tr/ar](https://www.aa.com.tr/ar)

<sup>39</sup> المرجع السابق.

وجاء في تقرير صدر عن صندوق النقد الدولي - بداية العام الحالي - تحت عنوان "آفاق الاقتصاد العالمية" أنه من المتوقع أن يسجل معدل النمو العالمي تراجعاً ملحوظاً من 5.9% عام 2021 إلى 4.4% عام 2022 و3.8% عام 2023<sup>40</sup>.

المخطط الآتي يشير إلى توقعات النمو حسب التقرير المذكور، على صعيد الاقتصادات العالمية المختلفة. (المصدر موضح من خلال المخطط)



وبحسب الصندوق، يعود ذلك إلى ارتفاع معدلات التضخم، الناجم بالدرجة الأولى عن استمرار ارتفاع أسعار الطاقة حول العالم من جهة، وتعطل سلاسل الإمداد من جهة ثانية.

وهنا يمكننا أن نضيف اليوم انعكاسات الحرب الروسية الأوكرانية على أسواق الطاقة في العالم الآخذة في الارتفاع، وبالتالي اشتداد معدلات التضخم لاحقاً، وما قد يتركه هذا الأمر على صدور توقعات جديدة على حالة النمو الاقتصادي داخل الاقتصادات المختلفة حول العالم.

حيث كان من المتوقع أن تبدأ معدلات التضخم بالانحسار قليلاً عام 2022، على وقع العمل لإحداث التوازنات بين العرض والطلب، من خلال دعم سلاسل الإمداد، إضافة إلى ضرورة تحقيق التوازن بين مكافحة التضخم، ودعم التعافي، عبر سياسات نقدية متوازنة، تراعي ظروف التضخم العالي، دون تخفيض مستويات الاهتمام بالقطاع الصحي، والإنفاق فيه بسبب الجائحة.

<sup>40</sup> آفاق الاقتصاد العالمي - صندوق النقد الدولي - إصابات متزايدة بالفيروس وتعاuf معطل وتضخم مرتفع - يناير 2022

<https://www.imf.org/ar/Publications/WEO>

وحسب صندوق النقد الدولي فإن كبرى الاقتصادات العالمية ستشهد تراجعاً في معدلات النمو الاقتصادي لديها، ففي الولايات المتحدة، من المتوقع أن النمو من 5.6% عام 2021 إلى 4% العام الحالي ثم 2.6% عام 2023، أما دول الاتحاد الأوروبي فمن المتوقع أن ينخفض النمو فيها بحسب توقعات الصندوق نفسه من 5.2% إلى 3.9% ثم إلى 2.5% على التوالي، بنفس ترتيب السنوات المذكورة، كما خفض الصندوق توقعاته في نمو اقتصادات آسيا الصاعدة والنامية من 7.2% إلى 5.9% و 5.8% عام 2023<sup>41</sup>.

المخطط الآتي يوضح توقعات صندوق النقد الدولي للنمو الاقتصادي حسب المناطق العالمية (المصدر موضح على المخطط نفسه)



كما تم تخفيض التوقعات الخاصة بالصين أيضاً بنسبة 0.1 نقطة مئوية إلى 8%، وفي اليابان تم تخفيض التوقعات المستقبلية أيضاً بنسبة 0.4 نقطة مئوية إلى 2.4%.

### ج- الأثر على الفائدة والادخار

المعلوم اقتصادياً، أن سعر الفائدة ومعدل التضخم يرتبطان ببعضهما وفق علاقة طردية، فإذا ارتفع معدل التضخم، ارتفع معه معدل الفائدة الاسمي، بهدف إعادة التوازن للسعر الحقيقي للفائدة، على اعتبار أن التضخم يؤدي بسعر الفائدة الحقيقي باتجاه الانخفاض، فلا بد من رفع سعرها الاسمي مجاراةً لمستويات التضخم، وباقي الأسعار في السوق.

<sup>41</sup> آفاق الاقتصاد العالمي - صندوق النقد الدولي - المرجع السابق.

هذه العلاقة تنجم عن أن ارتفاع معدل التضخم يقود -بلا شك- إلى خفض القوة الشرائية للنقود، مما يؤدي إلى زيادة الطلب على رؤوس الأموال، لتمويل المشروعات المقترحة، مما يفضي بالنتيجة إلى ارتفاع أسعار الفائدة.

على الجانب الآخر، لعل من الواضح أن التضخم يقود إلى زيادة مخصصات الإنفاق، سواءً على مستوى الأسر الاجتماعية، أو على صعيد منظمات الأعمال المختلفة، وهذا بدوره كفيل بتراجع حجم الادخار، وبالتالي الاستثمار مستقبلاً.

في الظرف الحالي، الذي يشهده الاقتصاد العالمي، وخاصة الدول المتقدمة اقتصادياً، كالولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي، فإن بنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي والبنك المركزي الأوروبي ما يزالان مصران على المزيد من تحفيز مستويات الإنفاق داخل اقتصادات بلدانها، من خلال الإبقاء على معدلات الفائدة المنخفضة، بحجة أن الاقتصاد بحاجة إلى المزيد من التحفيز، للتعافي من الانكماش، الذي جرى خلال فترة انتشار الجائحة عام 2020.

كذلك يحذو البنك الأوروبي حذو البنك الأمريكي، والإبقاء على معدلات الفائدة عند مستوى صفر نقطة مئوية، وذلك بهدف تشجيع المستهلكين على الإنفاق، على الرغم من التبعات السلبية لهذه الحالة، من ارتفاع أسعار الوقود، والمواد الغذائية، والإيجارات، وتراجع الاستثمار، وبالتالي زيادة معدلات البطالة، وتراجع قيم دخول الأفراد والشركات معاً.

وللإشارة، فقد كان متوقعاً أن يرفع الاحتياطي الأمريكي معدل الفائدة بمقدار 25 نقطة مئوية بداية مارس آذار الحالي، إلا أن الحرب الروسية الأوكرانية فرضت حالة من عدم اليقين على الأسواق العالمية، أدت إلى التريث في اتخاذ مثل هذا القرار، لما قد يتبعه من آثار سلبية كبيرة على دول العالم الأخرى، وخاصة نوات الاقتصادات النامية والمتخلفة، التي لديها مديونية خارجية عالية، عادة ما تكون بالدولار.

#### د- الأثر على القدرة الشرائية للأفراد وتأكل الدخول

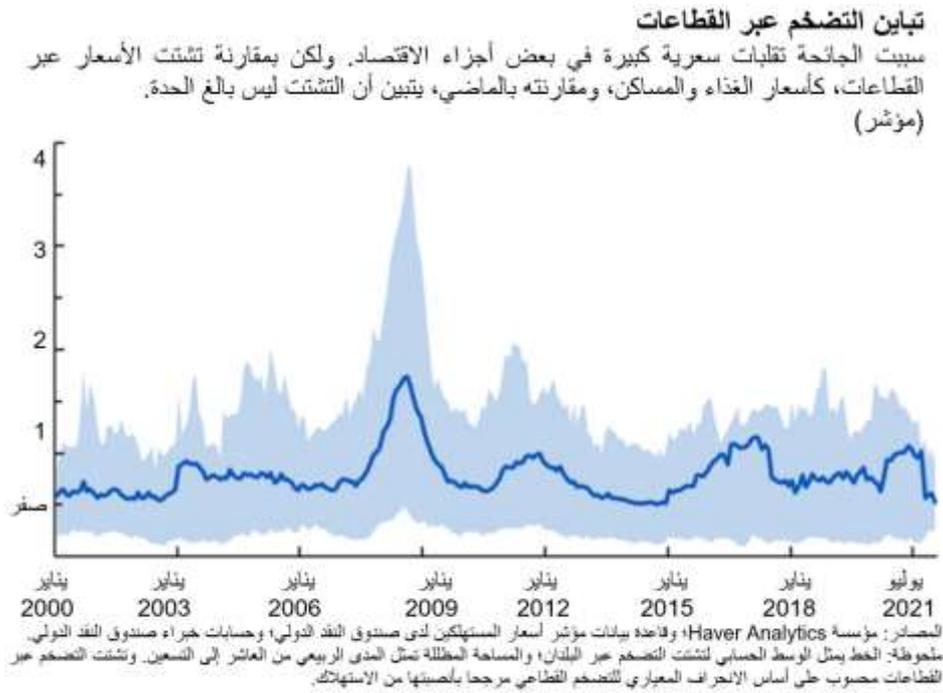
ارتفعت الأسعار في معظم القطاعات والأسواق المختلفة للمواد، وفي مختلف اقتصادات العالم، نتيجة تزايد معدلات التضخم في الاقتصاد العالمي، وشكل ذلك ارتفاعاً في أسعار المواد

الغذائية، والوقود، وتكلفة التدفئة، والأثاث المنزلي، والمفروشات، وكذلك القطاع الصحي، وقطاع العقارات.

لا جدال حول أن التضخم يبتلع دخول الفئات الفقيرة، بسبب ارتفاع أسعار السلع والمواد الأساسية، وكذلك أسعار الخدمات الرئيسية، نتيجة لتراجع القوة الشرائية للعملة بسبب التضخم، لذلك فإن دخول الأسر الفقيرة لن تعود قادرة على تأمين نفس الكميات السابقة من السلع والخدمات بذات الكمية من الدخل، وبالتالي يصبح هؤلاء عرضة أكثر من غيرهم لتحمل تبعات سلبية لمستويات التضخم الحالية.

يشير تقرير صادر عن صندوق النقد الدولي إلى: "لقد وضعت الزيادات في أسعار الغذاء أعباء خطيرة بشكل خاص على أسر الدول الفقيرة، حيث ارتفع مؤشر أسعار المواد الغذائية والمشروبات التابع لصندوق النقد الدولي بنسبة 11.1% بين فبراير/شباط وأغسطس/آب، كما ارتفعت أسعار اللحوم والدواجن والقهوة بنسبة 30% و29% على التوالي<sup>42</sup>.

المخطط الآتي يوضح أن التضخم يشمل معظم القطاعات، والنسب فيها قريبة من بعضها البعض:



IMF

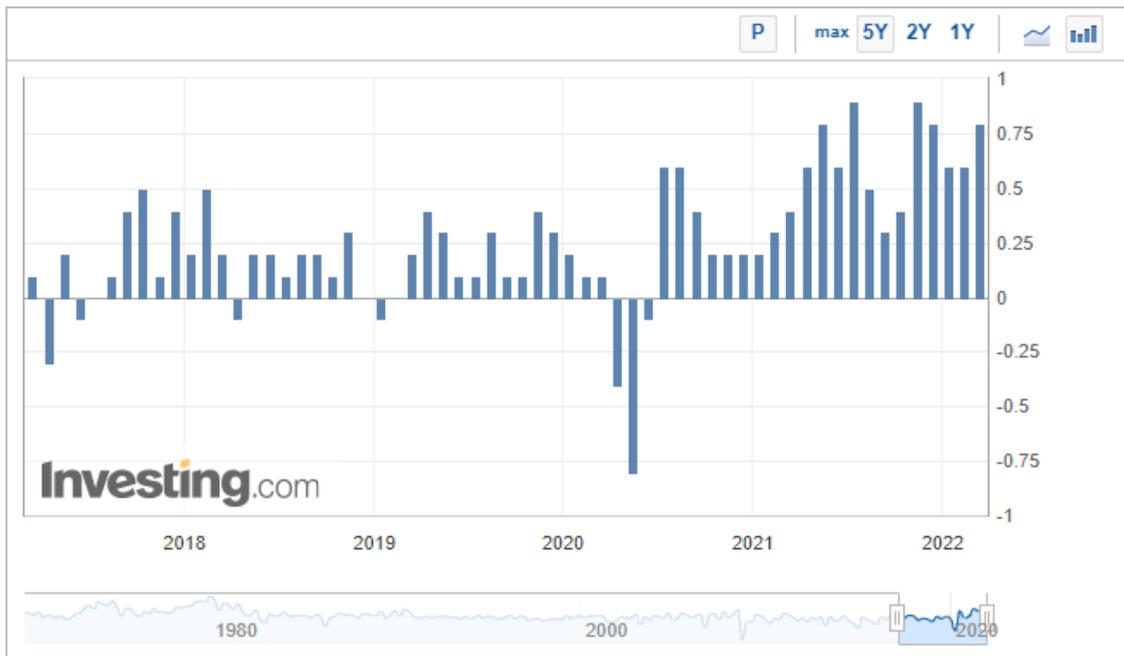
<sup>42</sup> International Monetary Fund– World Economic outlook – October 2021– Recovery During A Pandemic– <https://www.imf.org/en/Publications/WEO/Issues/2021/10/12/>

لا يقتصر مثل هذا الأثر على الفئات الفقيرة، ولكنه يتجاوز إلى الفئات الأخرى أيضاً في المجتمع.

فقد تسبب نقص الإمدادات، الناجم عن الاختناقات اللوجيستية في سلاسل التوريد، بالإضافة إلى شهية المستهلك للسلع التي تغذيها الحوافز والمدخرات، المتوفرة لدى الأفراد، الناجمة عن حزم الحوافز الموزعة من قبل الحكومات، تسببت في زيادات سريعة في أسعار المستهلكين في الولايات المتحدة، وألمانيا، والعديد من الدول الأخرى، وسط ارتفاعات واسعة النطاق، امتدت للقطاعات كافة، ولأبعد من الغذاء والطاقة، لتشمل المفروشات المنزلية، والتأمين الصحي.

يتوقع صندوق النقد الدولي الآن، أن يصل تضخم أسعار المستهلكين في الاقتصادات المتقدمة إلى 2.8% في عام 2021 و2.3% في عام 2022، ارتفاعاً من 2.4% و2.1% على التوالي، في تقريره الصادر في يوليو/تموز.

المخطط الآتي يوضح ارتفاع مؤشر أسعار المستهلك في الولايات المتحدة الأمريكية، كأكبر اقتصاد في العالم، حيث بلغ التضخم مدى لم يصله منذ عام 1982.



تاريخ الاصدار وقت حالي تقدير سابق

ولمتابعة هذا المؤشر بشكل مستمر يمكن زيارة الصفحة التالية - <https://sa.investing.com/economic-calendar/cpi-69>

وكتبت "جيتا جوبيناث"، المستشارة الاقتصادية، ومديرة الأبحاث بصندوق النقد الدولي: "بينما يمكن للسياسة النقدية عموماً أن تنظر من خلال الزيادات المؤقتة في التضخم، يجب أن تكون البنوك المركزية مستعدة للتصرف بسرعة إذا أصبحت مخاطر ارتفاع توقعات التضخم أكثر جوهرية في هذا التعافي المجهول"<sup>43</sup>.

---

<sup>43</sup> خير الدين الجابري، كابوس جديد يخنق الاقتصاد العالمي - موقع عربي بوست - 2021/10/13 [/https://arabicpost.net](https://arabicpost.net)

### الفصل الثالث - الانعكاسات والآثار على اقتصادات الدول المختلفة

يسيطر اقتصاد الولايات المتحدة الأمريكية على معظم مفاصل الاقتصاد العالمي، لأسباب عديدة تتعلق بسطوة الدولار على حركة التجارة العالمية، والاحتفاظ به في معظم أقيية البنوك المركزية كاحتياطي عالمي، إضافة إلى النسبة الكبيرة لمساهمة الاقتصاد الأمريكي في الناتج المحلي العالمي، والتي تصل لحدود 25% منه.

إن أي حالة اقتصادية تعيشها الولايات المتحدة تنعكس على حال باقي اقتصادات العالم، دون أدنى شك. وحيث يشهد الوضع الحالي داخل الاقتصاد العالمي ارتفاعاً واضحاً في معدل التضخم، والذي لا يقتصر على الاقتصاد الأمريكي، بل يشمل باقي الاقتصادات المتقدمة على حد سواء، كدول الاتحاد الأوروبي وغيرها، فإن ذلك كفيل بالامتداد نحو الاقتصادات الصاعدة، وتلك الضعيفة، والتي ربما تكون آثار هذا التضخم ستبدو أكثر وطأة عليها من الدول الأولى ذات الإمكانيات الاقتصادية والمالية الضخمة، والتي تتمتع بقدرات عالية للتحكم بالسياسات المالية والنقدية داخل اقتصاداتها، والتي قد تكون كفيلة بتصحيح المسار الاقتصادي في الوقت الذي تراه مناسباً.

#### أولاً - الآثار الاقتصادية للتضخم على اقتصادات الدول الناشئة والفقيرة

من المعلوم أن هذه الدول تعاني من ضعف في بناها الاقتصادية، ومحدودية في مواردها الاقتصادية، وتقع تحت أعباء الدين العام، وعلاقتها مع الاقتصادات المتقدمة عادة ما تكون مبينة على أساس التبعية، بشكل أو بآخر. ومن هنا، وحيث أن التضخم الحالي لا يقتصر على اقتصاد الولايات المتحدة فقط، فإنه يجتاح معظم الاقتصادات العالمية، ومنها الدول الفقيرة، كونه ناجم بالدرجة الأولى عن اختناقات في سلاسل التوريد، وشح إمكانات الإمدادات إلى الأسواق، وارتفاع في أسعار المواد الخام، وخاصة النفط، وباقي موارد الطاقة، لتأتي الحرب الروسية الأوكرانية، وتصب الزيت على النار، فألهمت الأسعار، نتيجة العقوبات الغربية على روسيا، وهي إحدى أهم موردي عناصر الطاقة في العالم من جهة، وانقطاع الصادرات الأوكرانية من العديد من المواد الغذائية عن الأسواق وخاصة القمح والزيوت النباتية من جهة أخرى.

## أ- الضغوط التضخمية في اقتصادات الدول الناشئة والفقيرة

لعل -وكما أشرنا أعلاه- ارتفاع أسعار الطاقة، ونقص إمدادات السوق، والحرب الأوكرانية، تقف على رأس قائمة العوامل التي تغذي الضغوط التضخمية في هذه الاقتصادات. فنقص مواد البناء في الأسواق -لا شك- سيؤدي إلى ارتفاع في أسعار المساكن والإيجارات مثلاً. كما أن نقص المواد الغذائية ستؤثر باتجاه رفع أسعارها داخل السوق، يضاف إلى ذلك الارتفاعات الحاصلة في أسواق الطاقة، وخاصة النفط والغاز، حيث وصل النفط إلى 120 دولاراً خلال الأسبوع الأول من الحرب الأوروبية، قبل أن ينخفض قليلاً، وذلك كفيل بأن ينعكس ارتفاعاً في أسعار المشتقات النفطية، من محروقات التدفئة، ووقود السيارات، وباقي الاستخدامات الزراعية والصناعية، والتي كلها تؤدي إلى ارتفاعات متلاحقة في أسعار السلع والخدمات داخل هذه البلدان.

المخطط الآتي يوضح مؤشر أسعار المواد الجافة حول العالم (المصدر واضح من خلال اللوحة)



حيث لا تتمتع هذه الدول الفقيرة بقدرات مالية واقتصادية تؤهلها لرفع مستويات الأجور، إلا بأساليب كالتموليل بالعجز، أو عن طريق إصدارات نقدية جديدة، فإن ذلك كفيل بتآكل قدرات المستهلكين والأسر، وزيادة أعبائها المالية، وضعفاً في إمكانية تأمين المستلزمات الرئيسية للحياة.

لذلك لا حظنا أن الضغط التضخمي أكثر وضوحاً في الاقتصادات الناشئة والنامية، حيث ارتفعت أسعار المستهلك بنسبة 5.5% هذا العام و4.9% العام المقبل<sup>44</sup>.

ويكشف تقرير حديث لوكالة "بلومبيرج"، أن الأسواق الناشئة التي شددت سياساتها النقدية لكبح التضخم، ستجني ثمار ذلك من المستثمرين الأجانب، الذين يراقبون المخاطر المحتملة مستقبلاً، مع نمو ضغوط الأسعار، فيما يحاول مسؤولو البنوك المركزية في الدول النامية إحداث توازن دقيق بين دعم اقتصاداتهم، التي لا يزال الكثير منها يواجه الجائحة، والسيطرة على التضخم، الذي قد يصبح تهديداً حقيقياً، بفضل الانتعاش الاقتصادي القوي، وحزم التحفيز المالي الضخمة في الاقتصادات المتقدمة<sup>45</sup>.

في خضم هذه التعقيدات الاقتصادية المتزايدة، تشهد بعض الدول نهماً غير طبيعياً في حجم الطلب على الطاقة، كالصين والهند، بهدف دعم مشاريعهم الإنتاجية، وتنفيذ سياسات رفع معدلات النمو لديهم، إلا أن هذا الأمر ترافق خلال هذه الفترة بارتفاع تكاليف عناصر الطاقة، نتيجة زيادة الطلب، بسبب تعافي الاقتصادات العالمية، وعودة الحياة الاقتصادية والاجتماعية داخل مختلف البلدان المتقدمة، بعد إنهاء أو رفع إجراءات الإغلاق لديها، كما زاد من أسعار الطاقة اليوم الحرب الروسية على أوكرانيا وارتداداتها الاقتصادية، هذا من جهة. من جهة ثانية ارتفع أسعار مكونات الإنتاج، واختناقات سلاسل التوريد، أو الإمداد، وارتفاع تكاليفها؛ كل ذلك مع عودة ظهور فيروس كورونا في العديد من دول جنوب شرق آسيا والصين.

#### ب- رفع أسعار الفائدة في البنك الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي أو البنوك المركزية الأوروبية

قد لا نكون مخطئين إذا قلنا إن هناك ضرورة اقتصادية عالمية، تستوجب من مسؤولي البنك الاحتياطي الفيدرالي رفع أسعار الفائدة، بهدف التحكم والسيطرة على مستويات التضخم المرتفعة، التي تحتاج الاقتصاد الأمريكي والعالمي معاً. لكن مثل هذا الإجراء -إن حصل- سوف تكون

<sup>44</sup> صندوق النقد الدولي - تقرير مستجدات آفاق الاقتصاد العالمي يوليو 2021.

[/https://www.imf.org/ar/Publications/WEO](https://www.imf.org/ar/Publications/WEO)

<sup>45</sup> 45 سامر وسام - كل ما تريد معرفته عن التضخم الاقتصادي "جائحة عالمية" تتخطى الولايات المتحدة - 17 نوفمبر 2021 الحرة

[/https://www.alhurra.com](https://www.alhurra.com)

انعكاساته متباينة على مختلف دول العالم، حيث يتوقف الأمر على مدى ارتباط اقتصاد البلد المعني بالدولار الأمريكي، أو قدرات البنوك المركزية على التعاطي مع الوضع الحالي، أو مدى انتشار جائحة كورونا، وتطبيق برامج التطعيم وغير ذلك.

لكن بكل الأحوال، يمكننا القول إن مثل هذا الإجراء سيقوي من قدرة الدولار الأمريكي في السوق، مما سينعكس بأشكال مختلفة على الأسواق. ففي داخل الولايات المتحدة قد يؤدي هذا الأمر إلى ارتفاع تكاليف الاستثمار، وبالتالي إحداث حالة من الانكماش الاقتصادي داخل البلاد، مع نية الإدارة الحكومية بضرورة الاستمرار في سياسات التعافي الاقتصادي، وهنا يحدث التناقض بين كيفية التحكم والسيطرة على التضخم، وضرورة الاستمرار في تطبيق السياسات التوسعية، لدعم برامج التعافي الاقتصادي، وعودة معدلات النمو للارتفاع.

وهنا، فمن المتوقع أن تتوقف الحكومة الأمريكية عن تقديم الحزم المالية للأفراد ولمنظمات الأعمال، كبديل عن سياسة رفع أسعار الفائدة في الوقت الحالي، والتي لم يحن موعدها كما يقول نائب رئيس البنك الفيدرالي ريتشارد كلاريدا "بعيدا عن التفكير في رفع أسعار الفائدة"، فإنه إذا ثبتت صحة توقعاته الحالية للاقتصاد، فإن "الشروط الضرورية لرفع النطاق المستهدف لسعر الفائدة الفيدرالية سوف تكون مستوفاة بحلول نهاية عام 2022"<sup>46</sup>.

ويحذر الخبراء، من أن يؤدي إقدام مجلس الاحتياطي الفيدرالي (البنك المركزي الأمريكي) على زيادة أسعار الفائدة، وتشديد السياسة النقدية، إلى ضربة قوية للأسواق الصاعدة. فارتفاع أسعار الفائدة الأمريكية يؤدي عادة إلى ارتفاع سعر الدولار، وخروج الاستثمارات المالية، وربما إلى أزمات عملة وأسعار صرف في الاقتصادات النامية.

السبب في ذلك يأتي من أي رفع لأسعار الفائدة، سواءً من قبل البنك المركزي الأمريكي، أو البنوك المركزية الأوروبية، سيرفع من تكاليف رأس المال في الكثير من منظمات الأعمال حول العالم، وخاصة في الدول ذات الاقتصادات الناشئة والفقيرة. مما قد يعني خروج الكثير منها من السوق بعد إفلاسها طبعاً، الأمر الذي سيدفع بمئات الآلاف من العاملين نحو جيش البطالة. في

<sup>46</sup> سامر وسام - كل ما تريد معرفته عن التضخم الاقتصادي "جائحة عالمية" تتخطى الولايات المتحدة- 17 نوفمبر 2021 الحرة

ظل القدرات المتواضعة لحكومات هذه البلدان على تدارك مثل هذا الأمر، أو حتى رفع مستويات أجور موظفيها، لتحاكي معدلات التضخم الحالية، أو حتى تقديم حزم مساعدات مالية، أو حزم الضمان الاجتماعي للأفراد، لمواءمة المرحلة الحالية. كل ذلك كفيل بتدهور الأوضاع المعيشية داخل هذه البلدان، وتراجع قدرات الأسر على تأمين متطلبات حياتهم اليومية، بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية والخدمات الرئيسية.

لذلك، يحثُ الخبراء الاقتصاديون في صندوق النقد الدولي، الاقتصادات الكبرى على توفير السيولة الكافية، وتخفيف عبء الديون على الدول الفقيرة ذات الموارد المحدودة في مجال السياسة العامة<sup>47</sup>.

### ج- بالنسبة للدول المنتجة المصدرة للنفط

إن ارتفاع قيمة الدولار الأمريكي سينعكس -بلا شك- بشكل إيجابي على قيم فواتير صادرات الطاقة، وستشكل رافداً إضافياً لخزينة الدولة، كما هي الحال لدى معظم دول الخليج العربي، والعديد من دول شمال أفريقيا المصدرة للنفط والغاز.

إلا أن الأمر لن يكون برمته مفيداً لهذه الدول، حيث تتميز اقتصاداتها بقدرات إنتاجية ضعيفة، يجعلها تعتمد على الاستيراد بالدرجة الأولى. وهنا، وحال استمرار معدلات التضخم بالارتفاع داخل الاقتصادات المتقدمة، التي تستورد هذه الدول منها مستلزماتها، فإن ذلك كفيل برفع أسعار تلك المستوردات، الأمر الذي سينتقل -لا محال- إلى داخل الأسواق المختلفة في هذه البلدان، ويشكل محفزات حقيقية للتضخم، وبالتالي ارتفاع أسعار مختلف السلع والمواد والخدمات داخل أسواقها، فضلاً عن تقليل القدرات الشرائية للأفراد.

كما سينعكس ذلك على أسعار الصرف، وتكلفة الاستثمار، وتراجع معدلات نمو الناتج المحلي، وقد يؤثر سلباً على قدرات الحكومات في تنفيذ برامج الحد من انتشار جائحة كورونا، وتطبيق سياسات التعافي من آثارها، والتركيز على رفع معدلات النمو.

<sup>47</sup> صندوق النقد الدولي -تقرير مستجدات آفاق الاقتصاد العالمي - مرجع سبق ذكره.

اللوحة التالية توضح أبرز الرابحين والخاسرين من ارتفاع أسعار النفط (المصدر وكالة الأناضول)



بقي أن نقول، إن التشابك الواضح بين الدول في الأزمة الحالية، يجعل البنوك المركزية تجري حسابات معقدة لاتخاذ قرارات مناسبة بشأن مستقبل أسعار الفائدة، لإيجاد أفضل السبل للخروج من الأزمة الحالية، وفي نفس السياق الأسواق تتعرض لضرر واضح جراء النقص في الخامات اللازمة لعمليات الإنتاج، وهذا يعني مزيد من الارتفاعات في الأسعار العالمية في الفترة المقبلة، وصعود مستمر لمؤشر التضخم<sup>48</sup>.

## ثانياً - الانعكاسات على مناطق شمال وشرق سوريا

لا تشكل مناطق شمال وشرق سوريا اقتصاداً قائماً بحد ذاته، كون هذه المناطق ما تزال تتبع مالياً للعاصمة دمشق من جهة، وإن الإدارة القائمة فيها لم تستطع حتى الآن بناء اقتصاد متوازن يعتمد على ذاته من جهة ثانية.

وحيث يعاني الاقتصاد السوري من تبعات الحرب السورية، وآثار العقوبات الغربية عليه، بكل ما أفرزته هذه الظروف من آثار سلبية، وأحياناً مدمرة، فإن مناطق شمال وشرق سوريا لم تكن بعيدة أبداً عن تلك الآثار، فتراجع قيمة الليرة السورية، وتدهور سعر صرفها، مع انقطاع طرق الإمداد بينها وبين الداخل السوري، أثر على قدرة الاقتصاد المحلي في هذه المناطق، التي تراجعت فيها

<sup>48</sup> متى تنتهي أزمة التضخم العالمية بعد أن طالعت أمريكا ودول أوروبية؟ - موقع اليوم السابع، 11 نوفمبر 2021

قدرات المواطنين بشكل كبير في تأمين متطلبات حياتهم اليومية، لتتجه أنظارهم دائماً لما قد يوجد به بعض أبنائها المغتربين في البلدان الأوروبية، وإرسال مساعدات مالية لأهاليهم وذويهم، لمواجهة صعوبات الحياة المعيشية.

#### أ- انعكاس ارتفاع معدلات التضخم على الواقع الاقتصادي

لم تتجح الإدارة الذاتية في مناطق شمال وشرق سوريا -حتى اليوم- في بناء عوامل الاكتفاء الذاتي، في العديد من القطاعات الرئيسية، بالرغم من توفرها، كما هو الحال في القطاع الزراعي، أو قطاع الطاقة، وذلك لأسباب مختلفة لا مجال لذكرها الآن.

وبناء على ذلك يمكننا إيراد العديد من الانعكاسات الاقتصادية والاجتماعية لظاهرة التضخم داخل الاقتصاد العالمي على مناطق شمال وشرق سوريا:

- بداية ما يمكن قوله، أن هذه الإدارة اعتمدت بشكل كبير في تأمين متطلبات الحياة اليومية لمواطنيها على الاستيراد، وشراء معظم تلك المتطلبات من دول الجوار. وصل الأمر بها إلى استيراد الطحين، والزيت، وحليب الأطفال، ومعظم أنواع الكونسروة، والمعلبات، والمنتجات البقولية، والحبوب، على الرغم من الطبيعة الزراعية الطاغية للمنطقة، وإحداث معمل لإنتاج الزيوت فيها مؤخراً. إن هذا الأمر كفيل -وبشكل واضح- بأن يعكس ارتفاع أسعار هذه المواد عالمياً ارتفاعاً في مناطق الإدارة الذاتية، وأن يترك آثاراً خطيرة على مستويات المعيشة لدى الأسر وحياة أفرادها.
- ما يزيد الطين بلة أن الليرة السورية تشهد تراجعاً واضحاً خلال الأسابيع القليلة الماضية أمام الدولار الأمريكي، وتفقّد أجزاءً جديدة من قيمتها، في ظل أنه ليس لدى هذه الإدارة أية أجهزة مصرفية، أو هيئات، لتنظيم الاستثمار، تكون قادرة على تطبيق بعض السياسات، التي يمكن أن تخفف من وطأة هذه الارتفاعات في أسعار المواد والسلع المستوردة إلى الداخل، وتدفع بالقدرات الشرائية للأفراد لديها نحو التهلك.
- في ظل سيادة القطاع التجاري على اقتصاد مناطق شمال وشرق سوريا، وتركيز جلّ همّ تجارها على زيادة أرباحهم، أو -وفي هذه الظروف- عدم الوقوع في الخسارة على أقل تقدير، سيضطرّ التجار إلى رفع أسعار مستورداتهم المرتفعة أصلاً مرة أخرى.

- مع ضعف البنية الإنتاجية والاقتصادية، والتراجع الكبير في جودة وسوية البنية التحتية، والتدهور المستمر لسعر الصرف، فإن الضغوط التضخمية تجتمع دفعة واحدة في هذه المناطق، والتي ستدفع الأسعار إلى المزيد من الارتفاع، مع فقدان الليرة كل يوم جديد لأجزاء متلاحقة من قيمتها.
- يشكل القطاع الزراعي، الأهمية النسبية الأكبر داخل هذه المناطق، ولا شك أن هذا القطاع يعاني من تراجعات كبيرة في الإنتاج، بسبب الحرب السورية أولاً، وعدم الاهتمام الكافي من قبل الإدارة الذاتية ثانياً، لقد تأثر هذا القطاع مباشرة بارتفاع معدل التضخم داخل الاقتصاد العالمي، الذي انعكس في ارتفاع أسعار الأسمدة، ومستلزمات الإنتاج الأخرى مباشرة، وحيث تعاني هيئات الإدارة الذاتية الخاصة بالشأن الزراعي من صعوبات في توفير مستلزمات الإنتاج والمحروقات اللازمة للعملية الزراعية، فقد قلل ذلك من القدرة الإنتاجية للمزارعين، ودفع بالكثير منهم إلى الامتناع عن الاستمرار في الزراعة، مع تزايد وتيرة الهجرة إلى داخل المدن، أو إلى الخارج.
- أدى ارتفاع أسعار المواد العلفية، وعدم دعم مربّي الماشية، إلى تقليل أعداد قطعانهم وبيعها، لارتفاع تكاليف تربيتها، مما دفع بأسعار الألبان ومشتقاتها، واللحوم، إلى الارتفاع بشكل واضح. كذلك الأمر بالنسبة لمربي الدواجن، الذين يأتون تحت وطأة ارتفاع أسعار أعلاف الدواجن، وتكاليف التربية، وأسعار المحروقات، وعدم توفرها بالأسعار المدعومة في أغلب الأحيان، مما أدى إلى ارتفاع في أسعار لحم الفروج والبيض بنسب عالية.

#### ب- انعكاسات الحرب الروسية الأوكرانية وارتفاع أسعار الطاقة

تسببت الحرب الروسية الأوكرانية بارتفاعات كبيرة في أسعار الطاقة على الصعيد العالمي، إضافة إلى أن انقطاع واردات أوكرانيا وروسيا إلى السوق العالمية من القمح والزيت، والعديد من المواد الغذائية الأخرى، مما أدى إلى ارتفاع في أسعارها في مختلف الأسواق العالمية.

وحيث تعتمد الإدارة الذاتية، في تأمين مستلزمات أسواقها من السلع والمواد، على الاستيراد، كما أشرنا سابقاً، فقد التهبّت هذه الأسعار في الأسواق المحلية منذ اليوم الأول لهذه الحرب، وبات الأفراد يتحملون مصاعب جديدة، حول تأمين مستلزمات المعيشة اليومية لديهم.

النقطة الأخرى التي يمكن الإشارة إليها، هي أن أبناء المنطقة من المغتربين، الذين كانوا يرسلون مساعدات مالية لذويهم، لا شك أنهم سيقبلون من حجم تلك المساعدات، نتيجة الصعوبات الحياتية التي سيعانونها في بلدان اللجوء، وخاصة دول الاتحاد الأوروبي، التي تشهد أسواقها ارتفاعات غير مسبوقه في الأسعار، مع ارتفاع فاتورة التدفئة المنزلية، ووقود السيارات، نتيجة ارتفاع أسعار النفط والغاز، بسبب ارتفاع الطلب أولاً، وكتداعيات للحرب الأوروبية الحالية ثانياً. الأمر الذي سيقبل من قدرة هؤلاء المغتربين على إمداد أهاليهم بتلك المساعدات، أو تقليل كميتها على أقل تقدير.

إذاً، إن معظم آثار التضخم العالمي على اقتصاد مناطق شمال وشرق سوريا، تتركز في مسألة ارتفاع أسعار السلع والمواد بالدرجة الأولى، وفي تراجع القدرات الشرائية لمواطني هذه المناطق، مع الصعوبات المتمثلة في القطاع الزراعي، وارتفاع أسعار مستلزمات البناء والعقارات.

كما إن تراجع قيمة الليرة السورية، وضعف الأسواق، لا شك سينعكس على القدرات المالية للإدارة الذاتية، باتجاه تفويضها في تغطية نفقاتها العامة في المستقبل، وخاصة في مجال تأمين السلع الاستراتيجية من جهة، وتوفير الوقود بالأسعار الحالية، ودفع رواتب موظفيها من المدنيين والعسكريين.

## • النتائج

خلال ما قدمناه في هذه الدراسة، حول واقع التضخم في الاقتصاد العالمي، وانعكاساته المختلفة اقتصادياً واجتماعياً، يمكننا التوصل إلى عدة نتائج، بناءً على فرضيات الدراسة الواردة ضمن إطارها النظري، وهي كالتالي:

**النتيجة الأولى -** أثبتت الدراسة صحة الفرضية الأولى، القائلة بأن ظاهرة التضخم الحالي، نجمت بالدرجة الأولى عن عدم قدرة العرض على مجارة الطلب العالمي، بعد انحسار موجة كورونا، والتي ما لبثت أن تعمقت، نتيجة العديد من العوامل المستجدة جيوسياسياً وعسكرياً، وخاصة الحرب الروسية الأوكرانية.

**النتيجة الثانية -** من خلال الدراسة، يمكننا القبول بصحة الفرضية الثانية، القائلة بأن ظاهرة التضخم العالمي الحالية قد تستمر لفترة طويلة نسبياً، وما يجعلنا نؤكد على هذا الفرض، هو

عدم انحسار موجة التضخم ضمن الفترة التي توقعتها البنوك المركزية في سبتمبر أيلول من العام الماضي. بل زادت وتيرتها حول العالم، نتيجة عدم تحسن مستويات العرض، وعدم تعافي سلاسل التوريد، وعدم قدرة شركات الشحن على مجاراة الطلب، مع عدم كفاية أعداد وسائل الشحن ومساحات الشحن أيضاً على الموانئ.

بل زاد في الطين بلة، عدم اتخاذ البنوك المركزية أية خطوات ملموسة بشأن السيطرة على التضخم، كتقليل مستويات الإنفاق، أو رفع معدلات الفائدة، على الرغم من حديثها حول ذلك. بل ما زالت مستمرة في تنفيذ سياسات الإنعاش الاقتصادي، بحجة ضرورات التعافي الاقتصادي، بعد جائحة كورونا.

كما ساهمت الحرب الروسية الأوكرانية، والتوترات الجيوسياسية، والعقوبات الاقتصادية الغربية على روسيا، في تراجع إمدادات العرض إلى الأسواق، وخاصة عناصر الطاقة، والمواد الغذائية، مما ساهم في ارتفاع الأسعار، وغذى الضغوط التضخمية من جديد. الأمر الذي يدفعنا إلى القول إن معدلات التضخم الحالي ستأخذ مدى زمني أطول مما كان متوقعاً، وفي حال استمرار العوامل المذكورة، أو تعمقها في أقل تقدير، فإن ذلك كفيل بأن يجعل من التضخم حالة متجذرة داخل الاقتصاد العالمي، قد تدفع باتجاه اقتصاد تضخمي جديد.

**النتيجة الثالثة -** إن انعكاسات الواقع الحالي للتضخم، والسياسات المتبعة بشأنه من قبل البنوك المركزية الكبرى، لن تكون إيجابية على الاقتصادات الفقيرة بأي حال، فاستمرار الواقع الحالي وبال، وإطلاق سياسات انكماشية تشددية وبال أيضاً، وهذا ما يثبت صحة الفرضية الثالثة للدراسة، التي تقول إن الآليات والأدوات المطروحة لكبح جماح التضخم الحالي ستعكس آثارها على العديد من اقتصادات الدول الأخرى. ذلك أن استمرار ارتفاع الأسعار العالمية يؤثر على معدلات النمو الاقتصادي في معظم اقتصادات دول العالم، وعلى الوضع المعيشي والأمن الغذائي للطبقات الفقيرة فيها، كما أن إطلاق السياسات الانكماشية كفيل بارتفاع قيمة الدولار، مما ينعكس تراجعاً في القدرات المالية لمعظم اقتصادات العالم، أيضاً كون الدولار العملة التجارية الأولى على الصعيد العالمي.

**النتيجة الرابعة -** يعاني الاقتصاد المحلي في مناطق شمال وشرق سوريا من صعوبات كبيرة، إدارية واقتصادية وسياسية وإنتاجية، وهو يعتمد في معظمه على الاستيراد، لتأمين متطلبات الحياة اليومية للأسر والأفراد، لذلك سرعان ما تظهر الآثار الاقتصادية على أسواق المنطقة، حيث ترتفع الأسعار بشكل مباشر، محاكاةً لمعدلات التضخم في الاقتصادات الأخرى. ومما يزيد من وطأة هذا الأمر أن سعر صرف الليرة السورية في تدهور مستمر أمام الدولار الأمريكي، ويترك آثار سلبية على القدرات الشرائية للمستهلكين، وعلى أوضاعهم المعيشية، وفي ظل عدم اهتمام الإدارة الذاتية بالبنية الإنتاجية في المنطقة، فإن واقع الأمن الغذائي فيها بات تحت الخطر، وهذا ما يجعلنا نرفض الفرضية الرابعة للدراسة، القائلة إن اقتصاد مناطق شمال وشرق سوريا لن تطاله تأثيرات قوية للتضخم العالمي.

#### • الخاتمة

ينشط خبراء الاقتصاد في قراءة واقع التضخم الحالي في الاقتصاد باتجاهين اثنين، الأول يقول بأن هذا التضخم مؤقت، وناجم عن عوامل متعددة غير مستدامة، كاختناقات سلاسل التوريد وارتفاع حجم الطلب، بعد انحسار موجة كورونا، وبدء الاقتصادات بالتعافي، واضطرابات العرض، وغيرها. إن هذه العوامل في طريقها إلى الزوال، مما سيدفع بمعدلات التضخم نحو مسار الانخفاض، والعودة التدريجية إلى قيمها السابقة والمقبولة. لذلك نرى أن العديد من البنوك المركزية الكبرى في العالم لم تشرع حتى الآن بإطلاق برامج أو سياسات، لكبح جماح التضخم الحالي، وهي ما تزال مستمرة في سياسات المساعدات المالية، والإنعاش الاقتصادي، وإبقاء معدلات الفائدة عند مستوى صفر مئوية، غير آبهة بالارتفاعات المستمرة في أسعار السلع والمواد، وخاصة الغذائية منها، وارتدادات ذلك على الدول الأقل نمواً، والفقيرة، وخاصة ذات المديونيات العالية، والتي تعاني من ضعف قدراتها في تحسين مستويات الأسعار في أسواقها، أو تحسين مستويات دخول الأفراد لديها مع استمرار انخفاض قيم عملاتها، وتدهور أسعار الصرف لديها.

الاتجاه الثاني يخشى أن تكون تقديرات البنوك المركزية، ومعهم الساسة في تلك البلدان القوية اقتصادياً، أن تكون غير صحيحة، وأن يخرج التضخم الحالي عن السيطرة، ويصبح متأصلاً

داخل الاقتصاد العالمي، في تكرار لسيناريوهات تاريخية ماضية، كما في أزمة السبعينيات<sup>49</sup> والثمانينيات من القرن الماضي، حين ازدادت الأسعار عدة أضعاف، مما قد يهدد بوقوع أزمة جديدة، يصعب التنبؤ بمخارجاتها. خاصة في ظل الظروف السياسية والاقتصادية، التي يعيشها العالم من تنافس صيني أمريكي، بلغ حد القول بأنها حرب اقتصادية غير معلنة، وظروف القارة الأوروبية الحالية التي تعيش حرباً عسكرية بين روسيا وأوكرانيا. مع كل انعكاسات هذه الحرب على ارتفاع أسعار الطاقة والغذاء، ليس في أوروبا وحسب بل في كل دول العالم، وتأثيراتها الشديدة الوطأة كالعادة على الدول الفقيرة.

**جملة القول،** إن المؤشرات الحالية داخل الاقتصاد العالمي، وخاصة المتقدمة منها، والعديد من العوامل الجيوسياسية، والتوترات العسكرية القائمة، تدل بوضوح على أن التضخم الحالي قد يستمر لفترة أطول مما كانت البنوك المركزية تتوقعه، خاصة أن عوامل اتقاده تعمقت بعد الحرب الروسية على أوكرانيا، بدلاً من تقلصها، كارتفاع أسعار الطاقة، واختناقات سلاسل التوريد من جديد، وتراجع إمدادات الغذاء والعديد من الخامات الرئيسية في الصناعة وغير ذلك.

بالتالي أصبحت مصداقية العديد من البنوك المركزية المؤثرة في العالم مهددة، كالبنك الاحتياطي الفيدرالي، والبنك المركزي الأوروبي. كونها ما تزال تركز على سياسات الإنعاش الاقتصادي، والتوظيف، والاستقرار المالي. وذلك على حساب عدم اتخاذ أية خطوات ملموسة بشأن تقليص شراء الأصول، ورفع أسعار الفائدة، لتهدئة وتيرة الإنفاق المتزايدة، وكبح جماح التضخم، لأن المعدل الحالي يهدد الأمن الغذائي لملايين الأسر حول العالم، وهذه الخطوات تُفقد هذه البنوك مصداقيتها، مما سيؤثر على الكثير من المؤسسات المالية، والسياسية، والاجتماعية، ليس فقط في الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبي، بل ستطال تلك الآثار معظم دول العالم، وستنعكس على شكل كوارث حقيقية على الفئات الفقيرة فيها.

---

<sup>49</sup> بلغ معدل التضخم في عام 1975 24.2% وجاء نتيجة لأزمة ارتفاع أسعار النفط بعد قطع السعودية لإمداداتها عن السوق العالمية.

## استراتيجيات الحروب الرقمية لتغيير وجه العالم

### (الحروب السيبرانية والتضليل البصري نموذجاً)

أ. أوصمان علي

إنشأتين: "الخيال أهم من المعرفة، بالخيال نستطيع رؤية المستقبل"

وزير الدفاع الأمريكي لويد أوستن: "الحرب المستقبلية لن تشبه الحروب التقليدية"

#### مقدمة

في مناطق الصراع، والنزاعات السياسية، والاضطرابات الاجتماعية، أصبحت الجغرافيا والجيش ودعائم الدول معرضة للانهايار والسقوط، إعلامياً وإلكترونياً، قبل أن تسقط في الواقع، بسبب التطور المتلاحق للتكنولوجيا، وتوالي أجيالها المستحدثة.

إذ تغيرت العديد من المفاهيم والنظريات الخاصة ببيكولوجيات التأثير والاختراق والسيطرة، وتغيرت معها قواعد اللعبة وخارطة الهيمنة وموازين القوة، فرغم ما توفره الشبكة العنكبوتية ووسائل الاتصال من التواصل الآني بين الأفراد والجماعات، واختصار الجغرافيا والوقت وتيسير الأمور الحياتية، إلا أنها أصبحت -في ذات الوقت- وجهة استثنائية لعدد من الدوائر الدعائية المجندة، التي تحشد جميع طاقاتها المادية والبشرية لإعادة تشكيل توجهات الرأي العام المضاد وتأطيره.

ضمن الصفحات المقبلة، سنستعين بالمنهج الوصفي لدراسة وتحليل استراتيجيات وأبعاد توظيف القوى المختلفة للأجيال الحديثة، من التقنية المتطورة لضرب الأهداف الحيوية للأعداء والمنافسين، وسنحاول استشفاف الآثار الناتجة عن كل ذلك، على الأصعدة المتعددة والوصول إلى تفسيرات منطقية من خلال الاستناد إلى المصادر الواضحة والمراجع العلمية الأصيلة (دراسات سابقة، وأبحاث، وتقارير، وبرامج متلفزة) لإغناء المحتوى المعروض. وستعنون هذه المضامين ضمن ورقتنا البحثية بما يلي:

أولاً: الحرب السيبرانية ثانياً: التضليل البصري ثالثاً: النتائج والخاتمة

## أولاً: الحرب السيبرانية

وسط جو حافل بالتطورات والمتغيرات العالمية، أضحت معادلة التأثير والسيطرة وتغيير وجه العالم، بحاجة إلى مراجعة التفكير بشكل وديناميكية الصراع، سيما مع الانتقال من الاستراتيجية العسكرية التقليدية إلى الاستراتيجية الفضائية، التي تتوجه فيها "مارشالات" الحرب والمال إلى توظيف (الجيش السيبرانية، والقدرات التكنولوجية، وأجهزة الاستشعار بعيدة المدى)، كساحات حيوية مكتملة العناصر، لإظهار التفوق والقوة والمقدرة على تهديد العقول وتزييفها، واستمالة الغرائز، وتوجيه أصحابها وفقاً للخطط والأجندة الموضوعية مسبقاً.

يُطلق مصطلح "الحرب السيبرانية" على تلك الحروب الإلكترونية العابرة للحدود، والتي تقودها هجمات إلكترونية تخترق أنظمة الاتصال بسرعة خيالية، وتستهدف إحداث أعطال في الأجهزة التقنية وشبكات الإنترنت العالمية، والنتيجة إحداث أعطال كارثية.

وغالباً ما تشن الحروب الجديدة بواسطة أحدث التقنيات الذكية، وبإسناد من مراكز الأبحاث التقنية والدوائر السيكلوجية والسييسولوجية، التي تُستثمر من جانب أصحاب المال والسياسة وصناع القرار، لمنح القاعدة الشعبية المؤيدة للحزب الحاكم أو الدولة -على سبيل المثال- رسائل اطمئنان تشذز الهمم والمعنويات أحياناً، وتلمع الصورة السيئة لممارسات الأنظمة والمؤسسات والأفراد أحياناً أخرى.

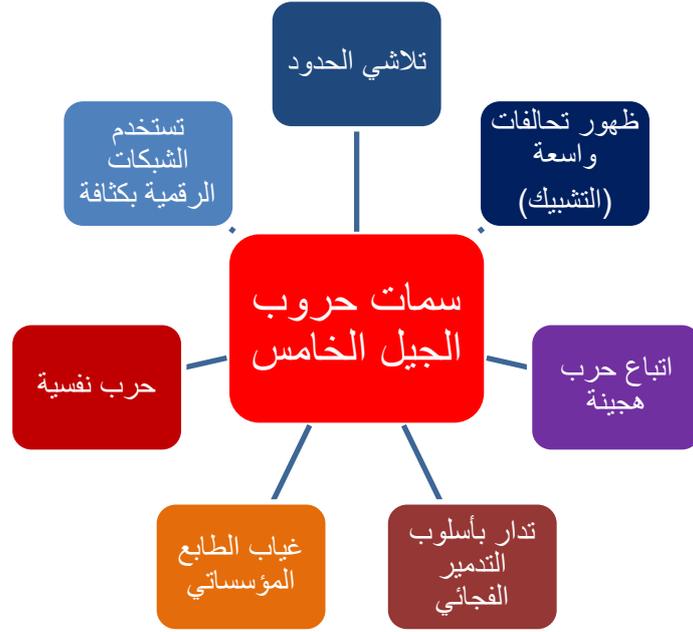
كما يتم العمل على مستوى الجبهة الخارجية؛ فُتشن أعمال عدائية خلف الحدود، بهدف تقويض النسيج المجتمعي، وإحداث أكبر خسارة ممكنة في القطاعات الحيوية، ويتم إرهاب عقول ونفوس من تجدهم عائقاً، لتمرير استراتيجياتها وخططها الحالية أو المستقبلية، ولا يخلو الأمر -غالباً- من ضخ الفضاء المعلوماتي بالأكاذيب الفاقعة، والمضامين المفبركة، واستخدام أحدث التقنيات في التزييف والخداع، لكسب المعركة. لذا، جميع المؤشرات تؤكد بأن العالم ماضٍ في حروب غير متعادلة من حيث التكافؤ في القدرات الأمنية، الدفاعية والهجومية، ومن الصعوبة التكهن بالنتائج والآثار الناتجة عن الحروب الحديثة. سنبحث وناقش في هذه الإطار مفهوم "حرب الجيل الخامس"، وأبرز الأسلحة المستخدمة في الحرب السيبرانية، مع بيان تداعيات هذه الحرب ومخاطرها على المستويات كافة.

## 1) حروب الجيل الخامس

في الحروب المعلوماتية أو حروب الجيل الخامس (5G)، باتت القوى والدول تخوض الحروب وتُخضع دولاً عظمت لسلطاتها، بدون استخدام طلقة واحدة. فآلية السيطرة على عقائد الجيوش، وأفكار الشعوب تغيرت تماماً، وباتت تتم بسرعة قد تقل عن 1 ملليمتر في الثانية، وذلك عبر التجنيد الإلكتروني للجواسيس، واستخدام شبكات التواصل، والطائرات المسيّرة؛ لإحداث أكبر ضرر ممكن لمختلف القطاعات الاتصالية والمنشآت الحيوية، وليصل الأمر إلى شلّ حركة الدول، وفرض القيود على مفاصل الحياة، والأمر برمته منوط بمن يمتلك البيانات، ويشوش على الأقمار الصناعية.

وصفها الكاتب الأمريكي "جون روب" في مؤلفه عن حروب الجيل الخامس: "إنها حرب أفكار، إنها تطلق دوامة من العنف وتزداد بأسلوب التدمير الفجائي لقوى الخصم، معنوياً ونفسياً، بإطلاق عملية من شأنها إشاعة الاحباط لدى الخصم، وميدانها الفضاء الإلكتروني". (1)

هنالك من يجد بأن حرب الجيل الخامس تمتد في فلسفتها للنظرية الاقتصادية (التدمير والبناء)، لعالم الاقتصاد والسياسة الأمريكي "جوزيف شومبيتر"، والتي تبنتها فيما بعد وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق "كونداليزا رايس"، حينما أطلقت عام 2005 مصطلح "الفوضى الخلاقة" لإنشاء "شرق أوسط جديد"، لكن على العموم فإن من يمتلك المعلومات والبيانات (BIG DATA)، هو الأقوى والأجدر بالتفرد على الساحة، وبإمكانه فرض شروطه الخاصة على كبريات الشركات، والدول، فحروب اليوم تُدار من خارج أسوار المؤسسات الضخمة، وخارج حلقات المعارك الميدانية، إذ إن فريق من المبرمجين والجواسيس المأجورين والمدربين كفيل بأداء المهمة الموكلة إليه بكل يسر وسهولة، وبأقل الخسائر والأثمان الباهظة.



الشكل رقم (1) - سمات حروب الجيل الخامس

علاوة على ذلك، يُعرف الجيل الخامس من الحرب، بأنه لا يخضع للقيود الأخلاقية أو الاجتماعية والقيمية، وكفيل بالنفوذ إلى البنى الاجتماعية، وقواعد الإعلام الوطني، نظراً لما يمتلكه من عوامل الجذب والاختراق المتعلقة بفورية الوصول إلى قاعدة بيانات الطرف المضاد، وبث وتضليل المعلومات، واختراق شبكاته، وتعطيل منشأته الحيوية المدنية والعسكرية (محطات الطاقة، والمطارات، وشبكات المياه، والكهرباء، وأنظمة الإنذار، وآليات الدفاع العسكرية، وغيرها..)، بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية التي تنطلق من المدافع الإلكترونية، لتخلف خسائراً بمليارات الدولارات، من خلال استخدام البرامج الخبيثة التي تعمل على تشفير الأنظمة الإلكترونية للخصوم.

## (2) الأسلحة الهجومية السيبرانية

تركيز اجتماعات حلف شمال الأطلسي (الناتو) على خطورة الحرب الإلكترونية، وتشديد رؤساء بعض الدول الكبرى، كأمريكا وروسيا والغرب، على تقاوم الهجمات السيبرانية ضد أهدافها، لم يأت من فراغ، كي يتم منحها الأولوية على قائمة الأجندة والاهتمامات الأمنية، بل وصل الأمر إلى تصنيفها ضمن البند الخامس لـ"الناتو"، الذي يُعدّ أي خطر يهدد عضو من أعضائها "عدواناً"

يهدد الجميع، وهذه المخاوف والتحذيرات نتاجات أنية لحجم تطور القدرات السيبرانية في وقتنا، والتي باتت مؤشراً سيادياً لإظهار قوة وإمكانيات أي دولة.

في السابق كانت القوة الصلبة (Hard Power)، تشكل عموداً فقرياً لإدارة ساحات المعارك وجهاً لوجه، إلا أن الحاجة إلى تخفيض الخسائر، وتسريع عمليات الحسم العسكري، وتحقيق الأهداف بدقة فائقة، دفعت العقل البشري للاستفادة من التجارب التقنية السابقة، لتشكيل قوات ردع فضائية هجومية ودفاعية، تستند إلى الأسلحة السيبرانية الدقيقة لمعالجة البيانات المدعومة بالذكاء الاصطناعي.

ويصبح بالإمكان تحديد مصادر الطاقة الكهرومغناطيسية من خلال الأنظمة الشبكية، وأجهزة الإنذار المبكر، التي تحدد مصادر التهديد، وتحاول تقييم الأضرار في حال حدوثها.

في هذا الشكل من الحروب الإلكترونية الناشئة، التي تفوق سرعة الصوت، يتم ابتكار العديد من الأسلحة الهجومية الإلكترونية عالية الدقة، خاصة تلك المعتمدة على الطاقة الموجهة الحديثة، منها "الموجات الدقيقة - أسلحة الميكروويف" (high-power microwave weapons) المعروفة اختصاراً بـ "إتش بي إم (HPM)" من أهم الأسلحة الجديدة في مجال الحرب السيبرانية. (2)

على سبيل الذكر، قامت الولايات المتحدة بإجراء العديد من الأبحاث على تطوير "أسلحة الميكروويف"، واسمها بـ "عملية الضربة القاضية"، الناجمة عن تسليط الليزر على أجزاء من المخ مما يحدث اضطرابات الخوف والهلع والتعب، كما استخدمتها مؤسسة داربا (DARPA) لإلحاق الضرر بالقلب وتدمير الأوردة، والتسبب بهلوسات سمعية، وبلغ الحد إلى حملها على الطائرات والمركبات العسكرية، ليتم استخدامها في الحروب.

أقرب النماذج في هذا الخصوص، حينما استخدمت الصين "الميكروويف" ضد القوات الهندية في



المناوشات الحدودية الأخيرة فيما بينهما، في يونيو/حزيران 2020. فعندما وجدت الصين نفسها غير قادرة على صدّ التفوق العسكري الهندي المدرب على القتال، والتصدي للهجمات في المناطق الجبلية، والتي احتلت أعالي جبال الهيمالايا، قامت القوات الصينية بحمل أجهزة سلاح "الميكروويف" على السيارات وتسليط الأشعة على قمم الجبال، وكانت النتيجة شعور القوات الهندية بدوار شديد، وتعب مفاجئ، وقيء، وهلوسات سمعية، جعلتهم يتقهقرون فوراً، وبالتالي احتلت الصين تلك المناطق بسهولة. (3)

### (3) نماذج من الحروب السيبرانية

بناءً على القدرات الهائلة للأسلحة الهجومية في التدمير، بات الفضاء السيبراني اللامتناهي - طولاً وعرضاً- ميداناً عاصراً للصراع بين الدول، ومؤشراً مرعباً على بلورة قدرات الدول والحكومات، وحتى الأفراد، لاستعراض فاعلية الترسانة الإلكترونية على الساحتين المحلية أو العالمية، فانقل الصراع من الضجيج المطبق إلى الصمت المدوي، كما تم التركيز على الهجمات الإلكترونية، والجرائم السيبرانية، والقرصنة المهددة للأنماط الفكرية للجمهور المستهدف، ليصبح معها الذكاء الاصطناعي العنوان الأبرز للانتقال من الصراع على الأرض إلى الصراع في الفضاء اللامحدود، وبالتالي يكون تزيف منظومة الأفكار والوعي العام لصالح الخضوع لإيديولوجية الأمن السيبراني؛ الأقوى بمئات المرات من الجيل الرابع للإنترنت. هنا، يمكننا الاستشهاد بنماذج لعدد من الحروب الإلكترونية الناشئة، والتي ألحقت بأقطاب الصراع خسائر كبيرة، دفعتها إلى مراجعة حساباتها، وصون مرافقها الحيوية من أي هجوم إلكتروني مباغت، ومن هذه النماذج:

1- الهجمات الإلكترونية الروسية كتلك التي قامت بها ضد وزارة الخارجية الأمريكية، وقرصنة الانتخابات في عهد الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب، إلى جانب تعطيل أنابيب النفط الأمريكية "كونيال" عدة أيام.

كذلك استغلت روسيا الهجمات السيبرانية أثناء نزاعها مع جورجيا عام 2008، ولشبه جزيرة القرم عام 2014، فضلاً عن إتلاف البيانات، وتعطيل الأنظمة الحاسوبية الخاصة بالحكومة الأوكرانية بوساطة نوع من البرامج الخبيثة يسمّى "الماسح Wiper"

2- اختراق الجيش الإلكتروني الإيراني (التابع للحرس الثوري) حسابات رسمية وقطاعات حيوية في إسرائيل، ومنها أخرى تعود لشركة "آرامكو" السعودية، ومؤسسات قطرية، فضلاً عن دودة "ستوكسنت" الخبيثة التي وظفتها إسرائيل لضرب منشأة "نطنز" النووية الإيرانية، في الحادي عشر من نيسان /أبريل من عام 2021.

3- استخدام إسرائيل برنامج "بيغاسوس (PEGASUS)" للتجسس على هواتف الصحفيين والناشطين المناهضين لها.

#### 4) خطورة الحرب السيبرانية وتداعياتها

في ضوء سباق التسلح الإلكتروني الناتج عن الثورة الرقمية، تدخل القوى الدولية والإقليمية في صراع جديد، قائم على توظيف الذكاء الاصطناعي (الجهاز العصبي للتحالفات المقبلة)، لجعل الجيوش، والشركات المالية، والبنى الحيوية أكثر سرعة وذكاءً وأمناً ودقة في إصابة الأهداف (خلق الإنسان الروبوت)، ومعها تزداد خطورة الآثار الناتجة عن الحرب السيبرانية التي تهدد العالم بأسره، فسيادة الدول واستقلالية قراراتها في تراجع مستمر لصالح تصاعد أدوار الشركات التقنية العابرة للحدود، والقرصنة، والتجسس الإلكتروني، وشبكات الجريمة المنظمة وغيرها، ممن تفرض اليوم تحديات جمة، توحد صفوف المنافسين للحفاظ على الأمن السيبراني العالمي.

كما تعدّ المخاطر السيبرانية أكبر مصدر للقلق للشركات على مستوى العالم عام 2022، وفقاً لمقياس المخاطر الذي أصدرته شركة أليانز (مقياس أليانز للمخاطر؛ هو التقرير السنوي للشركة الذي يحدد أهم المخاطر التي قد تواجه الشركات في الأشهر المقبلة من هذا العام). (4) عموماً نوجز المخاطر الجسيمة الناتجة عن صعود وحدات القتال السيبراني المشبوهة بـ:

- خسائر اقتصادية، وجرائم إلكترونية تقدر بمليارات الدولارات، وشلل في حركة التجارة العالمية.
- توتر في العلاقات الدبلوماسية بين الدول، وتراجع الثقة بين الحلفاء.
- تراجع القدرة على تأمين المعلومات السرية أمام هجمات الجواسيس المدربين.
- تُشكل خطراً حقيقياً على الأمن النووي في العالم، بالتالي لم يعد مستبعداً اندلاع الحرب النووية الإلكترونية.
- تعطيل الإلكترونيات الساكنة للمرافق الحيوية، بدءاً بتهديد شركات النفط والغاز، وانتهاءً بقطع الكهرباء عن العالم (تجربة قطع الكهرباء لساعات عن ولايات شرقية في أمريكا).
- تدمير آليات الدفاع المدني والعسكري، وتشكيل الخطورة على الأنشطة الحساسة للدول.
- وقوع الدول العظمى والشركات العالمية أسيرة لرحمة وابتزاز شبكات التجسس والاختراق، التي غالباً ما تطالب بفديات مالية كبيرة (فرض ذلك على 200 شركة أمريكية سابقاً).
- زيادة الفجوة المعلوماتية والتقنية بين دول العالم المتقدم والمتخلف.
- إحداث خروقات لقواعد البيانات ولحسابات العملاء، وانتهاك الملكية الفكرية وخصوصية الأفراد.
- الانقطاعات الرئيسية لتكنولوجيا المعلومات، وضرب المنصات الإلكترونية وتعطيلها (مثلما حدث مع شركة ميتا "فيسبوك سابقاً"، التي انقطعت خدماتها حول العالم لمدة 6 ساعات في الرابع من أكتوبر/ تشرين الأول من العام الفائت).
- تقاوم الخروقات الأمنية، واستخدام الفضاء الإلكتروني لشن وتنسيق الهجمات الإرهابية ضد مصالح الأفراد والدول.

أما عن حجم الأضرار الجسيمة الناتجة عن اختراق الجدار السبيرياني الآمن، فحقيقة، تبدو الأرقام مقلقة وصادمة، ففي حين قدرت الإحصاءات خسائر الجرائم الإلكترونية بحوالي 6 تريليونات دولار في عام 2021، من المتوقع -حسب الخبراء- أن تكلف العالم أكثر من 10 تريليونات دولار مع حلول عام 2025، وهذا ما دفع بدول، كأمريكا والصين وقوى غربية، إلى تعزيز الوسط الرقمي، من خلال تخصيص ميزانية مستقلة ضمن موازنتها السنوية، تقدر بملايين

الدولارات، لضمان الأمن السيبراني، ومجابهة المخاطر التي يتوقع أن تتعرض لها أنشطتها الحيوية، ومؤسساتها السيادية. (5)

في الولايات المتحدة يوجد حوالي 879 ألف متخصص في مجال الأمن السيبراني من بين مجموع القوى العاملة (6). وعلى الصعيد العالمي، فإن الفجوة أكبر، وسوق العمل يحتاج لنحو 3.12 مليون وظيفة بهذا المجال، وفقاً لمنظمة (ISC)<sup>2</sup>؛ وهي منظمة دولية غير ربحية، تقدم برامج التدريب والشهادات في مجال الأمن السيبراني

بناءً على ما قيل، وبعيداً عن قدرات الدول المتسلحة بالأنظمة الحديثة في الأمن السيبراني، فإن معظم بلدان الشرق الأوسط غائبة عن مشهد التسليح الفضائي، وتفتقد مؤهلات إدارة الصراع عن بعد (الصراع المستقبلي)، باستثناء بعض الدول، كإيران وإسرائيل ودول خليجية تخصص ميزانيات مستقلة لتحقيق الأمن السيبراني، وإيجازاً لذلك فإن خسارة أي طرف غير معني بالتقنيات الافتراضية في أية معركة مستقبلية تخلو من استخدام الأسلحة التقليدية أمر واقع، كما يستوجب الإشارة إلى أن قواعد الهجوم والانتقام الحديثة، قد تتركنا مصدومين من هول المفاجأة، فتتعطل الحواسيب، وأنظمة الرعاية والاتصال، ويتم اختراق التطبيقات، والخصوصيات الآمنة، وبالنتيجة يكون السيناريو الأقرب والأسوأ للجهات المستهدفة، هو الاستسلام والخضوع للهجمات الخبيثة المعقدة، سيما في حال كانت الدارات الإلكترونية تدار بواسطة التنظيمات الإرهابية والمتطرفة، أو الجهات التي ستسعى إلى الانتقام، لتعارض مصالحها وتداخل استراتيجياتها.

## ثانياً: التضليل البصري

لطالما كانت الصورة ذات سلطة رمزية تأثيرية تستخدم لأغراض توثيقية وفنية، تضيف على مجرى الحوادث عنصرى المصداقية والجمالية، كما ظلت أفضل أدوات الإقناع صدقاً وتعبيراً لإلتقاط الوقائع المفصلية في تاريخ البشرية، فالصورة -كما يقال- "شاهدة تُغني عن آلاف الكلمات"، و"أبلغ حتى من الكلام" في سياق إغناء الذاكرة البصرية للأمم والشعوب. هذا ما كان بالإمكان تصديقه -حقاً- قبل التطور المتلاحق لتقنيات التلاعب بالصور وتعديلها، وإفراغها من المحتوى الأصلي، وتوظيفها خارج سياقها الطبيعي، كشكل من أشكال تضليل الجمهور وتأطيره بصرياً، ضمن نطاق التعتييم والحذف والتغييب، بل حتى داخل أطر التفكير والتجزئة لعناصر الصورة الساكنة والمتحركة، والأمر تقاوم أكثر مع أحدث تقنيات الخداع بالصورة المرئية، متمثلة بتقنية "التزييف العميق - المحاكاة الواقعية"، والتأطير البصري للأحداث، بصورته المستحدثة.



الشكل رقم (2) - تقنيات التضليل البصري

## 1) تقنية "التزييف العميق" و"إنكار المعقول"

إن تعديل الصور ليس بالأمر الجديد، لكن تطور أدوات "الجرافيك الرقمي" في ظل الذكاء الاصطناعي، والإقناع البصري وضعنا أمام سيل هائل من الفيديوهات المعدلة والمختلقة، التي تبدو حقيقية، ومذهلة في واقعيتها، لدرجة بات تحول الصور القديمة الساكنة على شكل فيديوهات تبدو حية وتحاكي الشخصيات الراحلة، كما أن الإقبال المتزايد حولت هذه التقنية إلى وسيلة فعالة لابتزاز الرأي العام والتلاعب بحاجاته، وإغراق الضحايا في مناخ يسوده الاضطراب النفسي، والتهديد المتواصل.

في عمليات التضليل الإعلامي الرقمي، يتم تطوير البرنامج بتقنيات التعلم الذاتي الآلي، بعد المعالجة الرقمية المعقدة للتفاصيل البصرية الدقيقة والخاصة بتركيب وتغيير الملامح، وتعديل الصوت. بحيث تؤثر على البصمة الرقمية للصور، وفي هذا المجال، يتم إنشاء المحتوى البصري والسمعي من خلال استخدام تطبيقات عدة (ريفيس Reface، وومبو Wombo، زاو Zao..).

تجربة الحرب الروسية - الأوكرانية، كانت ساحة حيوية لإنشاء فيديوهات مزيفة عن الرئيس الأوكراني "فولوديمير زيلينسكي"، وسابقاً حصل ذات الأمر مع الرئيسين الأمريكيين "دونالد ترامب"، و"باراك أوباما"، والكثير من الشخصيات العالمية.

في المقابل، ونظراً للمخاوف الناتجة عن استخدام التقنية، حذرت وكالة الشرطة الأوروبية "يوروبول" Europol، من توسع استخدام تقنية "التزييف العميق" في عالم الجريمة، لقدرتها على جعل أشخاص يظهرون على شبكة الإنترنت، وهم يقولون أو يفعلون أشياء لم يسبق أن قالوها أو فعلوها، أو انتحال شخصيات جديدة تماماً، ويمكن أن يكون لها تأثير مدمر؛ إذا وقعت هذه التقنية خطأ في أيدي غير أمينة. (7)

بذلك أثبتت تقنية "الواقع المعزز" قدرتها الهائلة على تزوير الهوية، والانتحال من قبل المحترفين، ومجرمي الإنترنت، كما استُغلت لتزوير كل شيء، وهذا من شأنه أن يقود إلى عواقب غير محمودة، تؤدي إلى:

- التضليل الإعلامي، وانتشار الجرائم الرقمية، وحالات الاحتيال، والتتمر الإلكتروني.

- انتشار ثقافة "إنكار المعقول"، ففيها يتم الخلط بين ما هو حقيقي، والمحتوى المزيف.
- انتهاك الخصوصية وإثارة الشك في مصداقية الأمور، سيما مع استخدام ملامح الشخصية في أماكن غير لائقة.
- سرقة الهوية وتحقيق مكاسب غير مشروعة، من خلال انتحال الشخصيات، واختراق الهواتف والحسابات البنكية.
- تشويه الصورة العامة للشخصيات الهامة وقادات المجتمع، حتى بعد كشف زيف الفيديوهات.
- تزييف الأصوات، الأمر الذي يجعلنا نفقد الثقة في أية مكالمة أو مقطع صوتي.

## (2) "الميتافيرس Metaverse" و"العالم الموازي"

لم نكن ندرك أو نتوقع يوماً، أن نصافح أحداً أو نتسوق إلكترونياً أو حتى نحبي الحفلات، ونحاكي الواقع رقمياً، لكن هذا ما أصبح من اليسير تصديقه مع تقنية "ميتافيرس"؛ التي تعدّ من أحدث نتاجات الألفية، وأكثرها دهشة لتغيير المفاهيم، والطباع البشرية، والأنماط الحياتية ضمن شبكات معقدة من العوالم الرقمية المتداخلة، تجمع بين الواقع المادي، والعالم الافتراضي المشكل بصرياً.

يعود ظهور مصطلح "ميتافيرس" إلى الكاتب الأمريكي "نيل ستيفنسون"، في رواية الخيال العلمي، التي حملت اسم "سنو كراش Snow Crash". وتدور أحداثها حول شخصيات افتراضية حية، تلتقي في مبانٍ ثلاثية الأبعاد وغيرها من بيئات الواقع الافتراضي، التي عادة ما تغطي التاريخ واللغويات، والأنثروبولوجيا، وعلوم الدين وعلوم الكمبيوتر والسياسة والتشفير.

كما أن تغيير شركة اسم "فيسبوك" إلى "ميتا" أيضاً، هو سلسلة من الترتيبات الرقمية التي يتم الربط فيها بين العالم الافتراضي، متمثلاً بمنصاته المتعددة، وتقنية "ميتافيرس" التي ينتظر منها الخبراء التكنولوجيون تغيير واقع الشبكات الرقمية بشركاتها ومنصاتها الاجتماعية، وفتح آفاق ومجالات لم نكن ندركها، كما في عمليات (التسوق التجاري، أو التعليم، وإقامة الورش التدريبية، وتداول العملات الرقمية، وتصميم الغرف الجراحية)، ضمن واقع رقمي معزز، يقدم شتى الخدمات الحيوية للبشرية بواسطة صور رمزية، تتقمص الأشكال الحقيقية عبر استخدام نظارات الواقع المعزز، والهواتف الذكية، وأدوات افتراضية مشابهة وفق "المجال العام"، القائم على التفاعل بين الأفراد والجماعات مباشرة، دون الخضوع لرقابة أو لعوائق اتصالية.

وفقاً لما سبق قوله، استطاعت الكثير من الشركات الإلكترونية العالمية، أن تخطو خطوات جريئة، سيما في ظروف جائحة كورونا، فتوجهت لتطوير آليات التواصل الرقمي بين الناس. وفي مقدمة هذه الشركات، شركة "مايكروسوفت"، و"ميتا"، و"آبل"، و"آمازون"، إذ حولت أدواتها ومحتواها وبيئتها الرقمية إلى 3D (ثلاثية الأبعاد)، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل باتت حتى الدول في سباق تنافسي، لتحاكي واقع افتراضي يجري الخصوم، ويعاين الاستراتيجيات العسكرية، والخطط الأمنية -بصرياً- من بوابة "العالم الموازي".

في ضوء هذه التطورات التقنية، يعبر العالم التقني "لويس روزنبرغ" عن قلقه من تداعيات "ميتافيرس"، فيقول: "لن يشعر المستخدمون بحرية الاختيار، ولن يقوموا بفصل نظام الواقع المعزز الخاص بهم، مما سيضعهم في وضع غير مؤات اجتماعياً واقتصادياً وفكرياً، كما يمكن بسهولة تصميم التراكيب الافتراضية لتضخيم الانقسام السياسي والاجتماعي، ونبذ مجموعات معينة، وحتى إثارة الكراهية وانعدام الثقة". (8)

حقيقةً، لا يمكن التنبؤ أو التكهن كثيراً بما يمكن أن تفضي إليه تقنية "ميتافيرس" في الظرف الراهن، لأنها وليدة سلسلة من التطورات المتلاحقة، لكن -مثلها مثل أي تقنية رقمية أخرى- ستحمل أبعاداً إيجابية وأخرى سلبية، من الصعب الاستغناء عنها في عالمنا الرقمي، ولن يقتصر الأمر عند تفاعل الناس مع بعضهم البعض، بل هي مقدمة للربط الكمي بين الواقع المادي على كوكب الأرض، والكواكب الأخرى عبر سلسلة من الوسائط الرقمية. إنه عالم جديد آخر سيغير وجه العالم رأساً على عقب، وهنا ستكون الدول المتقدمة -علمياً وتقنياً- هي الرائدة، وصاحبة القرار والسيادة، مع تغير قوانين الصراع والتسلح الرقمي.

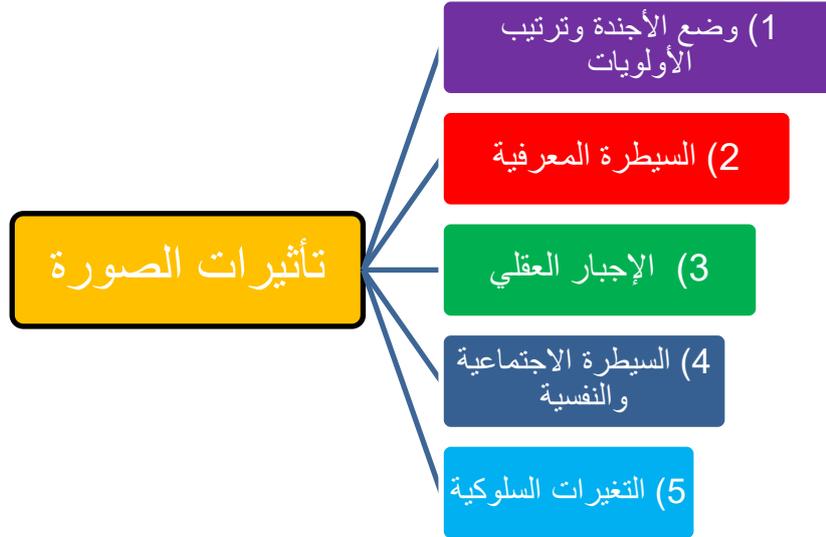
### (3) التأطير البصري للأحداث

تعدّ الصورة التي قد تلتقط في لحظة معينة، أو يُعاد تحديثها بعد نشرها سابقاً في تواقيت أو جغرافية أو أحداث مغايرة، نتاج نظرية "التأطير الإعلامي"؛ التي تعد واحدة من أخطر نظريات صناعة الرأي العام وبلورته، وفيها يتم توظيف الأحداث والمشاهد ضمن سياقات ومسارات منحازة، لدرجة لم تعد عبارة "من سمع ليس كمن رأى" تقي بالغرض لثبات مصداقية الأحداث، فمن رأى قد يكون ضحية تزييف الذاكرة البصرية بالصور المخادعة، وهنا تبرز أهمية التقنيات الحديثة في إنتاج قصص مصورة مؤطرة بايديولوجيا القائم بالاتصال، يتم فيها إبراز بعض

الجوانب، وإغفال وعزل جوانب أخرى (الإقصاء المعرفي)، بغرض نقل رسائل محددة إلى الرأي العام.

غالباً ماتكون الصورة الرائجة والمتداولة أكثر وقعاً في التأثير من المحتوى النصي، وهو نتاج طبيعي لقدرات الصورة الفائقة، والعالية في الإقناع، ولفت الانتباه، وحصد قاعدة من التعاطف والحشد الجماهيري، فالصورة الثابتة أو المركبة بحد ذاتها لغة عالمية تلغي عوائق الأمية، ولا تحتاج إلى معرفة أو مستوى عالٍ من التركيز، كما يحتاجه النص.

في ضوء طغيان ثقافة المظهر على المضمون والإبهار الشكلي على القيمة والعمق، تتسرب خيوط الصورة إلى كيان الجمهور وخيالهم، ويصبح من الصعوبة ضبط الآثار الناتجة عن ذلك، في ظل طغيان البعد الخيالي، سواءً على مستوى اكتساب المعارف وبت الأحكام المسبقة أو السيطرة والتحكم بالقيم الاجتماعية، وتوليد الاخضاع العقلي (غسيل المخ)، والأثر النفسي الفاعل القائم على الخداع بالصورة في حالات المحاكاة، والنقل عن المؤثرات البصرية.



الشكل رقم (3) - تأثيرات الصورة

كما قد يأخذ التأطير البصري أشكالاً عديدة، منها "التضليل الصوري السياقي" القائم على إعادة توليف الأحداث، وحبك تفاصيلها من خلال إخراج الصور من أصولها الزمانية والمكانية، وإعادة تحديثها في مواضع وبيئات متشابهة، مع توظيف عناوين إخبارية ملفتة وجذابة من حيث الشكل والمحتوى، لإغراق الجمهور في بحر من الخيال، ويمكن التركيز بشدة على التحكم في طبيعة المحتوى البصري، ودفع المتلقي لإدراك عناصره، واستيعابه، والتفكير به، والقلق بشأنه، ليصبح

في قائمة أولوياته على حساب مواضيع ومحتويات أخرى، يتم إغفالها لصالح أجنحة القائمين على الاتصال، وهذا هو جوهر نظرية "ترتيب الأجنحة والأولويات" التي نادى بها "والتر ليبمان" قبل مئة عام من الآن.



كما قد يصل الأمر في غالب الأحيان إلى تفتيق الأحداث، وفبركة المشاهد بغرض تضليل الرأي العام، وتحقيق انسياقه وراء الأجنحة الدعائية المخطط لها مسبقاً. نضرب في هذا النحو مثلاً عن التحقيق الذي أجرته وكالة "أسوشيتد برس Associated Press" الأميركية - قبل

قرابة ثلاث سنوات- عن دعم تركيا لحملة دعائية مزورة على "تويتر" و"انستغرام"، للتأثير على الرأي العام العالمي بشأن غزوها العسكري لشمال شرق سوريا، ولم تكنف بهذه الحملات، بل استخدمت صوراً مسروقة من وكالة أجنبية لا تمس للأحداث السورية بصله، على سبيل المثال، التقطت صورة حديثة يفترض أنها تظهر جندياً تركيا يعطي فتاة سورية الماء، لكن هذه الصورة مزورة وهي من وكالة "أسوشيتد برس" ونشرت في عام 2015. (9)

كما تم تداول صورة، زُعم أنها تظهر امرأة سورية باللون البنفسجي يحملها جنود أترك، وحصدت على إعادة تغريد بشكل واسع، ولكن في الواقع تمت سرقتها من وكالة "أسوشيتد برس" في عام 2010، أثناء عمليات الإجلاء



من الفيضانات التي اجتاحت باكستان.

فضلاً عن مشاهد التعزيزات التركية بشن عملية عسكرية جديدة في شرق الفرات، والتي أعيد تداول صور المدرعات والأرتال العسكرية التركية على أنها التحضير لل"معركة الشاملة".

يتبين من خلال النموذج أعلاه توظيف الصورة في خداع الجمهور لصالح دعم الرواية التركية. تكمن الخطورة اليوم -أكثر من أي وقت مضى- في جماهيرية المحتوى والتفاعل الرقمي، حيث تتزايد أعداد متصفح المنصات الاجتماعية في العالم الرقمي، وتتحوّل معظم المنشورات والمحتويات المدعومة بالصورة الزائفة إلى "تريند"، يغزو صفحات التواصل الاجتماعي، لتصبح بمثابة قضايا رأي عام (خاضعة لإعادة تعديل الموجه سياسياً)، وتحصد نسب عالية من المتابعة

والمشاركة والتعاطف، وغالباً ما قد تنتج عنها أعمال عنف دامية وكراهية تتأصل في العمق الاجتماعي، كما في (موجات عداة المواطنين الأتراك تجاه اللاجئين السوريين، واليمين الغربي المتطرف ضد الأجانب).

انسجماً مع ما سبق ذكره، تصنف الصورة التي تُنشر خارج سياقها الطبيعي أو تُستغل ملامحها وعناصرها (الألوان، والملامح الشخصية، وجغرافية المناطق، والعمق، والزوايا)، تصنف ضمن خانة "التضليل الإعلامي بالإقصاء والخداع الممنهج"، وهذا ما يتفاقم تدويله مع تضارب المصالح، واشتداد المنافسة والصراع بين المتخاصمين، وأصحاب القرار. وبالنتيجة، تغيب الأخلاقيات والمسؤوليات الاجتماعية الخاصة بممارسة المهنة في حال النشر، ويسود البعد الخادع للصورة المؤدلجة والمعدلة بتقنيات عالية.

## ثالثاً: النتائج

بناءً على ما سبق تقديمه من وصف وتحليل، يمكننا إيجاز ما تم التوصل إليه في جملة من النتائج:

1- الحروب الحديثة لن تكون كسابقاتها، ستكون صامتة وأكثر وقعاً من الحروب التقليدية، فالآثار والمخاطر ستهدد جميع القطاعات الحيوية (العسكرية، والأمن المعلوماتي، والنووية، والاقتصادية، والسياسية، والصحة، إلى جانب شبكات الاتصال والكهرباء، وكل ما يعمل على الطاقة).

2- لن تعد الحروب منظمة ومتوقعة، بل ستصبح مباغتة وصادمة في تكتيكاتها واستراتيجياتها، بحيث تترك حسابات الجميع، وليس من المستبعد أن تصنف دول كبرى ضمن قائمة الضحايا، لذا من غير اليسير التكهن بالنتائج، سيما أن مصدر التهديد قد يكون مجهولاً.

3- قد ينتج عن الحروب السيبرانية صعود دول وقوى وهبوط أخرى، ومزیداً من حالات الابتزاز والتهديد والاختراق.

4- سيختلط الشك باليقين، والحقيقة بالخيال، ستنتهك الخصوصية، والسرية، وسيغلب الإبهار البصري على العمق والتحليل، ويصبح الحفاظ على سيادة الدول وحيوية منشآتها أمراً صعباً.

5- ستتغير قواعد الصراع الأمني وسباق التسلح الرقمي، وستصبح الدول المتقدمة "علمياً، وتقنياً" صاحبة السيادة والقرار على المستوى العالمي.

6- تقنيات التضليل البصري، ويتقدمها "التزييف العميق" ستغير وجه العالم، وتتبدد قواعد الثقة والمصادقية، ليصبح الرائج تصديق الزائف، وتكذيب الأصلي، ومعها سيضحى التمييز بين الواقع والخيال أمراً في غاية الاستعصاء، كما يمكن أن تتعرض الصورة العامة لكبار الشخصيات والدول والحكومات للتشويه.

7- مع تقنيات التعديل -الفائقة التطور- على المحتوى البصري، سيصبح من السهل تلفيق الأحداث وإفراغها من الأصل والسياقات الطبيعية، وسيكون من الصعب تتبع أوجه التلفيق، واكتشاف البعد الخادع للصور الساكنة والمتحركة.

## الخاتمة

مواكبنا لتداخل أجيال الحرب الحالية أو المستقبلية واستراتيجياتها في التأثير والإقناع، وما يلزمها من إحداث تغيير معاكس للأطر المفاهيمية، والهويات الثقافية، والتوجهات السياسية، وحتى نمطية الحياة، يفرض علينا حتمية الإدراك السريع لمآلات الهيمنة والسيطرة الرقمية، والخداع البصري، واستيعاب التطورات المتلاحقة في الساحة الافتراضية، فضلاً عن أهمية تعزيز البنية الداخلية بمنظومة متكاملة من القيم العلمية الرشيدة، والوعي الرقمي، والأمن المعلوماتي، وهذا الأمر بحاجة إلى تضافر الجهود الفردية والجماعية، ومستويات عالية من التنسيق (التقني، والمعلوماتي، والإعلامي، والأمني، والنفسي..) بين الأنظمة والدول والشركات، لضبط مجالات العمل الرقمي، وسد الثغرات التقنية، وإمكانية سن تشريعات رادعة، ووضع ضوابط للحد من عمليات الاحتيال والاختراق والتشهير والابتزاز الرقمي، هذا في حال لم يكن التضليل وسيكولوجيات التأثير والإسقاط الافتراضي صادرة عن غرف ودوائر فضائية تتبع للدول، والحكومات، والشركات، حينها يكون الأمر مختلفاً وسيحتاج إلى تدويل الأمر ضمن سياقات أممية لتوحيد الجهود، وتصحيح المسارات الرقمية بما يخدم الجميع، من خلال استحداث مكاتب وهيئات الشفافية الدولية، وغرف المراقبة الرقمية المجهزة بأحدث تكنولوجيا الرصد والتأمين السيبراني، بالإضافة إلى التطبيقات الكاشفة للبرامج الخبيثة، وأوجه التضليل البصري، إلى جانب تخصيص ميزانيات مستقلة لدعم الأمن السيبراني، وإطلاق منصات داعمة للمحتوى الرقمي الإيجابي، فضلاً عن توظيف التكنولوجيا الرقمية إيجاباً في حقول التطوير (الطبي، والإعلامي، والاقتصادي، والاجتماعي..)، لإنجاز المهام بسرعة ودقة عالية وجهد ووقت أقل.

أمام الجشع والأنانية والصراع، تشترك البشرية جمعاء في ذات المصير، فالجزء مرتبط بالكل، والعكس صحيح، وجميع السيناريوهات محتملة أمامنا في عالم "ما وراء الافتراضي"، والمستقبل كفيل بمن سيتحكم بقواعد السيطرة والتحكم.

## المراجع:

- (1) زهير حمودي الجبوري، مقال بعنوان "العراق وحروب الجيل الخامس"، موقع "مركز النهرين للدراسات الإستراتيجية"، نشر بتاريخ 13 مارس/ آذار من عام 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/wsP5y>
- (2) محمد عبد الخالق مساهل، مقال بعنوان "دراسة جديدة تكشف عن أساليب الصراع لهدم الدول وتفتيت المجتمعات..حروب الجيل الخامس صانعة الدمار الكامل"، موقع "المصري اليوم"، نشر بتاريخ 13 ديسمبر/ كانون الأول من عام 2021، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/pbBhy>
- (3) تقرير بعنوان "الميكرويف مصير الأعداء"، موقع "ميدل ايست أونلاين"، نشر بتاريخ 12 مايو/ أيار من عام 2021، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/JTaNb>
- (4) تقرير بعنوان "التهديدات السيبرانية تقلق العالم.. فديات مالية وأضرار كبيرة"، موقع "العربي"، نشر بتاريخ 21 يناير/كانون الثاني من عام 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/7TBNT>
- (5) تقرير بعنوان "الجرائم الإلكترونية.. كم تكلف العالم؟"، موقع "جاك العلم"، نشر بتاريخ 1 فبراير/ شباط من عام 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/VOIBT>
- (6) تقرير بعنوان "العالم يبحث عن خبراء الأمن السيبراني"، موقع "الحرّة"، نشر بتاريخ 30 مايو/أيار من عام 2021، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/58mSW>
- (7) تقرير بعنوان "يوروبول" تحذر من تزايد استخدام تقنية "التزييف العميق" في عالم الجريمة"، موقع "يورونيوز"، نشر بتاريخ 29 أبريل/نيسان من عام 2022، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/54SMr>
- (8) تقرير بعنوان "الواقع قد يخنفي بسبب "ميتافيرس"!..خبير يحذر"، موقع "العربية نت"، نشر بتاريخ 16 نوفمبر/تشرين الثاني من عام 2021، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/v2QXm>

(9) تقرير بعنوان "هكذا استخدمت تركيا حملات مضللة على "تويتر" حول الهجوم على سوريا"،  
موقع "العربية"، نشر بتاريخ 9 نوفمبر/ تشرين الثاني من عام 2019، الرابط الإلكتروني:

<https://cutt.us/FABjW>

## الفصل الثاني

### قضايا رهنه

## التطورات الجيوسياسية للقضية الكردية في الشرق الأوسط

مركز الفرات للدراسات

لم يكن أكثر المتفائلين الكرد، على الصعيد الكردي، يتوقع أن يشهد العقدان الأولان من القرن الحادي والعشرين كيانات كردية، أحدهما معترف به بشكل رسمي "إقليم كردستان العراق"، والثاني ينتظر الاعتراف "الإدارة الذاتية في شمال وشرق سوريا". وقد حظي الكيانان بدعم القوى العالمية والتحالف الدولي، تحت شعارات متعددة، أهمها الديمقراطية، وحماية الأقليات، وسواها.

وتشير المعطيات الحالية، بأن كلا الكيانين -وضمن ظروف إقليمية ودولية مستعصية- استطاعا أن يؤسسا لهيكلية إدارية وسياسية وعسكرية، جعلت من الكرد رقماً هاماً ضمن المعادلات الإقليمية، وشركاء لقوى دولية كبرى، في سياساتها واستراتيجياتها داخل منطقة الشرق الأوسط، تمثلت تلك الشراكة في محاربة تنظيم "داعش"، وإحداث بعض التوازنات الجيوسياسية في المنطقة للعديد من الأطراف الدولية.

### تنامي العامل الذاتي الكردي

بالنظر إلى تطورات الأحداث على الساحة الكردستانية، خلال العشر سنوات الماضية على أقل تقدير، يمكن ببساطة ملاحظة التراكم السياسي الكردية الجديدة، وبالرغم من خلافاتها فهي باتت تتمتع بتكوينات سياسية وكيانات إدارية قادرة على تنظيم الصف الكردي، وخلق حالة من الثورة داخل المجتمع الكردي، على مختلف الأصعدة السياسية والاجتماعية والثقافية، وتغيير الواقعين السياسي والاجتماعي للمجتمع الكردي، الذي يعاني من بنى تقليدية غير مواكبة للتطورات السياسية العالمية والإقليمية، وقلبها نحو مجارة تلك الوقائع والتطورات، وإمكانية الاستفادة منها لمصلحة الشعب الكردي.

الإضافة الهامة هنا، تتلخص في أن الكرد اليوم يملكون من المقومات السياسية والاستراتيجية ما يؤهلهم للعب على الخطوط السياسية في منطقة الشرق الأوسط، والظفر بشكل ما بكيان كردي، خاصة بعد أن حظوا بدعم مباشر من الدول الكبرى، في سبيل ترسيخ أسس الهيكلية الإدارية

القائمة في سوريا، والفدرالية القائمة في العراق، وهي مؤشرات -في المنظور السياسي- قد تقود إلى خطوات تاريخية من قبل المجتمع الدولي تجاه الشعب الكردي وقضاياها، والتي لها أساس قانوني تاريخي وفق معاهدة سيفر، التي أقرت بالحقوق السياسية والقومية للشعب الكردي، قبل أن تتراجع دول الحلفاء عنها لاحقاً في اتفاقية لوزان وفقاً لمصالحهم. وتتلخص هذه المقومات في:

- يملك الكرد اليوم قوة عسكرية يتجاوز قوامها مئات الآلاف من المقاتلين ذوي البأس والشدة، والذين أثبتوا أمام العالم أجمع مدى قدرتهم وتمتعهم بإرادة صلبة في مواجهة أعدائهم، عندما واجهوا أعتى إرهابيي العصر، وهم مقاتلو تنظيم الدولة الإسلامية، سواءً في سوريا أو في العراق، وخلال معاركهم تلك، تمرسوا على أساليب القتال الحديث ونوعيته، فاكسبوا خبرة عسكرية لن يستهان بها مستقبلاً.
- حيث يشكل المورد البشري أهمية قصوى في أي مشروع سياسي كردي، فإنه يمكن الإشارة إلى أنه لم يغيب الكرد عن الساحة العلمية العالمية يوماً، وتشهد المرحلة الحالية بروز العديد من العلماء الكرد، على مختلف الأصعدة العلمية وقطاعاتها الرئيسية، إضافة إلى توفر المؤهلات الإدارية، وأصحاب الكفاءات العلمية، والخبرات العملية، لقيادة المرحلة التاريخية الحالية، والانطلاق بالمشروع الكردي على أسس قومية ودعائم علمية تجاري معطيات العصر، وتستوعب السياسات والاستراتيجيات الدولية والإقليمية، التي تظال المنطقة برمتها، وموقعهم داخل تلك الاستراتيجيات.
- من ناحية أخرى، وكما لم يحدث في التاريخ القريب، يملك الكرد اليوم الجغرافيا، وهي مناطق غنية بالثروات الباطنية، وخاصة النفط، إضافة إلى العديد من الموارد الاقتصادية الأخرى، كالمساحات الواسعة من الأراضي الزراعية، والمناطق السياحية، فضلاً عن موقعها الجيوستراتيجي، بتوسطها حدود دولتي إيران وتركيا والدول العربية، والذي يشكل بالنسبة للقوى الدولية أهمية لا يستهان بها، يمكن أن يشكل في المستقبل ضرورة جيوستراتيجية لتلك القوى.
- النقطة الأخرى التي يمكن الإشارة إليها، هي أن الكرد والقضية الكردية بشكل عام، باتت حديثاً يتم تناوله على طاولات كبار الساسة في العالم، وفي المحافل الدولية؛ ويتم

استقبال الوفود الرسمية الكردية في العديد من مراكز القرار العالمية، ومن قبل قادة الدول والشخصيات الدبلوماسية الرفيعة. وهذه مؤشرات حقيقية، تتم عن رغبة الدول ذات التأثير في السياسة العالمية في مساندة الكرد، لتشكيل نوع من الكيانات السياسية المعترفة به دولياً.

كل هذه المقومات المتكاملة والمتوفرة اليوم، لم يشهد التاريخ الكردي أن اجتمعت معاً بيد الكرد في مرحلة واحدة، وهي تشكل أدوات متينة لإقامة كيان كردي، إن تم استغلالها بالشكل المطلوب من قبل القوى الكردستانية، وتسخيرها في خدمة شعبهم والشعوب الأخرى التي تعيش معهم، بعيداً عن المناحرات الحزبية، والذهنيات الضيقة، والمصالح الشخصية، أو الكمبرادورية.

### تنامي العامل الموضوعي والتوازنات الدولية لصالح الكرد

تشير المعطيات السياسية الدولية في منطقة الشرق الأوسط إلى فرصة تاريخية، يمكن للشعب الكردي -إن أحسن استغلالها- أن يحقق مكاسب سياسية، لطالما كان يتطلع لتحقيقها، فالأنظمة الغاصبة لكردستان تعيش أوضاعاً يمكن القول عنها بأنها دراماتيكية صعبة في علاقاتها، سواءً في الداخل المجتمعي، أو مع الخارج الدولي.

أنتجت التطورات السياسية في منطقة الشرق الأوسط، سواءً الثورات العربية، أو تطورات الملف النووي الإيراني، أو آليات وأدوات السياسة التركية الجديدة، وما تركته تلك الأحداث من نتائج على الواقعين الجيوسياسي الإقليمي والاستراتيجي المرتبط بالقوى الدولية، التي حضرت إلى المنطقة في إثر تلك التطورات بثقلها العسكري والسياسي، أنتجت هياكل سياسية جديدة، وتحالفات لم تكن قائمة قبل الآن، أصبح الكرد بداخلها عاملاً تعوّل عليه تلك القوى في خلق آليات متوافقة ورؤاها، أو سياساتها داخل الدول التي يتواجد فيها الكرد، وحتى عاملاً يمكن من خلاله أن تُحدث الدول الكبرى بعض التوازنات مع الدول الإقليمية، وحتى التأثير على سياساتها تجاه القضايا الساخنة في المنطقة، وجعل التطورات الحاصلة امتداداً للمصالح الاستراتيجية لتلك الدول.

وبقراءة الواقع السياسي، والمقومات الحقيقية للأنظمة السياسية القائمة في المنطقة، وطبيعة تطور علاقاتها مع القوى الكبرى، في إطار السياسات الاستراتيجية والأحداث المتسارعة، يمكن

القول أن الحالة الكردية باتت قريبة أكثر من أي وقت مضى، من إنشاء خطوط التواصل مع القوى الدولية، وإظهار قدرة التكوينات الكردية على أن تشكل نمطاً سياسياً وديمقراطياً جديداً في المنطقة. في ظل تراجع دور الأنظمة القائمة، أو تصادم سياساتها ومصالحها مع سياسات ومصالح الدول الكبرى في المنطقة، والتي يمكن تجسيدها كما يلي:

-الأنظمة، سواءً في العراق أو سوريا، تعيش حالة من التهاك المستمر، واستنفاد معظم مقوماتها السلطوية والدولتية، وتقاوم من أجل البقاء، لذلك لم يعد -ووفقاً للتطورات الحالية ووجود القوى والدول الكبرى على الأرض -من الممكن أن تأتي بتصرف عسكري على المناطق الكردية قد ينهي وجود الكيانين القائمين.

-أما تركيا العثمانية، فباتت الكثير من التصادمات والمتنازعات عنواناً رئيسياً لطبيعة علاقاتها مع الولايات المتحدة ومعظم الدول الغربية، على الرغم من أنها عضو في حلف الناتو، فقد شهدت السنوات الماضية أشكالاً مختلفة من ذلك التصادم، لاسيما بينها وبين الولايات المتحدة، من صفقة صواريخ S400، والمشاريع الاقتصادية الاستراتيجية في قطاع الطاقة، ونقلها بين تركيا وروسيا، إلى العقوبات الاقتصادية، وليس انتهاءً بالتهديدات المباشرة من الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب لأردوغان. مما يعكس حالة من التشطي غير الرسمي في العلاقات الغربية التركية، لن يمكن إصلاحها في المنظور القريب، وضمن الرؤى والاستراتيجيات التي تضعها الحكومة التركية، والامتدادات السياسية لها في المنطقة، وغير المتوافقة مع المصالح والاستراتيجيات الغربية، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية.

-لن يلقي المراقب أو المتتبع للأوضاع السياسية في الشرق الأوسط عناءً كبيراً في الكشف بوضوح عن طبيعة العلاقة المزرية بين النظام الإيراني والولايات المتحدة الأمريكية، وعقدة الملف النووي، ومعارضة الأخيرة بشكل قطعي لطموحات إيران النووية، الأمر الذي يلقي بظلال سوداء حالكة على طبيعة العلاقة بين الطرفين، وإفرازاتها السلبية على المنطقة برمتها، في ظل استحداث النظام الإيراني لأدوات سياسية أو عسكرية أو اقتصادية في المنطقة، بهدف دعم مواقفها وسياساتها وطموحاتها النووية.

إذاً، لعل الظروف السياسية القائمة في المنطقة -وضمن ما ذكر أعلاه- قد يوفر فرصة حقيقية لتبوأ الكرد مكانة سياسية في المنطقة، قد تقضي للاعتراف بكيان كردي على الصعيد الأممي.

### خلافات حزبية تنتج مكابح ذاتية

بالنظر إلى الواقعين السياسي والاستراتيجي على الصعيد الكرديستاني، يمكن القول: إن سيكولوجية الفكر القيادي، وآليات التحول إلى دولة، لم تُخلق بعدُ لدى الكرد؛ فما تزال العلاقات البينية، والتعاون الاستراتيجي والسياسي وحتى الدبلوماسي بين الأطراف الكردية في حدودها الدنيا، ومحكومة بالأجندات الحزبية، وبسياسات متفردة، بعيدة عن تطلعات وآمال الشعب الكردي، تسيرها الإيديولوجية الحزبية، وتزيد في تعميق نتائج الخلافات على الأرض، بل يمكن أن نذهب أبعد من ذلك، بقولنا إنها تنتج تراكم سياسي تساهم في حالة الكبح الذاتي للتطلعات المعلنة للأطراف الكردية، ولأحلام الشعب الكردي ذاته. بسبب سيطرة الذهنية الحزبية، والأفق الاستراتيجي الضيق، وغياب مرجعية كردية مشتركة، تؤمن بها وتدعمها مختلف الأطراف الكردية.

أنتجت هذه الحالة واقعاً مجتمعياً، يختصر التطلعات الكرديستانية للشعب الكردي بتطلعات وأجندات حزبية، تربط العديد من الفئات الفاعلة داخل المجتمع الكردي، سواءً على الصعيد السياسي، أو الأصعدة الثقافية والاقتصادية بالحالة الحزبية، وتخلق نوع من الأدوات التي تجذب هذه الفئات إلى بوتقة العمل، من أجل تمتين سلطة الأحزاب السياسية، وتحقيق أهدافها، بدلاً من الأهداف الوطنية أو القومية، التي كانت تشكل الدافع الأساسي لانخراط الشباب الكردي الفاعل والمتقف وأصحاب الشهادات والكفاءات في صفوف تلك الأحزاب، بشكل تكوّنت معه آليات قادرة على تسخير تلك القوى، سواءً البشرية أو المقومات الاقتصادية، أو حتى العلاقات الدبلوماسية للأحزاب، التي نشأت على أعقاب التوازنات الجيوسياسية والدولية الجديدة في المنطقة، لخدمة النجاحات الحزبية والمصالح الداخلية دون القومية.

وبناءً على ذلك، لا تكفُّ الأطراف الكردية ولا تملُّ عن كيل الاتهامات لبعضهم، والعمل الدؤوب -إعلامياً وسياسياً- لإثبات خطأ الطرف الآخر، بل وأحياناً المناداة بضرورة إنهائه وإلغائه. الأمر

الذي قد يخلق حالة من الاستفراء بالقرار الكردستاني، وهي حالة لن يحبها غالبية المجتمع الكردي، ضمن أية شروط تاريخية، أو ظروف سياسية.

وتعكس الأحداث التي تجري بين الحين والآخر بين الأطراف الرئيسية للسياسة الكردية، المرأة الحقيقية للواقع السياسي الكردي، ولللاقات بينهما، وسيطرة الذهنية الحزبية، والتركيز على الآليات والأدوات التي من خلالها يمكن لكل منها التهجم على الآخر، ومحاولة إضعافه وإظهار فشله أمام الرأي العام الكردستاني عموماً.

### الكرد أمام امتحان تاريخي

لم تتكّل حتى الآن، السنوات الطويلة التي قضاها الكرد في النضال من أجل إحقاق حقوقهم القومية، بأية انتصارات سياسية، كانت من الممكن أن تقودهم نحو أهدافهم الرئيسية، في تكوين دولة كردية، على غرار الدول العربية والدولة التركية والإيرانية في المنطقة، على اعتبارهم يشكلون واحداً من أهم وأكثر أربع قوميات في المنطقة. ويمكن إرجاع مثل هذا الأمر إلى العديد من الأسباب التاريخية، أو التوازنات الدولية، أو سياسات القوى العظمى في المنطقة، أو حتى إلى التكوينات الذاتية، والتراكيب البنيوية للبيئتين الاجتماعية والسياسية للمجتمع الكردي.

وإن أغفلنا مدى بعد النظرة الاستراتيجية للساسنة الكرد، وتعاملهم مع الوقائع والأحداث التي جرت في المنطقة خلال المراحل التاريخية السابقة، والتي شكّلت واحدة من أهم العوامل التي ساهمت في غياب الكرد عن الساحة السياسية في منطقة الشرق الأوسط، إلا على شكل أحزاب أو مجموعات سياسية، لم تستطع أن تجاري التكوينات والكيانات السياسية للأقوام الأخرى القائمة في المنطقة، بل غالباً ما كانت تعمل في إطار من التبعية السياسية أو الاستراتيجية لها. إلا أن المرحلة الحالية تشهد قدرتهم على تشكيل الأسس اللازمة سياسياً وعسكرياً ودبلوماسياً لبناء قوة كردية في المنطقة، واستخدام الأدوات الممكنة لبناء تحالفات، تتوافق والحالة الجيوسياسية القائمة في المنطقة اليوم.

يختلف الواقع السياسي الكردي اليوم عما سلف ذكره، فقد بات الكرد مدركين لحقيقة وطبيعة السياسات والمصالح المتجسدة في المنطقة، واستطاعوا ضمن الظروف الحالية أن ينتزعوا لأنفسهم صورة، يمكن القول عنها بأنها شبه مستقلة عن الأنظمة القائمة في المنطقة، واضعين

نصب أعينهم مصالحهم وأهدافهم في تأسيس كيان كردي، قد يقلب موازين القوى والتحالفات، وأدوات النظام العالمي في المنطقة. ولكن ما يعترى هذا الواقع الجديد هو التركيز على الأنا الحزبية، ومحاولة إظهار هذه النجاحات الاستراتيجية على الصعيد الوطني الكردي، على أنها نجاحات حزبية.

وهنا يمكن القول: إن البعد الاستراتيجي هو المطلوب اليوم داخل أروقة ومجالس الساسة الكرد، وطريقة تفكيرهم وقراءتهم للمستقبل، إن أردوا خيراً لشعبهم وأبنائه، فالتفكير بالمكاسب الحزبية والاختلافات الإيديولوجية لن يكون إلا وسيلة لمكتسبات مرحلية، لن يجد أصحابها في المستقبل القريب من يدعم رؤاهم أو هيكلياتهم القائمة الآن، بمجرد اختلاط العلاقات الدولية، أو تغييرها، أو تغير المصالح الدولية القائمة في المنطقة الآن.

#### وحدة المشروعين الكرديين في بنية واحدة

تتطلب المرحلة الحالية -على الصعيد الكردستاني- الإسراع بتنفيذ الاستراتيجيات الكردية، التي يجب أن تتوافق مع مصالح القوى الكبرى، أو أن تكون امتداداً لها، حتى لا تقف عائقاً أمام تنفيذها. فبعد كل المقومات الذاتية التي بات يملكها الكرد، وأمام العديد من الشروط الموضوعية التي يمكن أن تؤلف لحقبة تاريخية جديدة في منطقة الشرق الأوسط، قد يحضر فيها الكرد - سياسياً- بقوة غير مسبوقة، فإن المطلوب من الكرد وطلّاعهم السياسية أن يكونوا على قدر المسؤولية التاريخية، وأن يتركوا خلفاتهم الحزبية، ويرتقوا لمستوى الحس القومي وواقعيته التاريخية، حتى لا يفوتوا فرصة قد لا تتكرر في المستقبل القريب.

وبناء عليه، فإن واحداً من أهم السيناريوهات المقترحة، ينطلق من الضرورات التاريخية لتقرير الشعب الكردي لمصيره، بناءً على وفاق واضح المعالم، تتحد فيه البنية التركيبية للمجتمع الديمقراطي كحقيقة، مع حقيقة الدولة القومية للتحالف البرجوازي الكردي، والذي يمكن أن ينم عنها، ولأول مرة في تاريخ الشرق الأوسط الحديث، قيام دولة قومية تسودها مقومات المجتمع الديمقراطي، وهاتان الحقيقتان ستؤديان دورهما معاً داخل الاتحاد المذكور، والقائم على نظام ثنائي متوافق بين حقيقة المجتمع الديمقراطي ورؤاه المجتمعية، وبين الدولة القومية الكردية، التي سيشكل إقليم كردستان العراق نواتها الحقيقية التي تتخذ من الحداثة الرأسمالية أساساً لها

إذاً، يمكن بناء هذا النموذج الدولي، بالاتفاق بين منظومة المجتمع الديمقراطي وبين حكومة إقليم كردستان، بحيث تشكل أربيل مركزاً له، في حين يمكن أن تشكل الإدارة الذاتية في سوريا حالة كيان سياسي وإداري مرتبط بالمركز ذاته، على أن يتم الاتفاق رسمياً على شكل هذا الارتباط سياسياً وإدارياً، بغية عدم الوقوع في فخ تكرار الأخطاء التاريخية الماضية، وعدم الانجرار إلى السياسات الدولية القومية ذات الحدود الصارمة.

### تكوين مشروع كردي موحد وبأهداف واضحة

الكردي على أعتاب مرحلة مفصلية في تاريخهم، تتوجب أن يكونوا فيها واضحين في مطالبهم ومساعدتهم، وأن يرضوا لها صفوفهم، فالظروف الدولية والإقليمية مواتية اليوم أكثر من أي فترة مضت، والعامل الذاتي في ظل توفر معظم المقومات السياسية والاقتصادية لا ينقصه سوى العقول المدبرة ذات التفكير الاستراتيجي، والقادرة على إحداث التكامل، لتوصيل الأضلاع الرئيسية للقضية الكردية، وتحويلها إلى واقع يحظى بقبول المجتمع الدولي، وإجماع قواه الكبرى.

وهنا، يمكن القول بضرورة تكوين خلايا، أو وحدات استراتيجية على الصعيد الكردي، لوضع الخطط والأهداف المرحلية اللازمة لتحقيق تطلعات الشعب الكردي وبشكل واضح. على أن تعمل تلك الخلايا على البحث في السياسات والآليات التي يمكن من خلالها الوصول إلى تلك الأهداف.

تتمثل المهمة الأساسية لهذه الخلايا أو الوحدات البنوية وفق المنظور المقترح في التأسيس لبنية مشروع كردي موحد ضمن السيناريو المطروح أعلاه، لا يعترف بالحدود المصطنعة، ولا يميز بين أبناء الشعب الكردي في الدول المختلفة التي يعيش فيها، ويرتقي بالمصلحة العليا للشعب فوق جميع الاعتبارات السياسية الأخرى، بعيداً عن الخلافات الحزبية القائمة بين كبرى الأحزاب الكردية، مع التأكيد على أن تتشكل تلك الخلايا أو الوحدات على مختلف الصعد، خلية قانونية، وخلية اقتصادية، وخلية سياسية، وخلية اجتماعية، وخلية دبلوماسية، تعمل كل منها على وضع المقومات والأسس القومية والحقيقية القائمة، التي تؤسس لتلك البنية القوية، لنزع الاعتراف بحقوق الشعب الكردي، الجغرافية، والتاريخية، والسياسية، على أن تنسق تلك الوحدات أو الخلايا فيما بينها تنسيقاً عالي المستوى، للوصول إلى مخرجات سياسية واقعية تكوّن لمشروع سياسي

كردي، يستطيع الكرد من خلاله طرق أكبر أبواب المحافل الدولية، ووضعها على طاولات  
ساستهم، لانتزاع الاعتراف بالشعب الكردي، وبحقوقه القومية، وصولاً إلى كيان معترف به رسمياً  
ودولياً.

## تفاهات إسرائيلية روسية حول تنفيذ ضربات جوية في سوريا

مركز الفرات للدراسات

تقوم إحدى الركائز الأمنية لإسرائيل في منطقة الشرق الأوسط على أساس تمتين علاقاتها مع روسيا، وتجزئة الخلافات، والتعاون في القضايا ذات الاهتمام المشترك.

وعلى مدى عقدين سابقين، حافظت إسرائيل وروسيا على علاقاتها التعاونية والودية، عن طريق تجنب تجاوز الخطوط الحمر، والفصل بين المواضيع الخلافية والمصالح المشتركة بين الطرفين. مع ملاحظة أن إسرائيل كانت دائماً حريصة على ألا تؤثر هذه العلاقة على تحالفها الاستراتيجي مع الولايات المتحدة الأمريكية، أو حتى إثارة حفيظتها تجاه العلاقة مع موسكو.

لذلك، فقد اتبعت تل أبيب سياسة متوازنة في علاقاتها مع موسكو، وطالما كانت لغة المصالح المشتركة هي التي تغطي عليها، مع تجنب الخلافات ما أمكن، الأمر الذي ساعد في استقرار العلاقات بين الطرفين، واستمرارها رغم الاختلاف في وجهات النظر تجاه بعض القضايا الاستراتيجية والمرحلية. وقد نشر مؤخراً موقع روسيا اليوم، الذي تموله الحكومة الروسية مقالاً بعنوان: "لا شيء يعكّر صفو العلاقات الروسية الإسرائيلية"، ليعبر عن المودة بين وزير الخارجية الروسي والإسرائيلي، وأنه لا يوجد ما يعكّر صفو العلاقات بين الطرفين، لا الملف النووي الإيراني، ولا الملف السوري، ولا الفلسطيني؛ وأن موسكو لن تغير نهجها تجاه إسرائيل، التي حاولت استثمار هذه العلاقة لكسب روسيا إلى جانبها في بعض القضايا ذات الاهتمام المشترك.

حرصت إسرائيل على إرسال إشارات، في إطار تصعيد حربها النفسية ضد إيران، وجاءت زيارات وفودها الرسمية لروسيا ضمن هذا التوجه. كما تم صرف مبلغ يقارب مليار ونصف المليار دولار على ميزانية الجيش لعام 2022، بهدف تعزيز قدراته في مهاجمة المنشآت النووية الإيرانية، بالإضافة إلى تسريبات للبدء بتدريبات لمهاجمتها، والتعويل على موسكو في كبح التهديدات الإيرانية وخاصة في سوريا. وقد أكد مستشار الأمن القومي الإسرائيلي السابق "مئير بن شبات" أن روسيا تشارك إسرائيل وجهة نظرها في أن إيران قوة مزعزة للاستقرار في الشرق الأوسط،

وموقف موسكو من إيران أقرب إلى موقف إسرائيل، وتلاه بيان رئيس الوزراء الإسرائيلي "نفتالي بينيت" خلال اجتماع حكومي في أكتوبر 2021، الذي قال فيه بأنه وجد لدى الرئيس الروسي فلاديمير بوتين آذاناً صاغية لاحتياجات إسرائيل الأمنية، وناقشوا البرنامج النووي الإيراني المتقدم، الذي يثير قلق الجميع".

ومن القضايا الأخرى، وفي إطار تصعيدها العسكري في سوريا، تسعى إسرائيل أن تستثمر علاقتها مع روسيا لتحقيق عدة أهداف:

### **منع تحويل سوريا إلى جبهة ضد إسرائيل**

نتيجة التطورات الأمنية والعسكرية في سوريا، انتقلت إسرائيل من موقف الحياد إلى تنفيذ هجمات عسكرية مباشرة داخل الأراضي السورية، حيث جاءت أول ضربة عسكرية لطائرات إسرائيلية في يناير 2013 في العمق السوري (مركز البحوث العلمية في جمرايا بريف دمشق)، استهدفت فيها قافلة تنقل أسلحة إيرانية إلى حزب الله، وهذا ما أكدته إسرائيل آنذاك.

ومع تزايد الوجود العسكري الروسي لدعم النظام السوري، بدأت إسرائيل إدارة تقاهماتها معها، لتواصل غاراتها في الداخل السوري، حيث اتفق رئيس حكومة إسرائيل السابق "بنيامين نتنياهو" مع الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" عام 2015 على خطة لتقادي أي سوء تقاهم في سوريا، في حين استهلت الحكومة الجديدة في إسرائيل عملها ضمن هذا السياق باجتماعات على مستوى عالي بين رئيس الوزراء الإسرائيلي نفتالي بينيت، والرئيس الروسي فلاديمير بوتين في سوتشي، أكتوبر 2021، كأول زيارة لرئيس الحكومة الجديد، بهدف استمرار التقاهمات السابقة، والإبقاء على علاقات متوازنة بين البلدين، وحلّ بعض المسائل الخلافية في سوريا، فيما يخص التنسيق كما في السابق، والتي صرح فيها رئيس الوزراء الإسرائيلي لاحقاً، أنه توصل مع الرئيس الروسي إلى تقاهمات جديدة ومستقرة بشأن سوريا" وإدارة تلك التقاهمات عبر:

### **استراتيجية "الحملة بين الحروب" لضرب التموضع الإيراني في سوريا**

ينطوي أحد التحديات الأمنية الحالية لإسرائيل، على محاولات الهيمنة الإيرانية في الشرق الأوسط، سيّما مساعيها في بناء محاور نفوذ في سوريا والعراق واليمن ولبنان، وتحسين ترسانتها الصاروخية، وتصديرها إلى الفصائل الموالية لها في تلك المناطق. ولمواجهة هذه التحديات

وإبطالها حافظت إسرائيل على روتين ما يسمى "الحملة بين الحروب"، وهي استراتيجية - بحسب تحليل لـ "معهد واشنطن" نقلاً عن عسكريين إسرائيليين متقاعدين - تقوم على اتخاذ إجراءات هجومية استباقية بالاعتماد على معلومات استخباراتية سرية، الهدف منها:

- تأخير نشوب الحرب وردع الأعداء، عبر آلية إضعاف قدراتهم وأصولهم العسكرية.
- ترسيخ شرعية إسرائيل باستخدام القوة ضد الأنشطة العسكرية السرية التي تنتهك القانون الدولي، ومن ثمّ فضحها.
- تهيئة ظروف مثالية للجيش الإسرائيلي، في حال نشبت أي حرب.

وفي سوريا أدركت إسرائيل بأن الحرب الأهلية فيها تتيح فرصة، للعمل بحرية غير مسبوقه ضدّ التمركز الإيراني وميلشياته العسكرية في البلاد؛ فكانت من أبرز الملفات التي تهاجمت عليها إسرائيل مع روسيا وحافظت عليها، استراتيجية ما تسميه "الحملة بين الحروب" ضدّ أنشطة إيران التخريبية. كأحد العوامل التي ساهمت في:

- إطالة فترة الهدوء النسبي على حدودها الشمالية.
- إحباط أعمال الميليشيات التابعة لـ "فيلق القدس"، و"الحرس الثوري الإيراني" إلى حد ما في تحويل الحدود السورية إلى قاعدة لنشر أسلحة متطورة، وتحويل مرتفعات الجولان إلى جبهة لشن عمليات ضدّ إسرائيل.
- عززت بشكل كبير قوة الردع الإسرائيلية ضدّ خصومه في المنطقة. وهي حملة يتم تيسيرها من خلال التقاهم مع روسيا، وبالتنسيق مع الولايات المتحدة، لضمان أمن إسرائيل، وعدم تحويل سوريا إلى مركز لإطلاق الهجمات ضدّها. وهو ما برز واضحاً في حديث وزير الخارجية الروسية بعدم استخدام الأراضي السورية لشن أية هجمات ضدّ إسرائيل، في رسالة واضحة لإيران.

### تفعيل آلية تنسيق فضّ الاشتباك لمنع التصادم

في عام 2015، ومع تدخّل روسيا في الأزمة السورية، بدأت إسرائيل باستعراض قوتها، لإظهار خطوطها الحمراء أمام روسيا، فعند قيام الأخيرة بمحاولة استطلاع للدفاعات الإسرائيلية على هضبة الجولان في يناير 2016، قابلتها إسرائيل والأردن بطائرات F16، الأمر الذي جاء بمثابة

إنذار مباشر لموسكو، وهذا ما أكدّه ملك الأردن "عبدالله الثاني" - بحسب ميدل ايست - للكونغرس الأمريكي: "رأينا الروس يطيرون بالقرب من حدودنا، لكن طائرات F16 إسرائيلية وأردنية واجهتهم"، وأضاف أن "الروس شعروا بالصدمة، وفهموا أنهم لن يتمكنوا من العبث معنا ونشر الفوضى".

وبهذه الحركة تمكنت إسرائيل - وبالتعاون مع الأردن - في ضمان عدم حدوث أية تجاوزات روسية في المستقبل، وتوجيه رسالة تحذير مباشرة بشأن عبور الحدود المشتركة. وعلى إثرها قامت إسرائيل بإنشاء آلية "عدم التصادم" لمنع التشابك بين الجانبين، والتي استمرت مع الحكومة الإسرائيلية الجديدة كضرورة، أكد عليها رئيس حكومتها "بينيت"، في أكتوبر 2021، مشيراً إلى أهمية إدارة الوضع الدقيق والمعقد مع روسيا بسلاسة، لضمان عدم وقوع أي تصادم معها في سوريا". إضافة إلى تصريح وزير الإسكان الإسرائيلي "زئيف إلكين" الذي قال فيه: أن القمة الإسرائيلية الروسية ركزت على آلية فض الاشتباك، لمنع وقوع حوادث بين العمليات الإسرائيلية والقوات الروسية في سوريا. لتصبح هذه الآلية خطوة رئيسية لإدارة التفاهم بين إسرائيل وروسيا في منع أي تصادم جزاء عملياتها في سوريا، وتجسير الفجوة بين البلدين عبر آلية منع التصادم، والسماح لإسرائيل بتنفيذ ضربات عسكرية جوية داخل سوريا ضد الأهداف الإيرانية، وتوسيع دائرة ضرباتها، لتشمل جميع الأراضي السورية، وليس فقط المناطق الحدودية مع إسرائيل، وفقاً لآلية معينة تغض فيها موسكو الطرف عن تلك الضربات مقابل:

- عدم استهداف إسرائيل لقوات النظام السوري.
- توجيه الضربات ضد أهداف إيرانية فقط.
- إخطار كل طرف للآخر عن المواقع المستهدفة، قبل تنفيذها.
- قنوات اتصال، لإبلاغ الجيش الروسي عن اتجاه تنفيذ الضربات الإسرائيلية، لتأمين القوات الروسية، وهي اتفاقية تعهدت فيها إسرائيل بضمان سلامة المواطنين الروس والمنشآت العسكرية في سوريا.

## تصعيد مستمر رغم الإدانة

إن الموقف الروسي تجاه التحركات الإسرائيلية في سوريا باهت ولا يتعدى صفة المراقبة، بحكم أن العلاقات الثنائية بين الطرفين جيدة، وموقفها من العمليات الإسرائيلية لم يتغير، فهي لم تعبر عن تغيير نهجها تجاه إسرائيل في أي مكان أو مناسبة.

من ناحية أخرى، أظهرت موسكو عدم رضاها عن العمليات العسكرية الإسرائيلية في بعض المواقع، فعندما تعرّضت طائرة استطلاع روسية، عائدة من قاعدة حميميم، وعلى متنها 15 جندياً، عن طريق الخطأ لصاروخ أرض - جو سوري، ألقت موسكو اللوم على إسرائيل في الحادث، لكن رغم ذلك لم يتجاوز الأمر الإدانة اللفظية، من خلال بعض التحذيرات، ولم تعمل على إيقافها أمام التصميم الإسرائيلي على شن الضربات.

فعلى الرغم من الإدانة الروسية، لم تأخذ إسرائيل ذلك على محمل الجد، واستمرت في تصعيدها العسكري، فالغارات التي شنتها مؤخراً وبكثافة ملحوظة قُدرت وفق منصة بيانات بحوالي 28 ضربة عسكرية، طالت 57 موقعاً، واستهدفت فيها حوالي 187 هدفاً، توزّع على 11 محافظة تقريباً، جاءت دمشق وريفها في المقدمة، ثم درعا والسويداء، تلاها حمص ودير الزور وحلب وحماه وطرطوس، وآخرها في اللاذقية في 7 و28 ديسمبر 2021 بضرب منشآت في ميناءها.

ما سبق يوحي بأن إسرائيل تسعى لتأكيد جدتها في مواجهة النفوذ الإيراني في سوريا خلال المرحلة القادمة، وتجاوزاتها لم تؤثر على علاقاتها مع روسيا. فبالرغم من قدرة الأخيرة على منع إسرائيل من ضرب أهداف إيرانية في سوريا، إلا أنها تغض الطرف باستمرار عن النشاط الإسرائيلي في هذا السياق، وتكتفي بموقف المراقب والمنقح والمدين.

**في الختام..** يمكن القول أن سوريا هي الحلقة الأضعف في العلاقات بين روسيا وإسرائيل، فبالرغم من التحديات التي واجهتهما خلال الأزمة الحالية، إلا أن أحدهما يُعتبر أهم شريك للآخر، وقد برز ذلك في توقيع اتفاقيات تعزّز التعاون في مجالات مختلفة، كالاقتصاد والطاقة.

كما أن الكرملين أظهر أنه ليس على استعداد للإضرار بعلاقاتها مع إسرائيل من أجل تحالفها مع سوريا أو لشراكة استراتيجية محتملة مع إيران، فالأخيرة ليست في وضع يسمح لها بالضغط على موسكو لتمكين وكلاءها لاستخدام الأراضي السورية كقاعدة لشن هجمات على إسرائيل.

لذا رغم تشابك أو تضارب بعض التوجهات بين روسيا وإسرائيل في سوريا، إلا أن العلاقة تحكمها المصالح العميقة المشتركة بينهما، والتي نجحت إلى حد بعيد في منع التصادم بينها وبين إيران، والسماح لها بحرية في تنفيذ ضرباتها داخل الأراضي السورية.

وبحكم هذه العلاقات، تميل روسيا لصالح إسرائيل، فمصلحة الأول أيضاً تأتي انطلاقاً من رغبتها في إخراج إيران، والحد من هيمنتها في سوريا، والتي تراها تهديداً لمصالحها، لذلك لا بد لها من تأمين الجبهات في سوريا وخاصة تجاه إسرائيل، عبر التنسيق معها لمواجهة أعدائها، وعدم الاعتراض على عملياتها في مواجهة التهديد الإيراني من سوريا، وبالمقابل إسرائيل لا تضرّ بمصالح روسيا فيها.

## الأبعاد الاستراتيجية لهجوم سجن الصناعة ومآلاته

مركز الفرات للدراسات

قد يرى العديد من المراقبين - للوهلة الأولى - أن ما جرى في مدينة الحسكة هي عملية عسكرية نوعية، قام بها تنظيم داعش، لتحرير الآلاف من عناصره المحتجزين في السجن هناك. إلا أن الأمر برمته يتجاوز ذلك بكثير. فوجود السجن الذي يضم الآلاف من أعتى مجرمي الأرض، في منطقة غير مستقرة، تتناحر عليها معظم الأطراف الدولية والإقليمية المنخرطة في الأزمة السورية، يجعل منه أداة مكنة -ولو كانت صعبة المنال- لتحقيق أهداف معينة، ولكن الحصول عليها سيمكّن الصائد من تحقيق العديد من الأجندات الجيوسياسية في المنطقة. وهذا ما لا يدع مجالاً للشك بتورط بعض تلك الأطراف في عملية الهجوم العسكري على السجن، وإضفاء الصبغة الداعشية على أدواته، والتي لا يستطيع التنظيم في الوقت الراهن تنفيذها وحده، ضمن الظروف الأمنية والسياسية المتدهورة التي يعيشها.

### تركيا والفصائل الموالية لها في قلب العملية

إن الحالة الراهنة في مناطق شمال وشرق سوريا، وفي ظل تكالب مختلف الأطراف عليها، لا يدع مجالاً للشك بأن أي حدث سياسي أو أمني يحدث في المنطقة، لن يكون بعيداً عن تصادم المصالح الجيوسياسية للأطراف المتصارعة، سواءً أكانت داخل المنطقة أو من خارجها. فكيف يحدث يعدّ تنظيم داعش جوهره أو أدواته الرئيسية. والذي أثبت أنه كان في أحيان كثيرة قاتلاً مأجوراً، يمكن لمختلف الأطراف والقوى المتصارعة استخدامه، حتى عندما كان في أوج قوته.

لذلك، لا يمكننا فصل ما حدث عن أجندات القوى الإقليمية أو الدولية الموجودة في المنطقة، سواءً كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر. فتركيا التي باتت القاصي والداني يعلم تماماً مدى الدعم والرعاية التي تقدمها للجماعات المسلحة والإرهابية في المنطقة، ليست بمعزل عن هجوم سجن الصناعة في الحسكة، وإلا فلماذا يتزامن هذا الهجوم مع تصعيد الجيش التركي والفصائل العسكرية الموالية له من وتيرة القصف على المناطق والقرى الواقعة شرقي بلدة عين عيسى، أليس الهدف واضح؟ وهو أنها تريد تشتيت قوة مقاتلي سوريا الديمقراطية، لتخفيف عبء المعركة

على أسوار السجن، وتخفيف الضغط العسكري على مقاتلي التنظيم، الذين باتوا محصورين داخل تلك الأسوار، أو في الأحياء القريبة منها.

لم تخف تركيا يوماً سعيها المستمر إلى إفشال مشروع الإدارة الذاتية، القائم في مناطق شمال وشرق سوريا، ومن أجل ذلك قامت عدة مرات بمهاجمة المنطقة عسكرياً، باستخدام الفصائل العسكرية المتشددة الموالية لها، ونتيجةً للظروف السياسية التي تعيشها المنطقة، والتمدد الروسي فيها، والوجود الأمريكي أيضاً، لم تحصل على الضوء الأخضر لمهاجمتها مرة أخرى. لذلك، فمن الطبيعي أن تبحث عن البدائل الممكنة لخلق حالة من عدم الاستقرار الأمني والعسكري، حتى تُظهر للعالم أن قوات سوريا الديمقراطية غير قادرة على تحقيق الأمن والأمان لسكان المنطقة، مما يستدعي ضرورة تدخلها.

من هنا، يستطيع المراقب للأوضاع أن يستنتج بسهولة مساندة تركيا للهجوم الذي قامت به عناصر من داعش، والذين دخلوا سوريا أصلاً عن طريق أراضيها، وهي من مهدت لهم الطرق، ويسرت لهم السبل من أجل ذلك.

### **تدخلات جيوسياسية والفصائل الشيعية العراقية ليست ببعيدة عما جرى**

تزامن الهجوم الذي قامت به عناصر التنظيم على سجن الحسكة، مع عدة عمليات أخرى للتنظيم نفسه في مناطق أخرى بعيدة جغرافياً، ولكنها متداخلة جيوسياسياً إلى درجة كبيرة. فقد تمكن التنظيم من قتل أحد عشر جندياً من الجيش العراقي، في هجومٍ شنه فجر ذات اليوم عناصر من التنظيم عليهم في محافظة ديالى شرق العراق. الأمر الذي يفتح باباً للتكهن حول ماهية هذا الهجوم من زاويتين:

الأولى: تزامنه مع هجوم الحسكة.

الثانية: تراجع شعبية الميليشيات الشيعية العسكرية وقياداتها في العراق لصالح القيادات السياسية المدنية.

وبالتالي، يضعنا هذا أمام فرضية شبه مؤكدة، بأن هذه التشكيلات وعلى رأسها الحشد الشعبي والإطار التنسيقي الذي يضم قوى وفصائل شيعية على رأسها "ائتلاف دولة القانون" و"تحالف

الفتح" المقرب من إيران، تريد استخدام البعيع الداعشي مرة أخرى، لإظهار عجز الجهات المناوئة عن السيطرة الأمنية على البلاد، بعد التواطئ - الذي ثبت عام 2014 - من قبل رئيس الوزراء العراقي الأسبق نوري المالكي، صاحب الثقل الأكبر في الإطار التسقيمي المذكور.

وليس ببعيد أن تلك الفصائل ومن ورائها إيران تريد إعادة عناصر التنظيم مرة أخرى إلى العراق، عبر تحرير الآلاف منهم من السجون القابعين فيها في الحسكة، حيث تشكل الأراضي العراقية وصحراء الأنبار ملاذاً آمناً لهم، وذلك لتحقيق أجنداتهم السياسية، سيما أن التنظيم كان شديد الوفاء لها بعد عملية التواطئ تلك، ولم تهاجم طيلة فترة تواجدها في العراق سوى المدن والبلدات والقرى السنية، والقتال ضد الجيش العراقي، بهدف إضعافه وإبقائه رهينة للمساعدات العسكرية واللوجستية الإيرانية؛ بل وزد على ذلك، لبسط الفصائل الشيعية سيطرتها، وتقوية نفوذها بشكل أقوى من الجيش العراقي نفسه، الأمر الذي يترك القرار السياسي في البلد بيدها، ويدفع باتجاه استخدام الورقة العراقية في ملفات عديدة، أهمها الملف النووي الإيراني، وعدم السماح للدول الخليجية بالاستفادة من العمق الجيوسياسي العراقي لصالحها في مواجهة المصالح الإيرانية.

#### النظام السوري، استخدام الحدث لتشويه صورة قسد

لا تزال مسألة سيطرة قوات سوريا الديمقراطية على مناطق شمال وشرق سوريا الغنية اقتصادياً، وشراكتها العسكرية مع الولايات المتحدة ودول التحالف الدولي، المتواجدة في المنطقة، تشكل هاجساً رئيسياً بالنسبة لروسيا والنظام السوري، الذين لا يوفران أية فرصة لتقزيم ما تقوم به هذه القوات، وإظهار عجزها عن حماية المنطقة وسكانها، لتفرض عليها تقديم التنازلات الممكنة، في إطار سعي الطرفين (الروس، والنظام السوري) إلى استعادة هذه المناطق إلى سيطرة النظام.

ووفقاً لذلك، وبالرغم من ادعاء النظام المستمر طيلة سنوات الحرب بمحاربته الإرهاب والجماعات المتشددة، إلا أنه وقف متفرجاً في الأحداث الأخيرة، لا بل حاول تصوير ما يجري بأنه محاولة من قسد لتهجير السكان العرب، والقيام بتغييرات ديمغرافية في الأحياء التي نشب فيها القتال، عقب الهجوم الداعشي على سجن غويران، حيث صدر بيان الخارجية السورية، ليصف تصدي قوات سوريا الديمقراطية لهذا الهجوم بأنه يرقى لمستوى جرائم الحرب، بهدف تشويه صورته أمام الرأي العام المحلي بالدرجة الأولى، ومحاولة منه لشحن العشائر العربية ضد قسد، كل ذلك لا

يمكن النظر إليه إلا في سياق رغبته القوية في استعادة مناطق شمال وشرق سوريا، التي يمكن أن تشكل بداية إخراجها من الأزمة الاقتصادية الخانقة التي يعيشها، لأسباب مختلفة لا مجال لذكرها الآن.

### مآخذ عديدة على قسد والولايات المتحدة

النقطة التي لا يمكن إغفالها في هذا السياق، أن الهجوم الذي قام به داعش على سجن الصناعة، تم التخطيط له بدقة عالية، ومنذ فترة تتجاوز العدة أشهر، ونزید هنا بأن هجوماً بهذا المستوى، احتاج إلى تنسيق عالي المستوى بين عدة أطراف، أهمها العناصر القيادية في داعش، الموجودين خارج قبضة السلطات الأمنية، سواءً أكانت قسد أو الجيش العراقي، ولا شك بأنهم متواجدون في مناطق سيطرة الفصائل المسلحة الموالية لتركيا، كون الكثير من الأدلة والفيديوهات والصور أثبتت أن العديد من كبار الشخصيات الداعشية، والذين استطاعوا الهرب قبل معركة الباغوز عام 2019، انضموا إلى تلك الفصائل، وخاصة الموجودة في سري كانييه (رأس العين) وكريه سبيه (تل أبيض). ومن هناك، تم التخطيط لعملية الهجوم على السجن، بالتعاون مع المخابرات التركية، وبدعم من الجيش التركي، في محاولة يائسة لإنعاش التنظيم، وبث الروح فيه من جديد، وضرب قسد من الداخل، كونهم لم يحصلوا على الضوء الأخضر، للهجوم على المناطق التي يسيطر عليها قسد من على الحدود.

ما يؤخذ إذاً على قسد بالدرجة الأولى وعلى الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً، هي عدد من النقاط يمكن إجمالها بما يلي:

- حالة التراخي في التعامل مع ملف يحمل درجة عالية من الخطورة، كملف سجناء داعش، وهم من أعتى المجرمين على الأرض في الوقت الحالي.
- عدم تمكّن الاستخبارات التابعة لقسد من كشف مخطط كبير بهذا الحجم، تم التخطيط له ورسمه منذ فترة ليست بقصيرة، وعلى مستويات عالية.
- الاستمرار في تغافل المجتمع الدولي عن ملف سجناء داعش، وعدم التعامل معه بجدية، والإبقاء على تكليف قسد بحراستهم فقط، الأمر الذي يضع العديد من إشارات الاستفهام حول لماذا لم تتحرك دول التحالف، وبعد مرور سنتين على إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب

الانتصار على داعش، لإيجاد حل لهذا الملف وترك هذا السجن كقنبلة موقوتة في مناطق سيطرة قسد؟

- لا يمكن التأكيد على أن الاستخبارات الأمريكية لم تكشف مخططاً بهذا الحجم قبل تنفيذه، إلا أن ما يمكن قوله أنها أرخت الحبال للأطراف المشاركة حتى ساعة الصفر، لتتدخل في اللحظة التي تناسبها، وتتوافق مع مصالحها، وسياساتها المستقبلية في المنطقة خصوصاً وفي سوريا عموماً.
- إن الولايات المتحدة ومعها قسد لم تمارسا من الضغوطات ما تجبر الدول التي يحمل الكثير من العناصر المسجونة جنسياتها وتلزمهم باستعادة هؤلاء إلى دولهم، والتصرف معهم وفق القوانين والأنظمة، أو ما تفرضه الضرورات المجتمعية في تلك الدول.
- ترك هذا العدد الكبير من عناصر داعش الخطرين في سجن واحد، يقع ضمن مناطق سكنية مأهولة، جعل عملية الهجوم غاية في الصعوبة، بعد هروب الكثير من السجناء، ودخولهم إلى الأحياء المجاورة للسجن، وإلى منازل المدنيين، مما شكّل حالة صَعْبِ التعامل معها من قبل قوات سوريا الديمقراطية، وتسببت في نزوح آلاف الأسر، وزيادة في عدد الضحايا من العسكريين والمدنيين.

### مآلات الهجوم الداعشي على سجن الصناعة

الآن، وبعد مضي نحو أسبوع من الهجوم، وما تزال المواجهات والاشتباكات وعمليات التمشيط مستمرة، وبالرغم من السيطرة شبه التامة لقوات سوريا الديمقراطية، وبدعم من قوات التحالف الدولي على الوضع هناك، إلا أنه يمكن الحديث حول مآلات عملية هجوم داعش على سجن الصناعة، ومن جوانب عديدة:

- وضع ملف سجناء داعش وعائلاتهم المتواجدين في مخيم الهول، وباقي المخيمات المتوزعة في مناطق شمال وشرق سوريا، على طاولة المجتمع الدولي وبقوة، خاصة الدول المعنية، والتي يحمل عناصر داعش جنسياتها.
- مطالبة تلك الدول - بإصرار - باستعادة مواطنيها من عناصر داعش، ومحاكمتهم على أراضيها، ووفقاً لقوانينها، خاصة وأن من بين المعتقلين ما يسمّون بـ "أشبال الخلافة"، وهم

أطفال وقُصّر دون سن الثامنة عشر، لا مناص من تسليمهم لدولهم، وبحسب الجنسيات التي ينتمون إليها.

- بات يظهر جلياً أمام المجتمع الدولي، أن قوات سوريا الديمقراطية أثبتت للمرة الألف أنها القوة الوحيدة في المنطقة التي يهملها محاربة الإرهاب وكسر شوكة الإرهابيين، وإفشال مخططاتهم في المنطقة، بهدف حماية سكان المناطق الواقعة تحت سيطرتهم ونشر الأمن والأمان فيها.

- هجوم عناصر داعش على السجن، ومشاركة قيادات كانت متواجدة في المناطق التي تحتلها تركيا، يضع مصداقية حكومة أردوغان على المحك، بادعاءاتها الكاذبة المستمرة في محاربة الإرهاب وخاصة داعش، وبأنها الراعي الأول لتلك الجماعات، وأن هجومها المستمر على قوات سوريا الديمقراطية، تحت يافطة حماية الأمن القومي التركي، ليس إلا شماعة تريد من خلالها ضرب مواطن الأمن والاستقرار في مناطق شمال وشرق سوريا، وتقضي بالتالي على مشروع الإدارة الذاتية فيها.

- إن دول التحالف وعلى رأسها الولايات المتحدة، لا بد وأن تقوم بمحاسبة تركيا كعضو في التحالف الدولي ضد داعش، وهي من تقوم بين الحين والآخر بتقديم كل الدعم والمساندة لهذا التنظيم الأخطر على صعيد العالم.

- تبين بوضوح أن النظام السوري يكتفئ في قرارة نفسه رغبة قوية في استعادة المنطقة إلى سيطرته، وإظهار عجز قوات سوريا الديمقراطية عن حمايتها، ولو كان على حساب مساندة الجماعات الإرهابية التي ترعاها تركيا المحتلة للأراضي السورية.

أخيراً، يبدو أن التحديات الأمنية والسياسية التي تواجهها المنطقة لن تخبو في المستقبل القريب، خاصة في ظل التداخلات الجيوسياسية، وتصادم مصالح القوى الإقليمية والدولية المتواجدة فيها. لذلك لا بد من الإسراع في البحث عن السبل التي من خلالها يمكن تقويض إمكانات الفصائل المتشددة، حول قيامها بزعزعة الأمن والاستقرار في مناطق شمال وشرق سوريا، وضرورة البحث عن آليات لمحاكمة عناصر داعش المحتجزين في المنطقة لإفراغ السجون منهم.

## تجربة داعش الاختبارية للعودة والتأسيس

### (أحداث سجون الحسكة نموذجاً)

مركز الفرات للدراسات

إن إحرارَ أيُّ تقدّم عسكريّ كبيرٍ ضد تنظيمٍ إرهابيّ، دون الاستمرار في مكافحته حتى إنهائه بشكل كامل، حتماً سيؤدي ذلك إلى تعافيه مرة أخرى، أو ظهوره بشكلٍ جديد.

ومن الأمثلة التي يمكن أن نضربها هنا - كي لا نذهب بعيداً - هو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، فالنتيجة النهائية للتحالف الدولي مع حلفائه من قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، كانت بتحقيق الانتصار العسكريّ الكبير، عندما دخل إلى آخر معاقله في الباغوز.

إلا أن الأحداث التي تكرّرت عقب إنهاء هذا التنظيم على الأرض، أكّدت أن هذه الحركة الإرهابية لم تنته بعد، فقد نجا قسم كبير من عناصرها وأمرائها، سواءً داخل سجون ومخيمات الإدارة الذاتية، كسجن غويران في الحسكة، أو مخيم الهول، أو خارج مناطق الإدارة الذاتية، خاصة في المناطق التي تحتلها تركيا؛ كلُّ ذلك كان سبباً في إبقاء هذه الحركة المتطرفة والإرهابية حيةً، منذرةً بتهديداتٍ مستقبلية.

والفرصة الآن بالنسبة لهذا التنظيم، تكمن في شمال وشرق سوريا، فالأحداث الأخيرة التي لا تزال تشهدا مدينة الحسكة (سجن غويران)، خير مثال على تركيز التنظيم جهوده، لتحرير معتقلي هذه السجون التي تضم آلاف السجناء من عناصره، وهي استراتيجية لا ترتبط بالمنطقة نفسها، وإنما مخططٌ بدايته كانت من سجن الحسكة، كونه:

### نقطة لرض الصفوف

حينما كان البغدادي معتقلاً في إحدى المعسكرات التي تديره الولايات المتحدة في العراق، استثمرها في نشر فكرة التنظيم بين محتجزي المعسكر، وخلال الهجوم على سجون الموصل، أطلق سراح المعتقلين، وبذلك تمكّن التنظيم من الحصول على دعم إضافي للقوة القتالية،

بالإضافة إلى مقاتلين، حيث انضم الآلاف إليه، وهذه الفكرة نشأت بين قيادات التنظيم حول إمكانيات هؤلاء السجناء ودورهم، فبدأوا بتنظيم حملات لإطلاق سراحهم.

إذاً، يمكن القول إن السجون التي تحوي عناصر التنظيم، هي إحدى النقاط الفاصلة والرئيسية ليعيد تجميع صفوفه، والظهور بقوة.

وهذه الاستراتيجية تم تطبيقها بالفعل في سجون شمال وشرق سوريا، التي تحتوي على آلاف المعتقلين من عناصر التنظيم، حيث تحتجز فيها قوات سوريا الديمقراطية والتحالف الدولي أشهر قادة داعش وأخطرهم، ممن كانوا أمراء ووزراء ومشرعين ومقاتلين، ومسؤولين عن القتل والتعذيب ومهام حساسة أخرى.

أي يمكن أن تكون هذه الاستراتيجية كجهاز إداري، وشبكة كاملة لتنظيم الدولة الإسلامية، بانتظار فرصة الخروج والعودة، وقد اعتمدوا هذه الاستراتيجية كاختبار للعودة والتأسيس من جديد، عبر إطلاق من له تأثير قوي على الناس، كما حصل في العراق.

وفي يونيو 2021، دعا زعيم التنظيم "أبو إبراهيم الهاشمي" عناصره، لتركيز جهودهم على تحرير السجناء من سجونهم في سوريا، وأكد للمعتقلين أنهم سيُنقذون من الأسر، كونها تحوي على آلاف السجناء، فأصبح خطر استهدافها قائماً، وهذا ما تم تنفيذه منذ أيام، على أكبر معتقل يضم عناصره (سجن غويران) في جنوب حي غويران بالحسكة، كأكبر سجن في العالم يضم عناصر التنظيم، حوالي 5000 معتقل، وغربي السجن (سجن الصناعة)، الذي يضم أكثر من 2000 عنصر من التنظيم، لتكون الانطلاقة منها، ليتولّى بعدها انتشاره.

### أشبال الخلافة.. الدروع التي أخرجت الحسم

إحدى الركائز التي اعتمد عليها التنظيم في استراتيجيته، هو تحرير أشبال الخلافة، فهم أشد خطورةً من المقاتلين أنفسهم، كونهم تلقوا تعاليم التنظيم الإيديولوجية، ضمن معسكرات منظّمة، ومدربين على السلاح، ليكونوا مقاتلين في المستقبل، ف "جيش الدولة" و"جيش الخلافة" و"جيش عدنان" كانوا يضمّون عدداً كبيراً من الأطفال، تحت مسمّى "أشبال الخلافة"، تم تدريبهم بمهارة على القتل، وترغيبهم به.

وفي الحسكة، تكتظُّ سجونها بالقاصرين والأطفال، حيث تتراوح أعمارهم بين 9 و14 عاماً، هؤلاء قَدِموا مع ذويهم، وتواجدوا ضمن مهاجع خاصة، وساهم وجود هؤلاء القُصّر في تقوية موقف العناصر الإرهابية ميدانياً. حيث شكّل العائق الأكبر أمام تقدم قوات سوريا الديمقراطية، نتيجة استخدامهم لأشبال الخلافة كدروع بشرية، والبالغ عددهم حوالي 700 قاصر، بالإضافة إلى أنهم مهيوون للقيام بعمليات انتحارية، نتيجة ترسيخ الفكر الإرهابي، وزرع الكراهية في عقولهم عبر مدارس دينية، وقاتلية حول فنون القتال، وفكرية، لتهيئتهم فكراً ونفسياً للقدرة على ذبح ضحاياهم دون شفقة، فتأخير الحسم كان بسبب تردد قوات قسد حفاظاً على أرواح هؤلاء الأطفال أولاً، ثم التخوّف من تنفيذهم لهجمات انتحارية ثانياً، إلا أنهم لا يزالون يشكّلون الخطر الأكبر على المنطقة، فهو جيل لا يزال ينمو على إيديولوجية داعش الفكرية، القائمة على القتل والانتقام والترهيب.

### استغلال الخلايا النائمة

على الرغم من الهزيمة العسكرية للتنظيم، إلا أن الكثير من قادته لا يزالون طُلقاء، ويعملون سرّاً، وخاصة الأجناب الذين قدموا كمجاهدين، ممن يستطيعون إعادة الانتشار، والانتقال من معركة إلى أخرى، مما يطيل عمر الصراع.

بالإضافة إلى من هربوا إلى مناطق خارجة عن سيطرة قوات سوريا الديمقراطية، كرأس العين، وتل أبيض، وعفرين، وغيرهم من المناطق المحتلة من قبل تركيا. ليشكلوا خلايا لمواصلة تهديداتهم، حيث شوهد فيها عناصر من التنظيم، كانوا ممن شاركوا في العدوان على تلك المناطق، إلى جانب القوات التركية و"الجيش الوطني السوري" الموالي له، فلا يُستبعد إعادة تجميع صفوفه من تلك الخلايا وتسليحهم، كفرصة استغلها التنظيم للتواصل معهم، للتخطيط في اقتحام السجون، كما حدث في الحسكة، ولا يستبعد أن معظم العناصر الذين فروا من السجون قد وجدوا طريقاً إلى تلك المناطق للتواري فيها، مما يرفع نسبة الخطر على المنطقة في المستقبل، كونهم يزدادون قوة في المناطق المحتلة، وهناك من يساعدهم في التمويل، ويحرضهم على الهجوم.

## الترهيب عبر التضخيم الإعلامي

إن أي تغطية إعلامية واسعة عبر وسائل الإعلام العالمية، تساهم في جلب الأنظار من خلال توثيق نشاط التنظيم، عبر الصور والمقاطع التصويرية لاقتحام السجون، والانتشار في المدن.

بالإضافة إلى التغطية الإعلامية للتنظيم نفسه، حيث يوثق كل جريمة يقوم بها، ونشرها إلى العلن عن طريق وكالة "أعماق" التابعة له، كإصدارات متتابعة؛ والهدف الرئيسي من هذه الأعمال الهمجية هو الترهيب، ورفع معنويات عناصره المتوارين أو المترددين.

وقد اختاروا سجن الحسكة عمداً لتسويق صورة التنظيم إعلامياً، على إنه لا يزال قادراً على العودة بقوة، وعكس السيناريوهات، ولكن لا بد من الإشارة إلى أن التنظيم لم ينجح في إصداراته الأخيرة من داخل السجن أو خارجه، كما كان يحدث في السابق، فالمشاهد التمثيلية وصور عناصر التنظيم ضمن السجن لم تعوّم بالصورة الذهنية الجذابة للعين والسمع كالمعتاد، حينما كان عناصر داعش يصورون كرجال يتصفون بالعزيمة والقوة، فضلاً عن الروايات الكاذبة التي اشترك فيها التنظيم مع إعلامي النظامين التركي والسوري.

وبإقتحامهم لأكبر وأخطر سجن في العالم. يؤكّدون برسالتهم هذه على نهجهم في القتل والتدمير. الغاية منها تعبئة استهلاكية للوسائل البصرية تروّج لعنف التنظيم، وهي ظاهرة فائقة الحداثة، حيث تضم أحدث الأدوات وأقواها، لنشر أعمالهم العنيفة التي تثير القلق، وهذا ما حصل في أحداث سجن الحسكة، حيث تحدثت الكثير من التقارير عن عودة التنظيم بقوة، بعد الهجوم على سجن غويران والصناعة في الحسكة، وهذا ما أقلق الجوار، وخاصة العراق نتيجة تزامن الأحداث مع هجوم للتنظيم في محافظة ديالى، قتل خلاله أحد عشر عنصراً من الجيش العراقي بينهم ضباط، وقد حذرت وزارة الدفاع العراقية من أن ما يحدث الآن هو امتداد لسوابقه، ولكن بحدة أكثر، نتيجة التقصير في بعض المهام، وخلاياه المجهزة بأحزمة، وعربات مفخخة، وأسلحة متنوعة.

كل ما سبق يأتي بالتزامن مع ظروف مهيئة لاستعادة نشاطه بقوة، ساعدت بشكل كبير في اندفاع التنظيم للتمرد ونشر الفوضى لاستعادة دوره، وهذه الظروف هي:

- **تقصير في جهود الولايات المتحدة** لاحتواء أي قدرات عسكرية لحركة إرهابية معينة، أو احتواء قدرتها على الانتشار، أي ليست هزيمة دائمة، مما يساعد على عودة الإرهاب والتطرف.
- **نجاحات تكتيكية لم تقض على الإرهاب:** فأحداث الحسكة الأخيرة تؤكد على وجود نشاط تنظيم الدولة الإسلامية (داعش). ربما ساعد التحالف الدولي في تفكيك دولة الخلافة، لكنه لم يهزم الإرهاب، الأمر الذي يؤكد على ضرورة عدم ربط هزيمة داعش بهزيمة خلافته على الأرض. فالحسم العسكري لاستعادة المدن والبلدات في سوريا من داعش لم يشل حركته، إنما هي انتصارات تكتيكية لم تضع حداً له، ولم يُهزم بعدُ في الحرب.
- **حالة عدم الاستقرار في المنطقة** خلقت سبباً جديداً وخطيراً لنشر الفوضى فيها، وعدم استقرارها، فالتحالف تمكن من احتواء داعش نسبياً، لكن دون معالجة الظروف السياسية والاقتصادية الأساسية في المنطقة، الأمر الذي ساعد على تعافي داعش، ونشر الإرهاب، وبالتالي دفعة جديدة من المهجرين والنازحين.
- **استغلال الهجمات التركية المتكررة:** وكان هذا الأمل الأكبر لعودة التنظيم، لأن الهجمات التركية تقوم على أساس إضعاف قوات سوريا الديمقراطية التابعة للإدارة الذاتية، وبالتالي استغل التنظيم هذه الظروف لتحسين وضعه، فوسط صمت المجتمع الدولي والتحالف حيال العدوان التركي، وهجماته المتكررة، تفقد قوات سوريا الديمقراطية تركيزها بشأن هجمات التنظيم، فاستغلها الأخير لنشر الفوضى، أملاً في الهروب وإعادة التأسيس.
- **الانسحاب الأمريكي المبكر من سوريا:** وهو سبب رئيسي لصعود داعش المتكرر، فبعد الإعلان عن الهزيمة العسكرية لداعش، لن تكون هذه الهزيمة كاملة، ما لم يُقدّم التحالف:

  - ضمانات لطمأنة قوات سوريا الديمقراطية، وتبديد مخاوفها حول انسحابها، وردع التهديد التركي، وتخصيص المزيد من القوى لمحاربة داعش.
  - الاستمرار في تقديم دعم جوي واستخباراتي، لمكافحة داعش، ودعم مادي لتحسين أوضاع المخيمات، وإدارة السجون في شمال شرق سوريا، كون قسد لا تستطيع إدارة

هذه المهام بمفردها، في الوقت الذي يكون جلّ تركيزها على الأمن، وردع الهجمات التركية.

- زيادة في عدد قوات التحالف، لأن خفض عدد هذه القوات في الوقت الراهن بمثابة تنازل عن حصص من الأراضي لصالح داعش، كونه سيحفزه على إعادة الانتشار.

ختاماً، يمكن القول إن الأحداث الأخيرة التي شهدتها مدينة الحسكة، تُظهر حالة عدم الاستقرار في المناطق التي تأوي المعتقلين والمحتجزين من عناصر التنظيم، سواءً في السجون أو المخيمات؛ فاستعادة المدن، وإنهاء تمرد السجون أو المخيمات، وقتل البغدادي، لا يخفي حقيقة بقاء مجموعات منتظمة وممنهجة، فتركته من معتقلين وخلايا، عبارة عن حزام ناسف يحيط بالمنطقة ما لم يتم التحرك لحله من الجذور.

فأحداث الحسكة لا ترتبط بالمنطقة نفسها، وليست الأولى، ولن تكون الأخيرة، وإنما هو مخطط مدروس، بدايته كانت من سجن غويران.

## التوصيات

للتخفيف من أعباء تركة داعش، والفوضى التي يخلقها، يمكن تقديم بعض التوصيات، منها:

- السعي لاستقرار المنطقة، من كافة الجوانب، فالحالة الأمنية غير المستقرة تزيد من خطر فرار عناصر التنظيم، وتنفيذ هجمات، وتجنيد المزيد من العناصر.
- بناء مراكز خاصة لإعادة تأهيل "أشبال الخلافة" في السجون، والأطفال في المخيمات التي تأوي عائلات التنظيم، بغية تخفيف حدة العنف لديهم، كونهم يشكّلون الخطر الأكبر في المستقبل.
- على الحكومات التي لديها مواطنين محتجزين في شمال شرق سوريا استعادتهم، أو العمل مع الإدارة الذاتية لتطوير آليات مشروعة، كبناء مرافق احتجاز آمنة، وبظروف إنسانية أفضل، والتعاون مع القوات المحلية في تأمينهم.
- السعي إلى محاكمتهم عبر محكمة دولية، أو في مناطق احتجازهم، عبر التنسيق مع قوات سوريا الديمقراطية.

- تفكيك منظومة داعش الايديولوجية في مراكز الاحتجاز، عبر غرلة المحتجزين أو المعتقلين في السجون والمخيمات، من خلال الفصل بين المدانين بجرائم كمقاتلين، أو مدنيين في مؤسساتهم، أو مواطنين عاشوا في كنفهم، كي لا ينتشر فكر التطرف بين الجميع، مما يزيد من عددهم، وهي مهمة تقع على عاتق التحالف الدولي أيضاً.

## السياسة التركية في آسيا الوسطى

مركز الفرات للدراسات

انصبَّ اهتمام المجتمع الدولي في الآونة الأخيرة على آسيا الوسطى، وذلك بسبب التطورات الجديدة التي حصلت هناك، والتي تتعلق بشكل مباشر أو غير مباشر بالمنطقة، كوصول حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان، والأحداث الأخيرة في كازاخستان، وتنشيط منظمة معاهدة الأمن الجماعي .. وما إلى ذلك.

على هذه الخلفية، بدأت تركيا في إظهار نشاط معين، كتنصيب نفسها على أنها زعيمة (العالم التركي)، ومحاولة الانخراط في ما يحدث، على قدم المساواة مع الجهات الفاعلة الرئيسية غير الإقليمية مثل روسيا والصين.

تزامنت بداية هذا النشاط مع انهيار الاتحاد السوفيتي، والذي أدى إلى ضعف أهمية تركيا كجبهة أمامية (للكتلة الغربية). أصبح انتشار نفوذ تركيا في جمهوريات آسيا الوسطى - المشكّلة حديثاً - مسألة موضوعية بالنسبة لها، وكأداة رئيسية في هذا السياق، تم النظر إلى نموذج التنمية التركية، الذي جمع بين نظام سياسي ديمقراطي علماني يحترم القيم الإسلامية، وسياسة الدولة ذات التوجه الاجتماعي، واقتصاد السوق.

أُسْتُخدم أهمية عامل القرب العرقي والطائفي لهذه البلدان، كحجة لصالح تركيا، لتشكيل حالة أو تشكيلة جديدة على الساحة الدولية "تسمى الجمهوريات التركية"، وتكون تركيا على رأسها. ولكن إحجام دول المنطقة عن مواصلة التنمية تحت قيادة (الزعيم القادم)، أجبر تركيا على الاكتفاء بالتفاعل الاقتصادي والثقافي والانساني معها، ومن المجالات الرئيسية للتعاون بين تركيا ودول آسيا الوسطى، التي يمكن ذكرها:

**1. التعاون الاقتصادي يُعتبر التعاون الاقتصادي من الأدوات الرئيسية التي تسعى تركيا من خلالها اليوم إلى تعزيز مكانتها في المنطقة، حيث تُعتبر أنقرة آسيا الوسطى منطقة واعدة للاستثمار في البنية التحتية للنقل.**

يُعد إنشاء طرق سريعة وجديدة، أمراً ضرورياً للتغلب على اعتماد البنية التحتية للجمهوريات ما بعد الاتحاد السوفيتي على روسيا، لذلك تقدم دول المنطقة العديد من المشاريع.

في معرض سلع دول المجلس التركي، الذي أقيم في ديسمبر 2018، لُوِظَ أن الاستثمارات التركية في آسيا الوسطى تتجاوز 85 مليار دولار، على سبيل المثال، من الاستثمارات العديدة لتركيا من المشاريع الكبيرة في السنوات الأخيرة، بناء ميناء دولي في مدينة عشق آباد، وترميم أبنية مدينة تركمنباشي، علاوة على ذلك في عام 2020 استحوذت الشركة التركية "tav Airports" على 100% من أسهم مطار "الماتا"، إحدى أكبر مدن كازاخستان، كما أن الخطط المستقبلية لها طموحة، حيث تعتزم تركيا مع الصين تنفيذ مشروع النقل العابر لبحر قزوين، وهو الشريان الذي سيربط دول العالم التركي. ومن خلال بناء هذا الممر ستوفر تركيا لنفسها مدخلاً مباشراً إلى آسيا الوسطى، مما سيزيد من تصدير السلع المصنّعة، فضلاً عن استيراد المواد الخام.

المنطقة تهمُّ أنقرة أيضاً من حيث تنويع إمدادات الطاقة لتركيا. وكذلك تسعى تركيا إلى زيادة إمدادات النفط الكازاخستاني، عبر خط أنابيب باكو - تبليسي - جيهان، والغاز التركماني عبر أنابيب خط الغاز العابر من الأناضول، وهو جزءٌ من مشروع "ممر الغاز الجنوبي".

كما نرى أن مثل هذه الخطط تشهد على نية أنقرة في أن تصبح "مركزاً للطاقة" في أوراسيا، حيث ستلتقى أوروبا من خلالها الغاز في روسيا وآسيا الوسطى وأذربيجان وشرق البحر المتوسط.

على الرغم من التحديات العديدة التي تواجه أنقرة في تحقيق أهدافها، إلا أنها تتمتع بهيكل اقتصادي يختلف جوهرياً عن دول آسيا الوسطى، وبفضله تستطيع تركيا تلبية مطالب دول المنطقة، لتلك الأنواع من البضائع التي لا ينتجونها بأنفسهم، ومع ذلك فإن حجم الصادرات التركية إلى تلك الدول يبقى محدوداً، بسبب نقص البنية التحتية المتطورة.

في 2010 - 2020 زادت التجارة بين تركيا ودول آسيا الوسطى من 5,5 مليار إلى 6,3 مليار دولار، ومع ذلك، فإن هذا الرقم يزيد قليلاً عن 1,5% من إجمالي حجم التجارة الخارجية لأنقرة.

أكثر الدول التي تتاجر معها تركيا في دول آسيا الوسطى هي أوزباكستان وكازاخستان، حجم التجارة مع كل من هاتين الدولتين على حدى، يتجاوز 2 مليار دولار، ولكن في قائمة الشركاء التجاريين الرئيسيين لهذه الجمهوريات تركيا ليست حتى في المراكز الثلاثة الأولى.

من الصعب بالنسبة إلى تركيا التنافس مع روسيا والصين، ونجاح أنقرة في تعزيز وجودها الاقتصادي في آسيا الوسطى يتضائل مقارنة بإنجازات الجهات الفاعلة الأخرى.

## 2. التعاون العسكري

بالإضافة إلى تعميق التعاون الاقتصادي، تسعى تركيا أيضاً إلى تعزيز العلاقات مع دول آسيا الوسطى في المجال العسكري.

الحديث هنا - في المقام الأول - عن الاتصالات الثنائية مع دول المنطقة، حيث وصلت في الآونة الأخيرة إلى مستوى جديد.

اليوم يتم مناقشة فكرة إنشاء "جيش توران"، وهو كتلة عسكرية للدول الناطقة بالتركية بشكل نشط. الخطوات الأولى نحو هذه المبادرة اتخذت في 2013، بعد تأسيس "منظمات القوات المسلحة الأوراسية للأمن" (TAKM)، والتي تضم تركيا، وأذربيجان، وقيرغيزستان، ومنغوليا - كما أعربت كازاخستان عن رغبتها في الانضمام إلى (TAKM).

كان الغرض من المنظمة تطوير التعاون بين مؤسسات الأمن العسكرية للأعضاء، حيث حدّدت مهمة TAKM في مكافحة الجريمة المنظمة، والإرهاب، والتفريب، في القوقاز وآسيا الوسطى.

ومع ذلك لم تحقق TAKM نجاحاً كبيراً حتى الآن، على الرغم من أنها كان المحاولة الأولى لإنشاء نموذج أولي لمنظمة عسكرية، لديها القدرة على أن تصبح منصة التواصل بين جميع المؤسسات الأمنية والعسكرية في المنطقة تحت قيادة أنقرة.

بدأت المحادثات حول تعزيز التعاون العسكري بين تركيا ودول آسيا الوسطى، بعد استئناف الصراع في "كارا باخ" في عام 2020. في أكتوبر من نفس العام، وفي خضمّ الأعمال العسكرية، زار وزير الدفاع التركي "خلوصي آكار" كازاخستان وأوزباكستان، خلال الزيارة تم

التوقيع على اتفاقية للتعاون العسكري والتقنية العسكرية بين تركيا واوزبكستان، كما تمت مناقشة الشراكة الاستراتيجية التركية الكازاخستانية. اعتبر المحللون هذه الجولة الصغيرة بمثابة بداية مشروع لإنشاء جيش موحد للدول الناطقة بالتركية.

نشط الحديث عن "جيش توران" مرة أخرى بعد زيارة وزير الخارجية التركي "مولود شاويش أغلو" إلى أوزبكستان، وقيرغيزستان، وطاجكستان، في مارس 2021، وكان الهدف من الزيارة تشكيل كتلة عسكرية سياسية بقيادة أنقرة، يمكن أن تساعد في تعزيز موقف تركيا في صراعها المحموم على القيادة الإقليمية.

ولكن يقف ضدّ مشروع تركيا الطموح عدة عوائق في آن واحد، وهي:

- القوى المؤثرة الأخرى في آسيا الوسطى، مثل روسيا والصين وإيران، فهذه الدول قد تعتبر تشكيل جيش توران تهديداً لأمنها.

- لا يجب أن ننسى بأن كازاخستان وقيرغيزستان عضوان في منظمة معاهدة الأمن، وأن تركيا نفسها عضو في الناتو.

عندما تنضم هذه الدول إلى الكتلة الجديدة، من المؤكد سيظهر السؤال الحتمي حول كيفية احتفاظ هذه الدول بتحالفاتها التقليدية.

### 3. القوة الناعمة

جنباً إلى جنب مع الاقتصاد، في تسعينيات القرن الماضي اعتمدت تركيا استخدام مجموعة واسعة من أدوات القوة الناعمة في آسيا الوسطى.

وهكذا تشكّل أساس السياسة التركية في المنطقة - إلى حد كبير - من خلال عدة إنجازات رئيسية، من بينها: يمكن للمرء أن يميز السياسة المتعلقة بتعميم اللغة التركية، والثقافة، والتاريخ، وبمعنى أوسع - التعليم. في إطار السياسة التي يتم تنفيذها، يمكن تمييز العديد من الأهداف والأولويات الرئيسية التي يسعى إليها الجانب التركي.

وهذا يشمل تطوير "هوية تركية جديدة" تحت قيادتها، تستند في الأساس إلى فكرة المجتمع الثقافي الديني، الذي يشكل مجموعة واحدة من القيم لسكان البلدان الناطقة بالتركية. وهذا سيكون

في المستقبل بمثابة أساس للتفاعل النشط على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، علاوة على ذلك، الحفاظ على العلاقات مع الأتراك العرقيين القادرين على تمثيل المصالح التركية في الخارج، وخلق ظروف مواتية لتطوير أنشطتها في الخارج.

وتم ضمان ذلك، أولاً وقبل كل شيء، من خلال الحفاظ على المعرفة بالتاريخ، والثقافة - اللغة التركية، والشعوب الناطقة بالتركية، من خلال إنشاء برامج للأطفال ثنائيي اللغة، وتنظيم الأنشطة التعليمية المتعلقة بتاريخ وثقافة البلاد.

ولا تقل أهمية - بالنسبة لتركيا - مهمة إنشاء صورة جديدة للبلاد، والحفاظ عليها، والتي شهدت تحولاً كبيراً منذ عام 2010.

تم وضع " النموذج التركي " في البداية على أنه توليفة فعّالة للقيم الإسلامية، والمبادئ الاجتماعية الديمقراطية، واقتصاد السوق المزدهر، فمنذ عام 2010 بسبب عدد من العوامل، منها الخارجية مثل " الربيع العربي"، وكذلك الداخلية مثل " تحوّل سياسة حزب العدالة والتنمية الحاكم"، بدأت تركيا في التأكيد على صورتها والتي تتمثل في "المدافع عن المسلمين والأتراك" في جميع أنحاء العالم.

وتعمل تركيا، لتحقيق هذه الأهداف، على نشر منتجات الثقافة الجماهيرية التركية "صناعة السينما وقطاع الترفيه ككل" بشكل نشط، وهكذا يتم إدخال الصورة الضرورية أو المطلوبة، لتقوية تركيا ثقافياً وتاريخياً، ودينياً، في الوعي العام لبلدان آسيا الوسطى والمنطقة بشكل عام.

كذلك تسعى تركيا إلى تفعيل سياسة تقديم الدعم لدول المنطقة، والتي لم تتضمن فقط بعض المدفوعات النقدية، وشطب الديون، وإنما أيضاً إقامة مشاريع البنية التحتية واللوجستية ضمن مناطق محددة.

#### 4. الأساس المؤسسي للسياسة التركية في منطقة آسيا الوسطى

يُعدّ المكوّن المؤسسي للسياسة التركية في آسيا الوسطى، أحد أكثر عناصرها إثارة للجدل. من جهة، هناك شبكة واسعة من المؤسسات التي استخدمها الجانب التركي بشكل مكثف منذ

التسعينات كقائد للمنطقة، ومن جهة أخرى، لا يمكن لأحد أن ينكر التشرذم، وقلة فعالية هذه المؤسسات الاسمية إلى حد كبير، حيث يعكس ضعفها.

في هذا الصدد يجب أخذ هذا الجانب في الاعتبار عند دراسة سياسة ومواقف تركيا في المنطقة، وتقسيم شبكة المؤسسات القائمة إلى عدة كتل، في سياق السياسة التركية في آسيا الوسطى:

- **الكتلة الأولى** هي مجلس التعاون للدول الناطقة بالتركية (2021)، ومجموعة من المنظمات العاملة تحت رعايتها.

هذه هي المنظمة التي تضعها تركيا اليوم، كمنصة مركزية للتكامل والتفاعل بين الدول الناطقة بالتركية، تتجلى رغبتها في زيادة أهمية هذه المؤسسة، من خلال مشاركتها في عملية حل الأحداث الأخيرة في كازخستان.

في الوقت الحالي، يضم أعضاء هذه المنظمة كلاً من أذربيجان، وكازاخستان، وقيرغيزستان، وتركيا، وأوزباكستان، وفي إطارها توجد فروع، مثل المنظمة الدولية للثقافة التركية (TURKSOY) والجمعية البرلمانية - للبلدان الناطقة بالتركية والأكاديمية التركية الدولية، وكذلك مؤسسة الثقافة والتراث التركية.

تشارك هذه المؤسسات في نشر وتقوية الروابط الثقافية، وتعزيز الحوار السياسي، والتطوير في دراسة العالم التركي، وكذلك الحفاظ على التراث الثقافي للدول التي تمثل الأتراك وحمائته.

عند الحديث عن الهدف العالمي لهذه الكتلة المؤسسية، تجدر الإشارة إلى أنها تهدف إلى تطوير التكامل الفعّال بين ممثلي العالم التركي، على أساس تعزيز الروابط الثقافية، والتعليمية، والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية. كل هذا يعتمد على أطروحات تركيا حول مفهوم وجود عالم تركي واحد، وبالتالي الهوية التركية.

- **الكتلة الثانية** من المؤسسات مرتبطة بالبعد التعليمي، وبمعنى أوسع، الاجتماعي والثقافي لنشاط تركيا، والذي يشكل أساس سياسة أنقرة في آسيا الوسطى.

في هذا السياق تجدر الإشارة إلى مؤسسة "يونس امري"، وكذلك معهد يونس امري، بالإضافة إلى مكاتبها التمثيلية حول العالم، على شكل مراكز يونس امري الثقافية، رغم أن المراكز في

الوقت الحالي ليس لها تمثيل في بلدان آسيا الوسطى، إلا أن الصندوق (FOND) ككل، ينفذ المشاريع التي تركز على هذه المنطقة وسكانها .

وكذلك مؤسسة "معارف"، التي تقوم بتعميم التعلم باللغة التركية، وتطوير العلاقات الدولية التركية، والإشراف على عمل المؤسسات التعليمية التركية في الخارج.

بالإضافة إلى ذلك، فإن أنشطة مكتب إدارة شؤون الأتراك في الخارج، والمجتمعات القريبة منها عرقياً، تقوم بعمل مهم بالإضافة إلى عملها مع المواطنين، من حيث رعاية برنامج المنح الدراسية الحكومي "المنح الدراسية التركية"، وتعزز التعليم باللغة التركية، والتاريخ، والثقافة في الخارج، وبشكلٍ كثيف في بلدان آسيا الوسطى، والتي تركز عليها جميع مؤسسات هذه الكتلة.

كما يتم تنفيذ المهام المساعدة، في إطار الاتجاه الاجتماعي والثقافي، من قبل منظمات مثل مكتب الشؤون الدينية (ديانت)، الذي يعمل في أكثر من 140 دولة حول العالم، ويساهم في التعليم الديني، وتعريف السكان بالقيم الثقافية، من خلال شبكة من المدارس والجامعات والدورات التعليمية، وما إلى ذلك .

- **الكتلة الثالثة** من المنظمات، إنسانية مرتبطة بالعمل على تنفيذ مقترح من أحمد داوود أوغلو، في أوائل العقد الأول في القرن الحادي والعشرين، تستهدف الانسان، وتحسين ظروف وجوده بالمعنى العالمي. في هذا السياق تجدر الإشارة إلى أنشطة الوكالة التركية للتعاون الدولي والتنمية (TIKA)، والتي تم انشائها في الأصل مع التركيز على جمهوريات آسيا الوسطى.

TIKA هي المؤسسة الرئيسية في سياق تنفيذ المساعدة الإنمائية الرسمية (ODA) لتركيا، كعضو في منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD). لقد وسّعت أنشطتها إلى ما هو أبعد من آسيا الوسطى، ونفذت مشاريعاً في الشرق الأوسط، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية.

تركيا اليوم، تضع نفسها كقائد في عدة مناطق من العالم في وقت واحد، بما في ذلك (العالم التركي)، مما يؤكد الأهمية العالمية للبلاد، كمركز لقوة متنامية في إطار النظام العالمي المتعدد الأقطاب، ويجعل من سياستها في آسيا الوسطى أكثر أهمية. ومع ذلك يجب أن يكون مفهوماً أنه على الرغم من النشاط والطموح الظاهر لتركيا، فإن لهذه السياسة عدد من المعوقات، فهي

لاعب غير إقليمي وثنوي في آسيا الوسطى. وهذا ما يؤكد نشاطها المحدود في المسائل الأمنية، وعدم قدرتها في التدخل المباشر في عملية حلّ أزمات دول آسيا الوسطى، لأن الأمر بالدرجة الأولى من امتيازات روسيا الاتحادية في تلك المنطقة.

لذا، نرى بأن تركيا تركز على تلك المجالات، التي يكون فيها تأثير اللاعبين الآخرين محدوداً، رغم خطابها النشط في مسألة التعاون العسكري، لذلك -على سبيل المثال -فهي تركز على المجال الثقافي، والتعليم، والاقتصاد، وموضوع الانسان.

ومع ذلك، فإن هذا النوع من التوجه لا يعني حتى الآن نجاحه وفعاليتة، بالنظر إلى الطبيعة الخاصة لتجلي نتائج أدوات السياسة الخارجية غير التقليدية. بالإضافة لذلك، يبدو أن عدم النجاح على طريق "إدخال المنطقة تحت القيادة التركية"، وانتشار التفاعل الثنائي، القائم أساساً على إيديولوجية القومية التركية، يشكّلان أيضاً عائقاً أمام تحرك تركيا في آسيا الوسطى. ومع ذلك يبقى التأثير الفعلي للإطار المؤسسي القائم للتفاعل منخفضة.

أخيراً، ربما أحد أبرز المعالم، هو افتقار تركيا الموضوعي إلى الموارد الداخلية الكافية (المالية، والعسكرية، والتكنولوجية .. وما إلى ذلك)، مقارنة بالجهات الفاعلة غير الإقليمية الأخرى في آسيا الوسطى (بشكل أساسي روسيا والصين)، ولكن بكل الأحوال، لا يزال هناك - وإن كان أقل وضوحاً - النهج التركي المتعدد الاتجاهات للسياسات الخارجية .

كل هذا يشير إلى أنه، على الرغم من النشاط الواضح والظاهر للسياسة التركية في آسيا الوسطى وخطتها الطموحة، وكذلك التراكم الحالي لنمو نفوذ تركيا في المنطقة، يبدو أنها مبالغ فيها من نواحٍ عديدة، وغير قابلة للتطبيق على المدى الطويل.

## السلطة الرابعة بين تهوين وتهويل المآسي الإنسانية

أ. أوصمان علي

أي حدث استثنائي، أو واقعة رائجة في الوسط الاجتماعي، هو بمثابة وجبة دسمة وطازجة، يلهث خلفها الصحفيون بجنون شعبي، لاصطياد الفرصة قبل أن تفقد مذاقها، سيّما تلك القصص والمآسي الإنسانية، التي تفرض نفسها على أجندة وسائل الإعلام، فيحاول الصحفي بشتى السبل أن يحقق "السبق الصحفي"، ويثبت أهليته، وجدارته في التغطية الإخبارية، حتى وإن كان ذلك -في كثير من الأحيان- على حساب احترام القيم والثوابت الإنسانية، والمسؤوليات الاجتماعية التي تمثل عماد العمل في حقول "السلطة الرابعة".

### الإعلام سلاح ذو حدين

الإعلام أو "صاحبة الجلالة" كما يحلو للصحفيين تسميته، يُعدّ -كأي علم من علوم الاجتماع - سلاحاً ذو حدين، أما أن يُستثمر إيجاباً لخدمة الأفراد والمجتمعات، فيأخذ وجهة مهنية، ويحمل مسؤولية أخلاقية، ويتصف بالفاعلية والمهنية في الأداء، فيقدم صورة نقدية تحليلية تعزز الوعي العام، وتعكس التطورات والتحويلات السياسية والاجتماعية بدقة وأمانة (هذا النوع قليلاً ما نتملسه في وقتنا الحاضر).

أو قد تقتصر حدود اهتمام الصحفيين الانتقائيين عند اختيار أحداث معينة، على الحديث في الزوايا التي تهمهم، ويستندون إلى المصادر التي تلائمهم، فتتساق هنا الأذرع الإعلامية -في الخفاء والعلن- وراء الأجندة السياسية، والمصالح الاقتصادية، فتصبح أداة تدجين، وتسميم، وتزييف للحقائق، عوضاً عن تكريسها الفضاء المعلوماتي، لتتلاعب بعقول الجماهير، وتدغدغ عواطفهم بسيل هائل من المعلومات الجذابة (نصاً، وصورة)، طبعاً هنا تتدفق المعلومات بوتيرة عالية إلى اللاوعي الجمعي، عندها تكون النتائج وخيمة، لأنها تشكل أحد أوجه انحراف الأدوات الإعلامية عن المسار الأصلي، فيغيب عن المتلقي المحاكمة العقلانية، والتفكير النقدي للمحتوى المعروض، ويصاب بحالة أشبه بـ"التخدير النفسي"، والتميط الذهني الممنهج (هو الرائج، والسائد حالياً).

## انتقائية الأحداث في التغطيات الإخبارية

تحمل أي بيئة إعلامية تم تأسيسها على الفساد أو الإثارة العمياء، مسؤولية فشل الصحافة والصحفيين بالدرجة الأولى، وهي انتهاك جسيم لأخلاقيات العمل الإعلامي، الذي كثيراً ما يُستغل مناخه العشوائي الحالي لحشد الرأي العام تجاه مواضيع حساسة، تتحول مع وتيرة تداول التفاصيل إلى أولويات بالنسبة للجمهور .

من هنا، يستوجب على الإعلاميين -دائماً وأبداً- أن يثيروا في قرارة أنفسهم أسئلة عن الأسباب التي تدفع كثيراً من وسائل الإعلام للاستنفار تجاه تغطية بعض الحوادث، في حين تأخذ وضعية (لا أرى، لا أسمع، لا أتكلم) تجاه أحداث أخرى، فتهملها أو تغطيها كرفع عتب.

لذا يُستفسر في هذه الجزئية عن:

- لماذا قصة "آلان الكردي" تصبح رمزاً لـ "مأساة المهاجرين"، ولا يتحول ابن منطقتة "محمد" الذي تشوه كامل جسده بأسلحة تركية محرمة دولياً إلى رمز لـ "أطفال الحرب".
- القيم الإخبارية التي منحت قصة "ريان المغربي" الأولوية في مساحات التغطية، ولم تأخذ قصة "فواز" ربع القدر من الأهمية، رغم الفيديوهات الصادمة لمختطفين وهم يعاملونه بوحشية في الجنوب السوري.
- ما سبب الصمت المدوي عن المجازر اليومية بحق المدنيين في العراق، واليمن، والأقليات العرقية، والدينية في دول كسوريا، وإيران، وتركيا، والهند، والصين، وأفغانستان.. إلخ، إذ يتم تعنيفهم، وسلب حقوقهم، والمساس بكرامتهم، ومقدساتهم، وتغيير ديمغرافية مناطقهم، بعد تهجيرهم قسرياً، أين دور الإعلام من كل هذا؟.
- نتحدث كثيراً عن الأمانة والمصداقية في نقل الحدث، والتوازن في التغطيات الإخبارية، شعارات جميلة وجذابة من الناحيتين الأكاديمية والمهنية، أين محلها من الإعراب في عبارات الإنصاف، ومنح الأحداث حقها من المواكبة، والمعالجة الصحفية، أسوة بسواها من الأحداث؟.
- هل حقاً أصبح الطابع الفرجوي غالباً على الطابع الإخباري المهني؟.

- هل أمست أنصاف الحقائق، والتجلي، والازدواجية في التداول الإعلامي، هي المقاربة الأسلم للحصول على دعم الممولين، واستمالة رضا المسؤولين، واكتساب النجومية على المنصات، والنوافذ الإخبارية على حساب حق الجمهور في الحصول على المعلومة بدقة، ونزاهة؟.
- هل أصبحت مهنة الصحافة أداةً لإثارة الغرائز، ونشر الفضائح، وانتهاك خصوصية الأشخاص، بدلاً من توجيه الأسئلة الاحترافية العقلانية، التي تضع جميع أطراف المشكلة أمام مسؤولياتهم الأخلاقية؟.

أسئلة وقضايا هامة تحمل أبعاداً مهنية مخيفة، يُستدلّ في ضوئها على ضعف الأداء المهني، والحرفيّة في تحقيق المسؤولية الاجتماعية لوسائل الإعلام، نحن بحاجة إلى أجوبة شافية، وحلول منطقية نتجرد فيها من لغة العواطف، ومفردات الانتماء، والمصالح الشخصية والفئوية بكافة أشكالها، على الإعلاميين، والمؤسسات الصحفية، الاجتهاد بجد، لإعادة ثقة الجمهور بالإعلام، ومراجعة طرق وأساليب تغطية الأحداث، بحيث تكون على قدر عال من الواقعية والمسؤولية.

### أسباب التهوين والتهويل في المعالجة الصحفية

انسجاماً مع ما سبق من مؤشرات، من الحريّ بنا الوقوف عند قضية جدلية، وإشكالية في حقل النشر الصحفي وجوهرها، وهي أنه كيف لبعض الأحداث والقصص أن تتحول إلى قضايا رأي عام عالمي، وتوظف من جانب منصات الإعلام كخبر عاجل، وحديث الساعة، وبانوراما الأسبوع، في حين لا تخرج أحداث أخرى -تشابهها من حيث الأهمية، أو تضاهيها من حيث القيمة الخبرية- عن دائرة منطقة الحدث، فيمرر كخبر هامشي، يعالج ببرودة وجفاء، ولا يتجاوز سقف عرضه إلا مدة زمنية خجولة كخبر بسيط أو تقرير مفصل يُعرض ضمن النشرات المحلية في أحسن الأحوال، لتكون غائبة عن أجندة كبريات وسائل الإعلام التي تدّعي المهنية، والموضوعية.

وفقاً للمعطيات التي استنبطناها من تغطية بعضاً من وسائل الإعلام للأحداث الأخيرة، هنالك العديد من العوامل التي تتحكم في تهوين أو تهويل المنصات الإخبارية للقضايا، والمتغيرات أثناء المعالجة الصحفية، ويستوجب التنويه إلى أن هذا الأمر لا يقف حدوده فقط عند آلية عمل الوسائل الإعلامية المنحازة في منطقة الشرق الأوسط، بل تجد الظاهرة معومة لدى كثير من

وسائل الإعلام الأوروبية والأمريكية، التي لطالما كانت من أرقى المدارس الإعلامية، وأقدمها، وأكثرها حرفية.

إجمالاً، يعود غياب التوازن في العرض الإخباري إلى عدة نقاط أساسية، تتمثل فيما يلي:

**أولاً:** استراتيجية الإلهاء المتّبعة من جانب أباطرة الإعلام، والشركات الاحتكارية، الساعية لتضليل الجمهور، والتسبب بانشغاله عن بعض الأحداث الهامة المندلعة في مناطق أخرى، والتي تضر بمصالحها في حال ما تمت التغطية، لذا لتمرر أجندها المريبة، تجند الجيوش الإعلامية، وخاصة الإلكترونية منها، وتضخ "الرأس المال السياسي" في السوق الإعلامية.

**ثانياً:** السياسة التحريرية التي تتبناها الوسيلة الإعلامية، وهي غالباً ما تكون خاضعة لأجندات القوى السياسية، وأسواق المال السياسي، إلى جانب إملءات ومصالح الدول الداخلة في علاقات استراتيجية مع المناطق التي ينطلق منها البث الإعلامي.

في هذا الصدد تجدر الإشارة إلى انتقادات واسعة تجاه تغطية وسائل الإعلام لأحداث مختلفة، وهذه نماذج من انتقائية بعضاً منها، وهي بالطبع لا تشكل الاستثناء:

**(1) التغطيات الميدانية لقناة "الجزيرة" طيلة سنوات الحرب السورية، وفي ظل العلاقات الودية القطرية - التركية، داومت القناة القطرية على تغطية حية وموسّعة للأحداث، بما يصبُّ في مصلحة الدوحة وأنقرة. بالتحديد نقف عند فصول تضخيمها لقدرات "الجيش الوطني السوري" المدعوم من تركيا، وإغفالها للانتهاكات والجرائم والتغييرات الديمغرافية الناتجة عن سيطرة هذه القوى على المناطق الكردية السورية، وإطلاقها مصطلحات إعلامية تحاكي الرواية التركية، حيث يتلقي الجمهور لكلمات إعلامية بقفزات من حرير، فيتم تجميل بعض المفردات، كإطلاق مصطلح "العملية التركية" بدلاً من "الاحتلال التركي" الذي يُعدّ وفقاً للقانون الدولي إحتلال بكل ماتحمله الكلمة من معنى، وهذا ما يذكرنا بتلك الأوصاف التي كان يطلقها الإعلام الأمريكي على "سجن أبو غريب" سيئ الصيت، فكان يسمى بمراكز التأهيل أو الاحتجاز، بدلاً من مراكز الاعتقال.**

(2) محطة "العربية" السعودية هي الأخرى تحجب الرؤية عن المجازر التي يرتكبها "التحالف العربي" بقيادة السعودية بحق المدنيين اليمنيين، وفي الداخل أيضاً تنتشر على حملات الاعتقال، واحتجاز المعارضين للعائلة الحاكمة، فهذه الوسائل هي بالدرجة الأولى أدوات ناعمة بيد العائلة الحاكمة لحشد الرأي العام، وكسب تعاطفه، وتأليب ضد الخصوم، والأعداء.

(3) "وكالة الأناضول" التركية الممولة من حزب العدالة والتنمية الحاكم، تعتبر أداة دعائية أكثر من كونها وسيلة إعلامية تتصف بالموضوعية، فقبل أيام قليلة نشرت هذه الوكالة خبراً عن استهداف الطائرات الحربية التركية لمقاتلين كرد بين مدينتي عامودا والدرباسية السوريتين - الشريط الحدودي- وأخرج الحدث عن سياقه، فتعمت على أهم النتائج، وهي استهداف منطقة أهلة بالسكان، مما تسبب بفقدان الطفل السوري "محمد كلاح" لحياته عندما كان عائداً من مدرسته، وهذه الحوادث كثيراً ما تتكرر على الحدود السورية - التركية، ولكنها تظل خارجة عن أجندات وسائل الإعلام، باستثناء المحلية منها، وبعض المنصات الخليجية، والمصرية التي تستثمرها - حسب الرغبة- وفقاً لوتيرة علاقاتها الطيبة أو المتدهورة مع أنقرة، هذا عوضاً عن تضليلها الرأي العام الداخلي والخارجي، بالافتراءات والأكاذيب، وخاصة ما يتعلق بالحملات الأمنية التي يقودها رجال الشرطة والاستخبارات التركية لإعتقال المعارضين، والصحفيين، وخصوم الحزب الحاكم، فغالباً ما يتم وصم الضحايا بألقاب نمطية سلبية كـ"المشاغبين" أو "الإرهابيين" أو "الإنقلابيين".

ثالثاً: الشراكات الإعلامية التي يتم إبرامها على مستوى الدول، والمؤسسات الإعلامية، تحت يافطة التنسيق، والتدريب، والتطوير الإعلامي، لكن في حقيقة الأمر هي في الأصل اتفاق على القضايا الإعلامية التي يجب التركيز عليها، والإشارة إلى تلك التي يجب إهمالها وحجبها، فضلاً عن الإجماع على المصطلحات الإعلامية المشتركة، لتعمم لاحقاً على الدوائر الإعلامية، ويتم توظيفها بصورة مقولبة أثناء صياغة المواد الإخبارية.

رابعاً: غلبة الإثارة والعشوائية والشعبوية في الخطاب الإعلامي الموجه، على حساب الدقة في طرح الأسئلة الجوهرية، واقتناص الزوايا بعدسات إخبارية نوعية لا نمطية، وكشف الأسباب، وفضح المسؤولين عن المشكلة.

**خامساً:** تماهي وسائل الإعلام التقليدية مع القصص الانسانية التي تتحول إلى قضايا رأي عام على (السوشيال ميديا)، فتحاول بثتى السبل مواكبة المجريات كي لا تفقد متابعيها، وتحاول إرضاءهم، وتثبت للجمهور بأنها مع الحدث.

**سادساً:** عدم قدرة الصحفيين ووسائل الإعلام على تحقيق الموازنة بين جميع القصص الإنسانية، لضيق المساحة الزمنية، وخشيتهم من تشتيت الجمهور بقضايا عدة، لكن هنا -على الأقل- مطلوب من الوسيلة الإعلامية منح "المادة الإنسانية الهامشية" جزءاً منطقياً من الاهتمام، وإن لم تكن بمستوى الحدث الأبرز بالنسبة لهم، إنطلاقاً من حق الجمهور في الحصول على المعلومة.

**سابعاً:** ضعف المهنية والحرفية لدى العديد من العاملين في مجال الإعلام، أو الذين يديرونها، ممن لا يمتلكون رؤية واستراتيجية واضحة، ووقوعهم ضحايا لسيادة غريزة "القطيع"، أو بصريح العبارة انتشار "التقليد الأعمى"، وتقمص الكثير من المنصات الإعلامية هوية الصفحات الإخبارية الرائجة التي تستهوي عاطفة المتلقي، سيما في ظل التطور الإعلامي الاجتماعي، الذي ينافس الصحفي في أدواته التقليدية.

### الإعلام الاجتماعي بوابة لـ"غزو البلهاء"

تزداد الهواجس من تراجع الدور السامي للرسالة الإعلامية، مع تنامي الدور الهام الذي يلعبه الإعلام الاجتماعي، ومنصاته الإلكترونية، والتي تُوظف سلباً من قبل شريحة واسعة من "المواطنين الصحفيين" ووسائل الإعلام.

ما يعزز من حجم هذا الأمر، هو ضعف الأداء المهني لدى شريحة واسعة من العاملين في مجال الإعلام، فيسلك العديد منهم مسار "الصحافة الصفراء" الرخيصة التي تركز على الفضائح، والإثارة، وتهويل الأمور التافهة، وتهوين الأحداث الهامة. ولعل أصدق وصف عن هذه الحالة ما قاله المفكر الايطالي "ألبيرو إيكو" عندما حذر من آثار منصات الإعلام الإلكتروني، فقال: "إن أدوات مثل تويتر وفيسبوك تمنح حق الكلام لفيالق من السذج، ممن يتكلمون في البارات فقط بعد تناول كأس من النبيذ، من دون أن يتسببوا في أي ضرر للمجتمع، وكان يتم إسكاتهم فوراً، أما الآن فلهم الحق في الكلام مثلهم مثل من يحمل نوبل، إنه غزو البلهاء!.."

على هذا النحو، فإن الفضاء الإلكتروني الذي يقصف الرأي العام الافتراضي بصورة لحظية، أمسى ملعباً مفتوحاً للجميع، ومن الصعب السيطرة عليه، وتقنين محتواه، سيما مع عصر "الانفجار المعلوماتي" الذي باتت فيه المعلومات تخترق جميع العوائق الزمنية، والجغرافية، والقانونية، إذ بضغطة زر واحدة أصبح بإمكان أي شخص -حتى وإن كان إرهابياً- إيصال المحتوى إلى المتلقي، دون رقيب أو حسيب.

في هذا السياق، قد يحسم - نهائياً - هذا النوع الصاعد من الإعلام الجديد، رهان المنافسة مع وسائل الإعلام التقليدية، سيما مع اعتماده قوة التأثير الإعلامي القائم على "التأثير الكمي" من خلال تكرار تقديم المادة، وتنوع أشكال العرض، فيصبح الفرد عاجزاً ومنقاداً بصورة لا إرادية، لا يمتلك إمكانية تكوين الرأي المستقل حول أهم القضايا، وهذا ما يسمى في الإعلام بـ" قدرات التعبئة الدعائية" و"تجيش العقول"، ونحن بالكاد في طريقنا إلى "السايبورغ"، وهو الكائن الناتج عن دمج الإنسان مع الآلة.

### الرسالة الإعلامية رصاصة سحرية

من دون أدنى شك، فإن الإعلام مهنة سامية، حتى وإن أخطأ الهواة، واستغل المأجورون الساحة الفضائية المتاحة، كما أن الصحفي الجيد الذي عهدناه هو عين الجمهور على الحقيقة، لا تخطئ بوصلته، فلا يتاجر بالأحداث لكسب الشهرة، ولا يستغل العواطف، ويخترق القيم الراسخة، وينتقي بعض القصص، ويهمل أخرى، ولا يتصرف بجهل وسوء تدبر، فيصور الضحية في وضعية مؤلمة وصادمة لنفسية الجمهور، دون أدنى احترام لمشاعر أسرته، ولا ينقل المشاهد الآنية للجماهير بطريقة عشوائية، فيغرقهم بالأخبار الحصرية المبتورة التي تتسجم غالباً مع منطق "رأسمال الجبان".

مرة أخرى، الصحافة رسالة، والرسالة رصاصة سحرية أما أن تصيب الهدف بمهنية عالية، أو أن تخطأ فتمزقه، وتتحمل أوزار الكوارث الناجمة عن ذلك، وتسبب التشرذم، والتعصب بين الأفراد والجماعات.

الإعلام قبل كل شيء شهادة، والصحفي شاهد أمين عليها، بحيث لا يفرغ الأحداث من جوهرها الأصلي، ويبتورها من سياقاتها الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، وبالتالي يضل الجمهور، ويقولها في أنماط مؤدلجة مقبنة.

من هنا على الصحفي الجيد أن يعي كثيراً الفرق بين الالتزام بسياسات النشر في وسيلته، والخضوع التام لأجنداتها، ففي حين سيكون له في الجزئية الأولى رأياً، واستقلالية مقبولة في اتخاذ القرار، إلا أنه في الجزئية الثانية سيكون عبداً مطاعاً ومأجوراً، لا يملك أي سمة من سمات الإنسان الحر، فيدار كالحجر على رقعة الشطرنج.

### الانحياز التام للحقيقة.. والحيادية قاعدة متغيرة

الانحياز يكون مسموحاً به في عالم الإعلام، عندما يجد الصحفي أن ذلك يخدم المصلحة العامة، وأن الحيادية في الصحافة لا يمثل قانوناً منزلاً، بل قاعدة متغيرة حسب الظروف والأحداث، وهذه الأحداث هي تلك التي يكون عليها إجماعاً عاماً من جانب الجمهور، والوسيلة معاً.

لذا يجب التأكيد أننا لم نستند إلى واقعتي الطفلين "ريان"، و"محمد" في مساحات التغطية لنثبت فرضية تثبت أهمية تغطية قصة على حساب أخرى، ما نريد التنويه والتأكيد عليه هنا هو ضرورة العودة إلى جوهر المهنة، أي إلى مسؤوليات المؤسسات الإعلامية في تقديم تغطية إعلامية متوازنة منصفة، تلتزم بأخلاقيات الإعلام كمهنة تتعامل مع الجميع كأسنان المشط، لا تُستغل، وتخضع للحسابات السياسية الخبيثة، أو للمصالح المادية الدنيئة، فتميع الوقائع وفقاً لأهوائها.

في نهاية المطاف؛ تتجدد المآسي الانسانية، والقصاص المؤثرة، وبالطبع في ظرف الحالة غير السوية للمعالجات الإعلامية، سيستمر التعقيم على بعضها بذكاء أو عن ضعف مهنية، فلن يشملهم الضوء، فيما سيتم التهويل والمبالغة في حجم حكايات أخرى سيسطع أسماء نجومها في الفضاء الأخباري.

ما نتمناه اليوم وغداً، أن لا ننسى قريباً المهنية والاحترافية في العمل الصحفي، كما نعينا وفاة "ريان" و"محمد" و"آلان" وأبطال العديد من القصص الإنسانية المؤثرة، التي توقف الحديث عنها من جانب المتهافتين، بمجرد انتهاء تاريخ الحدث الرائج.



## مناطق النفوذ التركي في سوريا رقعة داعش المغرية للإقامة والعبور

### مركز الفرات للدراسات

تسعى تركيا دائماً إلى إبراز دورها في مكافحة الإرهاب، وعلى أنها ضحية له، وما قامت وتقوم به من عمليات عسكرية داخل الأراضي السورية، سواءً أكانت ضد تنظيم داعش سابقاً، أو ضد قوات سوريا الديمقراطية، التابعة للإدارة الذاتية في شمال وشرق سوريا، له علاقة بذلك الادعاء.

إلا أن ما يحصل على الأرض يعكس غير ذلك، فقد أثبتت الوقائع أن المناطق التي احتلتها تركيا باتت ملاذاً آمناً للتنظيمات الإرهابية، ومركزاً لتمويل أنشطتها، خاصة تنظيم الدولة الإسلامية، وهذا يبدو جلياً عندما تجد أن اثنين من أبرز قادة هذا التنظيم، يُقتلان في أراض لا تبعد عن حدود تركيا بضعة كيلومترات، وفي منطقة ينشط فيها النفوذ التركي، حيث قتل خليفة داعش "أبو بكر البغدادي" في أكتوبر 2019، في بلدة باريشا، التي تبعد بضعة كيلومترات فقط عن بلدة الريحانية التركية، كما قُتل خليفته "أبو إبراهيم القرشي" في فبراير 2022، في بلدة أطمة، والتي تبعد تقريباً نفس المسافة عن بلدة الريحانية.

إن اختيار عناصر التنظيم وقادته لهذه المواقع، للاختباء أو الإقامة أو العبور، ليس عبثياً، وإنما يرتبط بعدة أسباب، يمكن تناولها كما يلي:

#### - وجود ضامن مقرب

لا يبعدُ الموقعان اللذان أُستهدف فيهما زعيما التنظيم، البغدادي وسلفه القرشي، عن بعضهما سوى بضعة كيلومترات، وبتوقيت بين الاستهدافين قريب من العامين.

والضامن الرئيسي لهذا المكان من سوريا هي تركيا، فلديها ما يقارب من عشرة نقاط مراقبة تسيطر عليها المعارضة، أي أنها مصنفة كرقعة تابعة لتركيا في سوريا. والمواقع المستهدفة تقع على بُعد بضعة أمتار من نقطة تفتيش تسيطر عليها القوات التركية، وعلى بعد 1 كم عن حدودها، فيجدها التنظيم منطقة محمية من قبل ضامن مقرب وغير مقلق.

## - لا تعقيدات تعترض نشاطه

بالإضافة إلى النقاط التركية المنتشرة في مناطق المعارضة السورية، يجب أن لا ننسى أن تلك المناطق تقع تحت سيطرة هيئة تحرير الشام، وهي هيئة لها علاقات واتصالات وثيقة مع جهاز الاستخبارات التركي (MIT)، ورغم أن هيئة تحرير الشام أيضاً تروج لنفسها على أنها أكثر اعتدالاً من بقية التنظيمات، وعلى أنها خصمٌ لتنظيم الدولة، ورغم أنها قاتلت ضد التنظيم إلى جانب تركيا، لكن ما يثير الشكوك هو عدم كشفها لوجود زعيم التنظيم في مناطقها، رغم أن لها نظام مراقبة، ولها حملات على نشطاء المجتمع المدني المعارض لها.

هذا يعني بشكل أو بآخر، أنها كانت على علم بوجود زعماء التنظيم، وتتستر عليهم، وهذا ما يؤكد تعاوناً من نوع خاص مع هذا التنظيم، مما يسهّل من مرور عناصره إلى مناطق سيطرته والإقامة فيه دون أي تعقيدات تُذكر.

## - منطقة خالية من الكرد

إن التطهير العرقي الذي مارسه تركيا ضد الوجود الكردي في عفرين، القريبة من بلدة أطمه، جاء لصالح التنظيم الإرهابي داعش، وذلك لأن قوات سوريا الديمقراطية استطاعت أن تنهي وجوده المادي في مناطقها، وبالتالي وجود هذه القوات في أيّ من المناطق، يعني القضاء عليه، وبالتالي فإن التطهير الذي مارسه تركيا في مناطق المعارضة ضد الكرد، وإخراج قوات سوريا الديمقراطية منها، كان بمثابة طمأنة لعناصر التنظيم، وملاذاً آمناً خالياً من الكرد، لذلك أصبحت تلك المناطق مرتعاً لقادته وزعمائه.

## - عبور آمن

إن الدعم الذي الذي تقدّمه تركيا للتنظيمات الإرهابية، جعل أنظار هذه التنظيمات تتجه إليها، من ناحية أنها أصبحت مركزاً آمناً لإيوائهم، فالجماعات التي تنشط تحت مظلة طالبان وحلفاء داعش في أفغانستان، باتت تخطط للوصول إلى تركيا للانضمام إلى التنظيمات المحلية الموالية لحركتهم في تلك المناطق، حيث انضمت إلى حركة أوزبكستان الإسلامية، وأخرى إلى كابول.

كما يجب أن لا ننسى أن هناك الكثير من عناصر تنظيم داعش، من نساء وغيرها، هربوا من المخيمات الموجودة في سوريا إلى تركيا، واستقر كثيرٌ منهم في مناطق قريبة من معبر باب الهوى، والمناطق القريبة من الحدود التركية.

دعمت تركيا - لسنوات - المتطرفين في سوريا، ومكّنت الآلاف من عناصرهم من العبور عبر أراضيها إلى سوريا عام 2014، لذلك من الطبيعي أن يكون لديها اثنان من أبرز قادة داعش، بالقرب من معبرها الحدودي.

تشبه هذه الظروف - إلى حدٍّ ما - ظروف أسامة بن لادن، الذي عُثر عليه بالقرب من الأكاديمية العسكرية الباكستانية، فطالما دعمت باكستان طالبان، وكانت إحدى الطرق والممرات السريعة والأمنة لدخول وخروج المتطرفين، وليس مستبعداً أن يكون بعض مسؤولي باكستان استضافوا بن لادن، أو تجاهلوا وجوده عمداً، بعد فراره عام 2002، نتيجة التدخل الأمريكي، وهذا ما ينطبق حالياً على تركيا في إيوائها لعناصر التنظيم وقياداته، بتجاهلها مكان إقامتهم على حدودها، أو عبورهم عبر أراضيها.

إذاً، فتركيا بالنسبة إلى التنظيم الإرهابي، تعتبر موقعاً استراتيجياً، وملاًزماً آمناً، وهذا ما لفت إليه تقارير كثيرة حول المخاطر المرتبطة بمحاولة عناصر هذا التنظيم للعودة إلى أوطانهم عبر تركيا، مثل "ياسين لعشيري" وهو بلجيكي مغربي، والمطلوب من قبل السلطات البلجيكية، والمحكوم عليه غيابياً بالسجن لمدة 20 عاماً، لارتكابه جرائم إرهابية، بالإضافة إلى تجريده من الجنسية، حيث اعتقلته السلطات البلغارية أثناء محاولته دخول البلاد من تركيا عام 2021، المحكوم أيضاً عليه بالسجن عند الأخيرة، وهو لغز يبقى حتى الآن دون توضيح حول كيفية عبوره تلك المسافة من سوريا إلى تركيا، وصولاً إلى الأراضي البلغارية.

وهناك أيضاً "عصمت الله خالوزي"، الميسّر المالي المزعوم للتنظيم "داعش - خراسان"، حيث سلّم ما يقارب من 87000 دولار إلى المجموعة في أفغانستان، وقام بتهرب جاسوس لداعش من أفغانستان لتركيا.

كل ما سبق يؤكد عدم استعداد تركيا لكبح جماح الجماعات الإرهابية على حدودها وأراضيها، الأمر الذي يعزز فكرة دعمها للإرهاب والدفاع عنه، وتمكين عبور آمن لعناصره.

## الغموض يكتنف موقف الغرب والتحالف الدولي

لا يرغب الكثير من المسؤولين في الغرب أو حتى في التحالف الدولي، الإجابة على سؤال جوهرّي، وهو: ما سبب العثور على أكثر الرجال المطلوبين في العالم على الحدود التركية، وسبب تمكين تركيا للعديد من المتطرفين العيش في المناطق التي تسيطر عليها؟.

كما أن توقيت الغارة الأمريكية لقتل زعيم التنظيم "القرشي" يثير بعض التساؤلات، فالغارة الأمريكية التي قتلت البغدادي جاءت بعد أن منحت الولايات المتحدة الضوء الأخضر لتركيا، لتغزو أجزاءً من الأراضي في شمال وشرق سوريا، حيث هاجمت تركيا والمتطرفين الذين تدعمهم، قوات سوريا الديمقراطية المدعومة أمريكياً، خلال فترة حكم ترامب عام 2019، ولم تعترض الولايات المتحدة وقتها على الغزو التركي، والتطهير العرقي الذي مُرس بحق الكرد في أجزاء من سوريا، وذلك بعد غزو سابق لها لمدينة عفرين الكردية.

وإحدى التساؤلات تخصُّ أحداث الحسكة مؤخراً، حيث شهدت سجونها هجوماً كبيراً من عناصر التنظيم، وخلف الهجوم العديد من الضحايا "مدنيين وعسكريين"، والذي أعقبه مباشرة شن تركيا لغارات جوية واسعة على سوريا والعراق في مناطق خاضعة لسيطرة جوية من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، والتي استهدفت فيها مناطق مثل "سنجار"، التي يعيش فيها ضحايا داعش من الإيزيديين، بالإضافة إلى مهاجمة مسلّحي المعارضة الموالية لتركيا لمنطقة تل تمر في شمال شرق سوريا؛ والمداهمة الأمريكية لزعيم تنظيم داعش الجديد، جاءت بعد أيام فقط من بدء هذه الأحداث في الحسكة.

توقيت الهروب من السجن، والغارات الجوية التركية ضد قوات سوريا الديمقراطية، كلها أُلغأز - إذا صح التعبير - لا ترغب الولايات المتحدة في توضيحها، كما لم تحاول أن توضح دور تركيا الإشكالي في دعم المتطرفين في سوريا، وتوفير ملاذ آمن لهم في إدلب.

**في الختام..** يمكن القول إن هذا الملاذ، وهذا اللغز باستمراره يساعد داعش في الازدهار، طالما القوات المحلية التي تقاؤها تتعرض لهجمات مستمرة منها ومن تركيا ومليشياتها. والتي لطالما اتهمت بإيواء عناصر التنظيم، فاكتشاف موقع القرشي وقبله البغدادي على الحدود التركية، يضع تركيا في موقف صعب، خاصة في تفاوضها بشأن منطقة عازلة، تسيطر عليها بهدف استئصال

جذور الجماعات الجهادية، إلا أن مقتل زعماء تنظيم داعش في مناطق نفوذها، وبالقرب من حدودها يؤكد عدة حقائق لا يمكن التغاضي عنها، وهي:

- حدود غير آمنة من جهة تركيا.
- تمكين آلاف المقاتلين الأجانب من الانضمام للجماعات الجهادية.
- لعب دور بارز في إعادة تنشيط التنظيم.
- تقديم إدلب كنوع من الملاذ الآمن للجهاديين.
- تأهيل المنطقة ومحيطها بنازحين بدل السكان الأصليين، جعل من المنطقة حاضنة مثالية لاختباء عناصر التنظيم.
- أهمية منطقة خفض التصعيد في إدلب كموقع استراتيجي وملاذ آمن لنشاط الجماعات الإرهابية.

## الارتدادات الاقتصادية للحرب الروسية الأوكرانية

### تداخلات وخسائر متبادلة

د. شوقي محمد

بدأت روسيا الاتحادية فجر الخميس، الرابع والعشرين من شباط /فبراير/ الفائت، عملية عسكرية في أوكرانيا، على خلفية مساعي الدول الغربية والولايات المتحدة لضم أوكرانيا لحلف الناتو، وهذا ما سيشكل تهديداً وجودياً ومباشراً لروسيا، بحسب ما صرّح به المسؤولون الروس.

سارعت الدول الغربية، وفي مقدمتهم الولايات المتحدة، إلى اتخاذ خطوات سريعة لردع روسيا، عما تنوي القيام به، وبدأوا بفرض عقوبات اقتصادية مشددة على الإدارة الروسية، بهدف شل قدراتها على تمويل الحرب، وإضعاف اقتصادها، وتحميلها وبال قيامها بشن هجومها العسكري على دولة أوروبية ديمقراطية، كما أشار إلى ذلك المسؤولون الأوروبيون. وأياً كانت النتائج التي ستؤول إليها هذه الحرب فإن انعكاساتها الاقتصادية ستقود - لا محال - إلى خلق توازنات جديدة في أوروبا، تراعي المخاوف الروسية وهواجسها المستمرة من تمدد حلف الناتو باتجاه أراضيها.

في هذه الورقة، سنسلط الضوء على الارتدادات الاقتصادية لهذه الحرب على مختلف الأطراف، وقرءة المؤشرات الفعلية التي يمكن أن تؤول إليها نتيجة استمرار العمليات العسكرية، مع تبيان نقاط القوة والضعف لدى كل طرف، وانعكاس استخدام تلك النقاط ضمن حيز المواجهة الحالية بين روسيا والدول الغربية على الأرض الأوكرانية.

### عقوبات بالجملة على الاقتصاد الروسي

لم يشهد التاريخ الحديث، أن فرضت الدول الغربية مجتمعة عقوبات اقتصادية بهذه الحدية والسرعة على دولة هي عضو في نادي دول العشرين، فقد فرضت الولايات المتحدة وبريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي مجموعة كبيرة من العقوبات الاقتصادية على روسيا، بهدف شل قدراتها الاقتصادية، وبالنتيجة العسكرية، لثنيها عن المضي في حربيها ضد أوكرانيا، وجاء على رأس

قائمة هذه العقوبات، توقيف العمل في مشروع نورد ستريم 2، الخاص بتمديد خط أنابيب الغاز عبر بحر البلطيق إلى ألمانيا وعدد من الدول الأوروبية الأخرى، إضافة إلى تجميد أصول البنك المركزي الروسي في الخارج، وتعليق عمل سبعة بنوك روسية داخل نظام سويفت العالمي، الذي يسمح بتحويل الأموال وعائدات التجارة بشكل انسيابي بين المصارف والبنوك المتوزعة في دول العالم، الأمر الذي قد يتسبب في منع روسيا من الحصول على عائداتها المالية من بيع النفط والغاز إلى الدول الأخرى.

واستهدفت هذه العقوبات، معظم مناحي الاجتماعية والثقافية في روسيا، ولكن بشكل رئيسي استهدفت الاقتصاد الروسي، وقطاعاته الرئيسية، وشملت هذه العقوبات تجميد الأصول الروسية في الخارج، شملت احتياطات البنك المركزي الروسي، ومنع تصدير احتياجات الإنتاج في قطاع الطاقة إلى روسيا، واستهداف قطاع الأسواق المالية الروسية، وكبريات الشركات والبنوك، وتعليق تصدير عدد من السلع والمواد المختلفة إلى روسيا.

وتستهدف هذه العقوبات الاقتصادية - بالأساس - الدفع بالاقتصاد الروسي نحو الركود، وإحداث حالة من الفوضى المالية والمصرفية داخله. لتجد موسكو نفسها مضطرة - حين ذلك - إلى استخدام مبالغ هائلة من احتياطات البنك المركزي، البالغة 630 مليار دولار، وبعد فرض هذه العقوبات باتت حتى قدرة إدارة البنك المركزي محدودة في الوصول إلى كامل هذا المبلغ، بهدف إنقاذ القطاع المصرفي، وحماية الروبل الروسي من الانهيار.

### حرب الطاقة وتأثيراتها

ما أن بدأ التعافي داخل الاقتصادات العالمية من مسألة انتشار وباء كورونا، حتى سارعت أسعار الطاقة بالارتفاع، نتيجة تزايد الطلب، وضعف إمكانات وصول الشحنات لمواقع الاستهلاك بالسرعة المطلوبة، وزاد من وتيرة هذا الارتفاع، دخول القارة الأوروبية في فصل شتاء قارس، رفع من حجم احتياجات أسواقها لموارد الطاقة، لاستخدامات التدفئة، إلى جانب الاستخدامات الأخرى الصناعية والزراعية والخدمية. وتشير التقديرات إلى أن نصف معدل التضخم في منطقة اليورو، الذي وصل إلى مستوى 4.2% مع نهاية العام الفائت، سببه كان ارتفاع تكاليف الطاقة قبل بدء الحرب.

وإذا كانت الولايات المتحدة تتربع على رأس قائمة منتجي الغاز الطبيعي في العالم، إلا أن بُعدها الجغرافي يجعل من إمكانية إمدادها لحلفائها الأوروبيين بالغاز عملية صعبة ومكلفة، إذا ما قورنت بتكلفة وآلية الإمدادات الروسية للقارة الأوروبية.

تتمتع روسيا كثاني منتج للغاز الطبيعي في العالم، بأنها تمتلك احتياطات ضخمة تتجاوز 47.2 تريليون متر مكعب من الغاز، تجعل منها أعلى دولة في العالم من حيث احتياطات الغاز الطبيعي لديها، تنتج منها 638 مليار متر مكعب سنوياً. تزود روسيا دول الاتحاد الأوروبي بنحو 26% من حاجتها في قطاع الطاقة، ونحو 38% من حاجاتها في قطاع الغاز<sup>50</sup>، وهذا ما يسجل لروسيا نقطة قوة واضحة في حال ما فكرت باستخدام سلاح الغاز ضد الدول الأوروبية، في أسوأ سيناريو يمكن أن تقوم به روسيا.

تجاوزت أسعار النفط حاجز المئة دولار، وشهدت أسعار الغاز الطبيعي ارتفاعاً، وصل إلى حدود 62% خلال اليوم الأول من الحرب الروسية على أوكرانيا، وفي حال ما فكرت روسيا بقطع امدادات الطاقة عن الدول الأوروبية، التي تعتمد على روسيا في تأمين 27% من احتياجاتها النفطية، وأكثر من 40% من احتياجاتها من الغاز الطبيعي، و46% من الفحم الحجري<sup>51</sup>، فإن ذلك سيصيب الاقتصادات الأوروبية بركود حقيقي، وتراجع في نمو الناتج المحلي، قد يصل إلى 4% حتى نهاية العام الحالي، وتخلق حالة من الفوضى والاختلالات الاقتصادية في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ويرفع من معدلات التضخم المرتفعة أصلاً، بعد انحسار انتشار وباء كورونا، ويوسع من دائرة التوقعات النفسية لارتفاع الأسعار لدى الوحدات الاقتصادية الرئيسية، الأمر الذي قد يتسبب باتخاذ البنوك المركزية إجراءات أكثر تشدداً حيال السياسة النقدية.

لعل المحفزات التي تقدمها الولايات المتحدة لحلفائها الأوروبيين، للتحويل عن مصادر الطاقة الروسية إلى مصدرين آخرين، تحتاج إلى المزيد من الوقت والإجراءات الاقتصادية والتجارية والقانونية، وإن تعطيل الإمدادات الروسية من الطاقة إلى أوروبا، سيكون كفيلاً بخلق حالة من

<sup>50</sup> عبد الحافظ الصاوي - تعرف على سوق الغاز في العالم من الإنتاج إلى الاستهلاك - الجزيرة نت - 2022/2/21

51 European Commission (2022), "EuroStat: From Where Do We Import Energy?"

الاختلالات الاقتصادية المتفاقمة داخل دول الاتحاد الأوروبي، ستكون لها نتائج كارثية على اقتصاداتها، من ارتفاع في معدلات التضخم، وفقدان الوقود، وارتفاع أسعاره، وتراجع القدرة الإنتاجية للمعامل والمصانع، وتضرر القطاع الزراعي، وبالتالي تهديد الأمن الغذائي الأوروبي، والمزيد من معدلات البطالة، وبالنتيجة تراجع معدلات النمو الاقتصادي؛ كل ذلك سيخلق حالة من عدم الاستقرار الاقتصادي، التي يمكن أن تقود إلى احتجاجات اجتماعية، لأنها ستؤثر على الوضع المعيشي للأفراد والعائلات الأوروبية، التي بدورها ستلحق بالحكومات القائمة آثاراً سلبية، في سياق استمراريتها في الحكم، أو في سياق إعادة انتخابها لاحقاً.

لذلك، كان ملاحظاً تماماً أن العقوبات الاقتصادية طالت قدرة البنك المركزي الروسي على تحريك أرصدته الدولية، والعديد من البنوك الروسية الأخرى، الأقل مشاركة في معاملات الطاقة بين روسيا والدول الأوروبية، حتى لا تنعكس تلك العقوبات مباشرة على واردات الطاقة الأوروبية، إضافة إلى أن دولة كألمانيا، التي تعتبر القوة الاقتصادية الأولى في الاتحاد الأوروبي، تعتمد على روسيا في تأمين ثلثي احتياجاتها من الغاز الطبيعي، وهي لذلك أمنت سيولة مالية كافية لتسديد فواتير الطاقة الروسية، بعد استبعاد روسيا من نظام سويفت العالمي.

### آثار انقطاع عائدات الطاقة عن الموازنة الروسية

في السياق ذاته، وإذا ما ارتأت الدول الأوروبية الاستغناء عن إمدادات روسيا الطاقية إلى بلدانهم، والتحول إلى مصدرين آخرين، كقطر، والجزائر، والولايات المتحدة الأمريكية، وتخلي اليابان عن جزء من وارداتها الطاقية لصالح الدول الأوروبية (وهو السيناريو الأمريكي المقترح لرفع الهيمنة الروسية عن الدول الأوروبية في مجال الطاقة) على الرغم من صعوبة الاستغناء بشكل فوري، وعلى المدى القصير عن واردات الطاقة الروسية، ولكن إن حدث مثل هذا الأمر، فلا شك أنه سيصيب الاقتصاد الروسي بكارثة حقيقية، إذ تعتمد روسيا على عائدات الطاقة، لتمويل أكثر من 50% من موازنتها العامة، ولتأمين احتياجاتها من القطع الأجنبي، لتمويل مستورداتها من الخارج، وذلك من خلال تصدير النفط، كثاني دولة في العالم بعد السعودية (8.4 مليون

برميل يومياً وسطى عام 2019)، وتصدير الغاز كأول دولة في العالم (260 مليار متر مكعب عام 2019)، وكتاليت مصدر للفحم الحجري في العالم بعد أستراليا واندونيسيا<sup>52</sup>

إن انقطاع هذا الكم الهائل من العائدات المالية بالقطع الأجنبي عن الاقتصاد الروسي، سيدفع به إلى المزيد من المديونية العامة، ويصيب موازنته بعجز بنيوي، يصعب تعويضه من أية مصادر أخرى، الأمر الذي سيتسبب في تراجع قيمة الروبل، وفقدانه للمزيد من قيمته المتهاكلة أصلاً، مما سيخلق محفزات إضافية للتضخم، ويدفع باتجاه تآكل الدخل للأفراد والمنظمات والحكومة معاً، ويُدخل الاقتصاد في حالة ركود اقتصادي حقيقي، تتراجع معه معدلات النمو الاقتصادي، وستكون له نتائج سلبية كبيرة على الحياة الاقتصادية والاجتماعية في البلاد.

إذا ما أضفنا إلى هذا السيناريو، تداعيات العقوبات التي فرضتها الولايات المتحدة والدول الغربية الأخرى على الاقتصاد الروسي، والتي استهدفت بالدرجة الأولى تعطيل حالة التبادل التجاري مع روسيا، وشل حركة بنوكها وأسواقها المالية، فإن ذلك سيكون كفيلاً بتدمير الاقتصاد الروسي، وإدخاله في حالة الركود الاقتصادي، مع كل تداعياتها الاقتصادية والاجتماعية.

وتبقى موسكو في هذه الحالة أمام سيناريوين، أحدهما مر، فالإبقاء على تزويد الدول الأوروبية بالطاقة، في ظل استمرار عقوبات الأخيرة المشددة على روسيا لفترة طويلة، لن يكون أمراً مقبولاً بالنسبة للقيادة الروسية، وقد تستخدم عملية التهديد بقطع تلك الإمدادات، كوسيلة تجبر دول الاتحاد الأوروبي إلى التراجع، ولو عن جزء من تلك العقوبات.

أما إذا فكرت موسكو بقطع تلك الإمدادات بشكل نهائي، كخيار ثاني، فالأمر سينعكس بشكل تدميري على الاقتصاد الروسي أولاً، وكذلك على اقتصاد دول الاتحاد الأوروبي ثانياً، بسبب الاعتماد التجاري المتبادل بين الطرفين وحاجة كل منهما للآخر؛ فمن جهة يحتاج الاتحاد الأوروبي إلى الطاقة الروسية للتدفئة، ولتشغيل اقتصاداتها، ومن جهة ثانية تحتاج روسيا إلى المنتجات والمواد التقنية والتكنولوجية المتطورة من أوروبا، والعديد من مكونات الإنتاج الصناعي والسلعي لديها.

52 British Petroleum (2022), "Statistical Review of World Energy 2021, 70th Edition."

## سيناريو قطع روسيا لإمدادات الطاقة

لا يشكل الاقتصاد الروسي أكثر من 2% من حجم الاقتصاد العالمي، مقابل نحو 45% التي يمثلها الاقتصادين الأمريكي ودول الاتحاد الأوروبي مجتمعة، وعلى الرغم من ذلك، فقد تؤدي أية عقوبات اقتصادية صارخة بحق موسكو، إلى خلق فوضى مصرفية عالمية، وانكماش في الاقتصادات الأوروبية بالدرجة الأولى، يضاف إلى ذلك خلق حالة من الهلع داخل أسواق الطاقة العالمية، فيما إذا تصرفت موسكو وفق رد فعل سلبي، وقامت بقطع إمدادات الطاقة عن الدول الأوروبية.

إن مثل هذا السيناريو إذا ما حصل، فإنه كفيل بإشغال أسواق الطاقة في أوروبا خصوصاً، وفي العالم عموماً، ستكون نتيجته ارتفاعات غير مسبوقة في أسعار موارد الطاقة، وخاصة النفط والغاز، الأمر الذي سينعكس ارتفاعاً في مستويات أسعار مختلف السلع والمواد، وخاصة الغذائية منها، إضافة إلى ارتفاع أسعار الخدمات، وخاصة في قطاع النقل والمواصلات، وتكلفة التدفئة في القطاع المنزلي.

يعاني الاقتصاد العالمي، ومنذ بداية النصف الأول من العام 2021، من ارتفاع معدلات التضخم، بعد تداعيات أزمة كورونا الاقتصادية، الأمر الذي كان يهدد بدخول معظم الاقتصادات العالمية إلى الوضع الانكماش، بعد توجه معظم المصارف المركزية، وخاصة الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي، والمركزي الأوروبي، إلى اتخاذ تدابير تشددية في السياسات المالية والنقدية، خلال الفترة الحالية، حيث كان من المقرر أن يرفع البنك الأمريكي معدل الفائدة بمقدار 25% نقطة مئوية، بعد ارتفاع معدل التضخم إلى مستويات قياسية، لم تشهدها الولايات المتحدة منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

وبالاستناد إلى ذلك، فإن أية خطوات تصعيدية من جانب الدول الغربية، من خلال فرض المزيد من العقوبات الاقتصادية على روسيا، وخاصة إذا ما وصلت إلى قطاع الطاقة، فإن من شأنها أن تدفع بمعدلات التضخم الاقتصادي العالمي نحو مستويات قياسية جديدة، ستصبح الدول الغربية - على أثرها - مجبرة على تطبيق السياسات الاقتصادية الانكماشية، وبالتالي تراجع في

مستويات الاستثمار، والتوظيف، وحجم العرض الكلي، فضلاً عن ارتفاع تكاليف الإنتاج، وبالتالي أسعار السلع والمواد الاستهلاكية.

### الحرب الروسية الأوكرانية تهدد الأمن الغذائي الأوروبي

تشكل كل من روسيا وأوكرانيا معاً، سلة غذائية عالمية حقيقية، وخاصة في مجال تصدير القمح، حيث تحتل روسيا المرتبة الأولى عالمياً، بكميات وصلت إلى 32 مليون طن تقريباً عام 2019، في حين جاءت أوكرانيا في المرتبة الخامسة عالمياً، بكميات وصلت إلى نحو 14 مليون طن في العام نفسه. وبلغت مجموع صادرات البلدين من الحبوب، بكافة أنواعها، خلال العام المذكور حوالي 82 مليون طن<sup>53</sup>. يضاف إلى ذلك، بأن روسيا تصدر العديد من المعادن الخام، كالألومنيوم، والنيكل، وسواهم.

إن استمرار العمليات القتالية، وتشديد إجراءات العقوبات، التي تُفرض تبعاً على روسيا، سيؤدي - ولا شك - إلى نقص في إمدادات القمح والذرة، والعديد من أنواع الحبوب الأخرى، إلى الأسواق العالمية عموماً، والأوروبية خصوصاً، مما سيهدد الأمن الغذائي في أوروبا، نتيجة ارتفاع أسعار المواد الغذائية، الأمر الذي سيصيب القدرات الشرائية للأفراد والعائلات، وحتى منظمات الأعمال الإنتاجية، التي تعتمد على الحبوب كمادة أولية رئيسية، كلها ستتعرض قدراتها للانخفاض، ويضع على كاهلها مزيداً من الأعباء المالية، سواءً في جهة الاستهلاك بالنسبة للمستهلكين النهائيين، أو في جهة تكلفة الإنتاج بالنسبة للمنتجين.

وحيث تُعدُّ أوكرانيا "سلة الخبز الأوروبية"، فإن توقف الإمدادات منها إلى دول الاتحاد الأوروبي، سيرفع من أسعار العديد من السلع الغذائية الأساسية في أسواقها، ويدفع باتجاه زيادة الاعتماد على أستراليا، لتعويض النقص الذي سيحصل، ولكن ذلك يعتريه الكثير من المشكلات على صعيد سلاسل التوريد، وكميات الشحنات، وارتفاع التكاليف؛ هذه المشكلات القائمة بالأساس منذ بداية عام 2021، والتي تسببت بنقص العرض، وبالتالي أحدثت ارتفاعات مستمرة في الاقتصاد،

<sup>53</sup> Food and Agriculture Organization (2022), "FAOSTAT Database."

وتسببت في رفع معدل التضخم داخل الاقتصادات العالمية، ومنها اقتصادات دول الاتحاد الأوروبي.

### البنوك الروسية ونظام سويفت العالمي

الآن، إذا ما تم استبعاد البنوك الروسية من نظام سويفت المالي، الذي يضمّ قرابة 300 مصرف روسي، ويستخدمه 11 ألف بنك في جميع أنحاء العالم، من أجل تحويل الأموال بسرعة وأمان، فإن ذلك كفيل بفلتان الأسعار على صعيد الاقتصاد العالمي، سيكون له آثار تضخمية عالية، قد تحدث استقطاباً اقتصادياً دولياً، من طرف يضم روسيا وشركائها من خارج المنظومة الغربية، ومن الطرف الآخر الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيون، الأمر الذي قد يحدث اختلالات بنيوية في هيكلية التجارة الدولية.

لذلك، لم يتم حتى الآن سوى تعليق عمل سبعة بنوك روسية داخل نظام سويفت، من دون قرار استبعاد أي منها، ولم تضم تلك البنوك كبرى البنوك الروسية، كغاز بروم بنك المسؤول عن التسويات المالية لمصفقات تجارة الطاقة.

ما قد يستخدمه الأوروبيون والأمريكيون ضد قطاع الطاقة الروسي، هو فرض عقوبات بعدم السماح بإمداد روسيا بالمستلزمات، والتقنيات، والأدوات الحديثة واللازمة للتعمير أو الصيانة المستمرة أو قطع التبديل، وهذا سيؤثر بلا شك على مستوى الأداء، وإنتاجية العمل في هذا القطاع الحيوي والهام لكلا الطرفين.

ما يعول عليه الغرب بشكل عام، هو أن حجم الاقتصاد الروسي لا يمثل نسبة عالية من الاقتصاد العالمي، والذي لا يصل إلى 2% فقط منه، وبالتالي يبررون عقوباتهم بأن ارتداداتها على الاقتصاد العالمي سوف تكون بسيطة وأنية، يمكن إيجاد بدائل لتغطية النقص في المجالات التي ستصبح فارغة بغياب القطاعات الاقتصادية الروسية عنها. ولكن هذا الكلام لا ينطبق أبداً على الاقتصاد الأوروبي، الذي يعتمد بشكل كبير على موارد الطاقة الروسية، والتي تشكل شريان أي اقتصاد كان، إضافة إلى أن آثار تلك العقوبات ستكون مهلكة للاقتصاد الروسي أولاً، كما أشرنا.

## آثار التداخل الاقتصادي الروسي والأوروبي

يمكن القول، بأنه، وبسبب التداخل الاقتصادي على الصعيد العالمي، ومستويات تقنيات الاتصالات العالية العالمية، وسيطرة الاحتكارات المالية على الاقتصاد العالمي، بتنا نشعر بحجم التكامل الاقتصادي الكبير بين دول العالم قاطبة، وإنّ تعرّض أية دولة لعقوبات اقتصادية، لن تكون ارتداداتها ستقتصر على تلك الدولة فقط، بل ستعكس على العديد من اقتصادات العالم بشكل سلبي.

في حالة الاقتصاد الروسي، الذي يتمتع بمزايا نسبية كثيرة، منها توافر العديد من الموارد الاقتصادية الرئيسية، وقدراته الإنتاجية العالية في مجال النفط، والغاز، والفحم الحجري، والحبوب، وخاصة القمح، والكثير من المعادن الرئيسية، كالنيكل، والبلاديوم، والألمنيوم، والبلاتين، والحديد الصلب، والنحاس، التي تستخدم في العديد من الصناعات الأساسية في الاقتصادات المتقدمة، وضخامة المساحات الزراعية، وإنتاج المواد الرئيسية، المستخدمة في عملية صناعة الأسمدة في العالم، لذلك فإنّ الوضع سيكون مختلفاً من حيث ارتدادات هذه العقوبات على الأطراف التجارية المتعاملة مع روسيا، وحتى على الصعيد الاقتصادي العالمي، وقد تبلغ هذه الآثار من القسوة ما يطيح بحكومات بعض الدول الغربية، بسبب الحالة الديمقراطية التي تعيشها هذه البلدان، على عكس دولة كروسيا.

## خسائر اقتصادية بالجملة نتيجة الحرب

العمليات العسكرية نتيجة الحرب الروسية على أوكرانيا، أحدثت حرباً أخرى على الصعيد الاقتصادي بين الدول الغربية وروسيا، والتي ستكون آثارها ليست بأقل كارثية من آثار العمليات العسكرية ذاتها، لأنها ستطال دولاً غير مشتركة في الحرب، ودولاً أخرى بعيدة، وأخرى فقيرة، ضمن المنظومة الاقتصادية العالمية.

لن يخرج أحد من هذه الحرب رابحاً، وخاصة على الصعيد الاقتصادي، فالعقوبات الاقتصادية على دولة كروسيا، التي لها تداخلاتها الاقتصادية مع معظم دول العالم، لن تقتصر آثارها على إلحاق الأذى بالاقتصاد الروسي، بمعزل عن اقتصادات الدول الغربية، لأنّ التحدي الأكبر هو تأمين موارد الطاقة داخل اقتصادات الدول الأوروبية، خاصة إذا ما علمنا أن سرعة تأمين بدائل

للموارد الروسية، وخاصة على صعيد الطاقة، فيها الكثير من الصعوبات والمشكلات المتعددة، لأن قطر المرشحة لسد النقص في إمدادات الغاز إلى أوروبا - إذا ما استغنت الأخيرة عن الغاز الروسي - واصله إلى حد التشغيل الأعظمي لطاقتها الإنتاجية في مجال الغاز، ومرتبطة بعقود والتزامات مع العديد من دول العالم، قد لا تكون قادرة على تعويض كامل النقص، مع الأخذ بالحسبان ارتفاع التكاليف المرافقة لعملية التحول تجاه قطر، أو أية دول أخرى. كذلك الأمر بالنسبة للمملكة العربية السعودية، والدور الذي يمكن أن تقوم به في سوق النفط العالمي.

إن تشديد العقوبات على روسيا، سيضر بشكل كبير بالاقتصاد الألماني بالدرجة الأولى، كأول اقتصاد ضمن منطقة اليورو، وبسبب حجم التعاملات الكبيرة مع روسيا، وخاصة في مجال واردات الطاقة، مثل هذا الأمر قد ينعكس بشكل مباشر على الاقتصاد الصيني، الذي يتميز بعلاقات وصفقات تجارية كبيرة مع ألمانيا، على صعيد الاستيراد والتصدير، وإنّ تضرر هذه العمليات سيكون له آثاراً وخيمة على الاقتصادات الأوروبية، لما يشكله اقتصاد الصين من أهمية عالية داخل الاقتصاد العالمي، وحجم اقتصادها الكبير.

### هل من بدائل للأنظمة المالية القائمة في العالم

بات الكثير من المستثمرين حول العالم يبحثون عن ملاذات آمنة لأموالهم، خوفاً من تمدد الصراع العسكري إلى مواجهات بين أطراف أخرى، وخاصة روسيا ودول حلف الناتو، والتي إن حدثت ستكون مرشحة لاندلاع حرب عالمية ثالثة، لذلك فقد ازداد مستوى الطلب على الذهب، كأكثر الملاذات الآمنة، والذي شهدت أسعاره ارتفاعات متلاحقة خلال الأيام القليلة الماضية، كما ارتفعت قيمة الدولار، والجنيه الإسترليني، واليورو، في بورصات العملات الدولية، مقابل تراجع كبير في قيمة الروبل الروسي.

ما يمكن قوله أخيراً إن تأثيرات الحرب القائمة الآن، ستكلف الاقتصاد العالمي فاتورة عالية، سواءً على صعيد تكاليفها العسكرية المباشرة، أو على صعيد ارتداداتها الاقتصادية، التي لن تقتصر على طرفي الصراع، بل ستمتد إلى مختلف دول العالم. لأن هذه الحرب كشفت مباشرة على أننا أمام أدوات مالية مؤسسية، لكنها ميسّسة، تتحكم فيها الولايات المتحدة الأمريكية، ما يدفع دولة

كالصين إلى استكشاف أدوات بديلة، قد تمثل منافساً حقيقياً وقوياً لأدوات التنظيم المالي للدول الغربية، التي تمثل أحد عناصر القوة لديه في الاقتصاد العالمي".<sup>54</sup>

---

<sup>54</sup> تشارلوت رولينج - أستاذة الاقتصاد الدولي في جامعة ليدز - جريدة الاقتصادية - الأزمة الروسية الأوكرانية تترك المشهد الاقتصادي العالمي 2022/2/6.

## أوكرانيا.. الساحة المثالية للاختبار وإعادة ترتيب الحسابات

مركز الفرات للدراسات

منذ حلّ الاتحاد السوفيتي رسمياً عام 1991، أنشأت روسيا، وبيلاروسيا، وأوكرانيا، ودول أخرى، رابطة الدول المستقلة، للتعاون في مجال التجارة، والتمويل، والأمن. لكن لاحقاً أصبحت هذه الدول عالقة في مواجهة خطيرة، فأصبحت بيلاروسيا تعتمد على روسيا للحفاظ على نفوذها واستمرارها، أما أوكرانيا فتأرجحت بين نفوذ روسيا والغرب، الأمر الذي أدى الى تفاقم الأوضاع فيها، بين موالٍ لروسيا وموالٍ للغرب، ثم تطوّرت إلى احتجاجات داخلية، أدت في النهاية إلى انهيار الحكومة الموالية لموسكو عام 2014.

إن سيطرة أوكرانيا على الجناح الغربي لروسيا، وميلها التدريجي نحو الغرب الأوروبي والأمريكي، واقتربها من الانضمام لحلف شمال الأطلسي. كل تلك التطورات، زادت من المخاوف الروسية. فمنذ انهيار الاتحاد السوفيتي، انضمت 14 دولة في غرب روسيا إلى حلف الناتو، أربعة منها مجاورة لها. كانت أوكرانيا من ضمن الدول التي تقدّمت بطلب الانضمام للحلف، في حين أن روسيا طالبت بمنعها من الانضمام للحلف، بالإضافة إلى توقف الناتو من التوسع شرقاً.

إن نية الناتو في التوسع شرقاً، أدت إلى تعبئة روسية على الحدود مع شرق أوكرانيا، والتهديد بهجوم وشيك، استخدمته روسيا كنوعٍ من الضغط في المنطقة، وكأداة تفاوضية لردع الناتو، إلا أنه تطور إلى اتخاذ الرئيس الروسي "بوتين" قراراً بالقيام بعملية عسكرية داخل الأراضي الأوكرانية، لأن الغرب بحسب قوله "لم يترك لنا سوى صفر خيارات، ولم يترك لنا سوى خيار الدفاع عن روسيا، وشعبها"، ليتبين فيما بعد أنه اجتياح كامل، لا يخرج من إطار المغامرة، وربما النهاية المحبطة.

فلماذا يهاجم بوتين دولة مجاورة الآن، وما هي دوافع هذا الهجوم، ولماذا يخاطر بقواته، ويغامر بعقوبات وأزمة اقتصادية، ستكون لها تداعياتها وتبعاتها، ليس على روسيا فقط، وإنما ستمتد نحو أطراف أخرى، بعضها سيستغلها فيستفيد منها، وبعضها الآخر سيتضرر منها.

## دوافع الهجوم

تطرح هذه الأزمة عدة تساؤلات حول أسباب الهجوم والمخاطرة، حيث يبدو أن بوتين كان مستعداً للدخول في هذه اللعبة المعقدة، ودوافع هجومه قوية ومناسبة بنظره، مثل:

### التوقيت المناسب

عند الحديث عن حرب بوتين، نتحدث -هنا- عن أنظمة تعتمد على القوة، لترسيخ نفوذها وتوسيع نطاقها، وتعزيز وضعها الداخلي، كما في روسيا، أو الصين، أو فنزويلا، أو إيران، وتبدو كعقيدة يلجأ إليها الحكام المحاصرون، طلباً للدعم، ويدافعون عن بعضهم البعض حفاظاً على مواقعهم؛ فالتعامل هنا مع أشخاص لا يهتمون بالمعاهدات والمواثيق، بل بشيء واحد فقط هو التعامل بالقوة، فالحرب هنا اختيارية، وإشارة إلى أن بوتين يرى أن زمن الدبلوماسية مع الولايات المتحدة قد ولى، وأصبحت مع حلفائها الغربيين أضعف من أن تتحمل عواقب مؤلمة، مثل المواجهة، أو الصدام المباشر.

ويعتقد بوتين أن الوقت قد حان لتحقيق نوع من التوازن مع القوة الغربية، وإعادة روسيا لعظمتها الإمبريالية الماضية، كما كانت في الاتحاد السوفيتي، وأن يبقى هو الراعي الرئيسي لها.

هجوم بوتين هنا يرتبط بتقييمه للعقوبات المفروضة على بلاده منذ عام 2014، بعد ضمّه لشبه جزيرة القرم، واستيلائه جزئياً على منطقة دونباس الأوكرانية، فهو رأى أن العقوبات لم تؤثر كثيراً على الاقتصاد الروسي، وأن بلاده شددت قبضتها العسكرية على أوكرانيا منذ ذلك الوقت، ومع استكمال الحصار من عدة جهات، واعترافه بالانفصاليين، جاءت الخطوة الروسية التالية، وهي الهجوم المباغت، الذي فاجأ الكثيرين، بعد تكهنات متضاربة حول نوايا الرئيس الروسي في حصار أوكرانيا، وحشد قواته على الحدود. لكن يبدو أن بوتين رأى أنها اللحظة المناسبة لإمكانية تحمل عواقب حرب شاملة على أوكرانيا، وحقيقة أن الآخرين سيضطرون في النهاية إلى العودة إليه، لحاجتهم إلى النفط والغاز.

## التعويل على مفارقة الاستقرار (السلام النووي) لمنع التصادم

وهي مفارقة تتعلق بالأسلحة النووية، وتأثيرها، وما تخلّفه من دمار، وفي هذه الحالة، عندما تمتلك كل دولة أسلحة نووية، فإن احتمال نشوب حرب مباشرة بينهم يتضاءل بشكل كبير، وإنما يقتصر الأمر غالباً على صراعات طفيفة، أو غير مباشرة.

وهذا ما شجع بوتين نسبياً، لأن حربه في أوكرانيا لن تتطور إلى صدام مباشر بينه وبين الولايات المتحدة أو حلفائها، أو أن يهرعوا إلى الدفاع عنها، لأن مثل هكذا اشتباك ينطوي على خطر اندلاع حرب نووية، مما يمنح بوتين ثقة أكبر أن حربه هذه قد تنجح.

فعندما يحذر بوتين الآخرين في حال تدخلهم في حرب أوكرانيا بعواقب وخيمة، إنما هو تهديد مبطن بقصفهم بالأسلحة النووية، إذا تجرّؤوا على التدخل عسكرياً، وهذا يعني أن التهديد النووي من قبل بوتين هو غطاء لمتابعة عدوانه التقليدي. وتهديده بسلحه النووي هو فقط لردع أي تدخل خارجي، فأوكرانيا ليست دولة نووية، إنما حلف الناتو لديه ثلاثة أعضاء يمتلكون السلاح النووي (الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا)، وبما أن هذه الدول لا ترغب في حرب تنطوي على مخاطر نووية، فبوتين يعرف أن تهديده العلني باستخدام السلاح النووي ضد أي دولة تتدخل في حربه بأوكرانيا، سيضمن عدم تدخل الغرب عسكرياً للدفاع عنها، مما شجعه على هذا الهجوم.

وهذا التكتيك استُخدم في الحرب الباردة جزئياً، عندما أرسل السوفييت قواتاً عسكرية إلى المجر عام 1956، وتشيكوسلوفاكيا عام 1968، بعد تأكدهم أن الغرب لن يقف في وجههم، لانشغاله بحروب أخرى، وعدم قدرته على التدخل وخاصة الولايات المتحدة، ليستغل الفرصة في التحرك لقمع الانتفاضات الشعبية المناهضة للشيوعية.

وفي أوكرانيا، يحاول الجميع تجنب مخاطر حدوث أي سلوك خاطئ، وسوء تقدير، لأنها تقع بالقرب من حدود الناتو، وأي خطأ ربما يؤدي إلى نزاع أوسع.

**التدريب في سوريا تحت عنوان "درس تعلمه بوتين من سوريا: القصف يجدي نفعاً"**، نشرت صحيفة التايمز مقالاً، حول تعلّم الجيش الروسي بسرعة من أخطاء المعارك، واعتماده خطأً تتناسب مع التكنولوجيا الحديثة، والدرس الكبير الذي تعلمه بوتين في سوريا هو سرعة القصف

الدقيق، ومدى تدميره للمؤسسات المدنية والمستشفيات، وهذا ما شكّل لدى الجيش الروسي إيماناً بأن القوة المفرطة تأتي بنتيجة، خاصة إن لم تكن هناك محاسبة، كما حصل في سوريا. كل ما سبق شجّع بوتين على تدخّله في أوكرانيا، حيث اعتمد فيها على العديد من المرتكزات السياسية والعسكرية، والتي توصل إليها منذ عام 2015 في سوريا.

فالتدخل الروسي في سوريا فتح شهية موسكو على القوة والسيطرة لعدة أسباب:

- أول عمل عسكري لروسيا خارج الاتحاد السوفيتي منذ انهياره.
  - تثبيت موطئ قدم لها في البحر المتوسط والشرق، عبر قواعدها في طرطوس، وحميميم، على الساحل السوري، لتأكيد قوة روسيا على الصعيد العالمي.
  - اختبار أنظمة أسلحة جديدة، وتكتيكات قتالية، وإظهارها للعالم عبر الساحة السورية، والتي يمكن استخدامها في أوكرانيا.
  - تدخّلها في سوريا - بنظرها - أعادها كقوة عالمية في الشرق الأوسط، وحليف قوي يُعتمد عليه.
  - استراتيجية الاضطراب والفوضى، واستخدام القوة لقمع وتخويف المعارضين في سوريا، ودعمها لنظام منهك، وعلى وشك السقوط، مكّنها من إجبار الغرب على قبول ضمني بتدخلها، وإدراجها كشريك لحل الأزمات.
  - تجربة اتفاق تجنب الصدام المباشر مع الولايات المتحدة في سوريا، بعد استخدام الأخيرة للقوة المميتة، قُتل فيها المئات من جنود الروس والنظام السوري، نتيجة هجومها على موقع أمريكي صغير في دير الزور، وهذا درسٌ استوعبه بوتين، وأدرك أن حربه في أوكرانيا يبقي قواته بعيدة عن أي صدام مباشر مع الجيش الأمريكي، وفرصة لبدء مناورة دموية في أوكرانيا.
  - التوجه لأوكرانيا، دون الاكتراث لأي صعوبات عسكرية ومعقدة.
- كل ما سبق زاد من جرأة بوتين في حربه هذه، لاعتقاده أنه حقق أهدافه في سوريا، دون تكبّد تكاليف باهظة، وهذا ما دفع جيشه للمواجهة مع أوكرانيا، فقوة روسيا في سوريا أسس لها سياسة خارجية أكثر عدوانية، امتدت من الشرق الأوسط إلى أوكرانيا.

## ضرورة لاستعادة إمبراطورية روسيا المفقودة

ارتباط بوتين بالاتحاد السوفيتي - في الواقع - هو نتيجة حنين إمبراطوري، كونه كان إمبراطورية ناطقة بالروسية، فالحلم لديه هو تأسيس إمبراطورية مصغرة ناطقة بالروسية داخل حدود الاتحاد السوفيتي القديم؛ لذلك يستخدم التاريخ، ليرّوج أن أوكرانيا ليست دولة، وأن وجودها على الخريطة كدولة مستقلة هو مجرد صدفة، فأوكرانيا مهمة كرمز للإمبراطورية المفقودة، كونها كانت أكبر جمهورياتها، وروابطها الثقافية أعمق مع روسيا.

لذا يحاول بوتين السير على نهج فكرة إعادة توحيد الشعوب الناطقة بالروسية، من خلال التحدّث عن التاريخ الطويل للشعوب الناطقة بالروسية في أوكرانيا، ودول الكتلة السوفيتية السابقة، مثل جورجيا. فأوكرانيا كما قال بوتين: ليست دولة مجاورة لنا، وإنما جزء لا يتجزأ من تاريخنا، وثقافتنا، ومساحتنا الروحية.

## ضربة عقابية تطورت إلى حرب كاملة

تعتمد الاستراتيجية الروسية في الكثير من الأحيان على نوع آخر من التدخّل، هو أكثر جرأة من التدخّل السياسي والدبلوماسي، كالتدخّل الذي قامت به في سوريا عام 2015، حيث اعتمدت مبدأ الضربة العقابية لمعارضتي النظام السوري، وتقليداً للاستراتيجية الأمريكية، مثل الضربات التي أمر كلينتون بتنفيذها -بمشاركة المملكة المتحدة- ضد العراق عام 1998، بعد رفض الأخيرة الامتثال لقرارات مجلس الأمن، وتدخّلها في عمل مفتشي لجنة الأمم المتحدة، للبحث عن أسلحة دمار شامل.

لذلك ظهر الرئيس الروسي، وأعضاء من حكومته، يتحدثون عن سلسلة من الضربات الجوية، والعمليات البرية، ضد أهداف محددة في أوكرانيا، لتظهر العملية العسكرية وكأنها ضربة عقابية، الهدف منها القضاء على ما يهدد المصالح الروسية، لكن تبين فيما بعد أن الهدف أبعد مما قيل، حيث تقوم قواته بتمكين نفسها في أوكرانيا كما يحدث حالياً، وبالتالي العملية التي قيل عنها أنها جزئية تحولت إلى حرب شاملة، الهدف منها السيطرة على كافة الأراضي.

## أوكرانيا كساحة اختبار

هدف روسيا من حربها ضد أوكرانيا - وفق التصور العام - هو الهزيمة العسكرية، وبالتالي الإطاحة بالحكومة الحالية، وتشكيل حكومة جديدة متحالفة مع موسكو، وإضعافها للدفاعات الأوكرانية، مما يمنحها موقع مميز لشن هجمات جديدة في أي وقت مستقبلاً.

إلا أن التحرك الروسي بهذا الشكل، يضع احتمالية لأهداف أكبر من الإطاحة بحكومة، أو إضعاف لقدرات أوكرانيا، لتبدو الأخيرة كساحة اختبار لـ:

## تقييم قدرة الولايات المتحدة

النظرية الروسية حول هدف بوتين الاستراتيجي، سواءً بمنع انضمام أوكرانيا للناتو، أو تقييم قدرة أوكرانيا العسكرية، أو كضربة عقابية، لم تكن كما أشيع عنها؛ فطبيعة الهجوم كانت صدمة، فهي لم تنحصر في شرق أوكرانيا، بل شملت جميع الاتجاهات، بهدف القضاء على أية مقاومة عسكرية، والإطاحة بالحكومة القائمة.

النوايا الاستراتيجية لروسيا في أوكرانيا، هو إظهار تراجع قوة الولايات المتحدة ونفوذها، لأنها لن تكون قادرة على إيقاف هذه الحرب، وهذا التحرك برأي بوتين الأكثر فاعلية لتحقيق هذا الهدف.

وهو مخطط ليس بجديد، فمنذ ما يقارب الأربع سنوات، تعمل روسيا على تحسين قواعد اللعبة الخاصة بالحرب الهجينة في أوكرانيا، فحربها ضد الغرب عامة تمر من أوكرانيا، عبر القرم، ومنطقة دونباس الشرقية، هي بداية للصراع الروسي الهجين، الهدف منه الظهور كقوة صاعدة، تحاول فيها كسب مكانة في التوازنات الدولية.

## الاستعداد والرد الأوروبي

الجدل القائم حالياً في أوروبا حول أوكرانيا، هو عدم الاستعداد، أو القدرة على إيقاف الحرب ضدها، رغم أن ألمانيا أقدمت على عقوبة أكثر أهمية، بقرارها تعليق خط أنابيب الغاز "نورد ستريم 2"، وحماية دول الناتو لأعضائها في محيط أوكرانيا.

كل ما سبق يبدو كنقطة اختبار لأوروبا في المستقبل، ومراقبة بلد شريك يتعرّض لحرب، دون أن تتمكن من إيقافها. فلغة بوتين كانت واضحة، وهي التهديد باستخدام السلاح النووي ضد أي دولة تتدخل في أوكرانيا، وهي لغة كان لها وقعها على الموقف الأوروبي، حيث اكتفت بالإدانات، وفرض العقوبات فقط. كل ذلك يبدو كنقطة تحول، قد تشجع بوتين على السيطرة على مساحات شاسعة من أوروبا، وخاصة في جزئها الشرقي، ودول البلطيق، كون روسيا طالبت مراراً بانسحاب الناتو من تلك الدول.

بطبيعة الحال مهما كان الرد الأوروبي حول الحرب الروسية على أوكرانيا مختلفاً، فالنظام الأمني الحالي ربما يتغير، ما لم تقدم أوروبا على إعداد نفسها بسرعة لحقبة جديدة، وتزيل حالة الرتابة عن نفسها، كون أمنها سيكون على المحك، حيث ستعيش في حالة تمكّن روسيا من التدخل المباشر في أي وقت تشعر فيه أن مصالحها مهددة.

### حسابات الربح والخسارة (المستفيد والمتضرر)

من المؤكد أن الحرب الروسية الأوكرانية الحالية ستكون لها تداعياتها على الجميع، بين مستفيد من تصعيدها، وآخر متضرر، مثل:

### مصلحة الولايات المتحدة

لا يخفى على أحد أن الولايات المتحدة لها أهداف معينة من كل هذه الأزمة، يمكن تلخيصها في عدة أبعاد، وهي:

#### • البعد الاقتصادي

هناك مصلحة أمريكية في حالة التوتر في أوكرانيا، ودفع حكومتها لابتزاز روسيا، في محاولة تهدف بشكل أساسي إلى خلق مواجهة بين أوروبا وروسيا في أوكرانيا، لوقف التعاون بينهما في مجال الغاز، وخاصة فيما يتعلق بمشروع "التيار الشمالي 2"، وفرض نفسها كبديل عن روسيا. أي أن المصلحة تركز على بعد اقتصادي، يتعلق بالغاز الطبيعي. كون روسيا تمد القارة الأوروبية بالغاز الطبيعي بنسبة 38%، بشراكة ألمانية لإدارة مشاريع الطاقة.

وبما أن الولايات المتحدة دخلت حيز المنافسة، بزيادة صادراتها من الغاز المسال لأوروبا مؤخراً، فالمصلحة الأمريكية هنا تقتضي إطالة عمر الحرب، وتأجيجها، كون أوروبا الوجهة الأولى للغاز المسال الأمريكي.

فعلى مدار سنوات، تمارس واشنطن الضغوط على ألمانيا، لوقف مشروع خط أنابيب "نورد ستريم 2" / التيار الشمالي 2" مع روسيا، وأُتيحت لها الفرصة في الصراع الروسي الأوكراني، ليكون إيقاف المشروع ضمن قائمة العقوبات على روسيا.

### • البعد الاستراتيجي

ترى الولايات المتحدة أن أوكرانيا هي البقعة المثالية لتأجيج الصراع، كونها منطقة نفوذ ومصالح أمنية لروسيا، لذا شجعت الولايات المتحدة أوكرانيا على الانضمام لحلف الناتو منذ عام 2014، لتأجيج الصراع، حيث قوبل برفض روسي، وتحرك نحو ضمّ القرم، وتسبب في حراك في الشرق الأوكراني. وفي العام الحالي، حرّضت الولايات المتحدة أوكرانيا مجدداً على تقديم طلب الانضمام للناتو، لدفع روسيا إلى منافسة على نطاق دولي وإقليمي.

ما سبق يؤكد المصلحة الأمريكية في تصعيد الصراع، رغم إمكانها إيقاف الصراع، أو تخفيف حدّته على أقل تقدير، عبر منح روسيا تعهد بعدم ضم أوكرانيا للناتو.

لذا تركز واشنطن على الصراع بين أوكرانيا وروسيا، كاستراتيجية توريث روسيا في حروب جانبية، تشتت قواتها في جبهات متباعدة، واستنزافها مادياً أمام تكاليف هذه العمليات، التي ستؤدي إلى الحد من القوة الروسية، فواشنطن تركز على ما بعد الهجوم الروسي، أكثر من التركيز على تقديم أدوات للدفاع عن أوكرانيا.

من ناحية أخرى، ترى الولايات المتحدة أن النظام الليبرالي القديم، حول تطبيق ومعاقبة المخالفين أمر فات أوانه، وإنما تسعى لتطبيق نظام جديد، يقوم على موازنة القوة بالقوة. فالعقوبات التي فرضتها لن تغير من الديناميكيات الأساسية، وتخطط واشنطن لتحديد أفضل السبل لاستبدالها بترتيبات جديدة، تسعى من خلالها إلى فرض نفوذ جديد، أما بالاتفاق مع روسيا، أو بترتيبات أخرى، من خلال دعم وتطوير قطب أوروبي، كشريك لها، والعمل لتصبح جهة فاعلة ذات سيادة في السياسة الخارجية والأمن.

## الصين والتأرجح بين المصالح والمخاوف

بالنسبة للصين، فهي تعيش في حالة تناقض بمواقفها من الحرب الروسية الأوكرانية، بدعم روسيا علانية قبل الحرب، بحجة حماية أمنها القومي، وضمنياً بعد دخول القوات الروسية لأوكرانيا، فهي لا ترغب أن تتحمل الثمن، نظراً لضبابية نتائجها.

- فإذا نجح الروس سيكون ذلك نموذجاً لما ستفعله في تايوان.

الجدل الجاري حالياً، هو حول نوايا الصين في الاستيلاء على تايوان، كونها تعتبرها أيضاً مقاطعة منشقة من البر الصيني، انطلاقاً من مبدأ بوتين تجاه أوكرانيا، بدافع أن أوكرانيا ليست دولة مجاورة لهم، وإنما جزء لا يتجزأ من تاريخهم وثقافتهم؛ الأمر الذي يمنح بكين إجابة مريحة للغاية، دون أن تضطر للإقدام على أي فعل قد ينعكس عليها لاحقاً؛ فالأحداث الحالية في أوكرانيا تعطي أملاً طفيفاً لدى بكين في التحرك، إذا ما افترضت أن الولايات المتحدة لا يمكنها التصعيد عسكرياً.

- وإذا ما فشل الروس في أوكرانيا، لن تقم نفسها في خضم حروب تضرّ بمصالحها.

رغم العلاقة القوية بين البلدين، فإمكانية إيجاد توازن في الموقف مستحيلة بالنسبة للصين، فالصراع ليس حلاً، كما أن تدهور الأمور نحو الدمار ليس في مصلحة الصين، كونها تتمتع بعلاقات عميقة أيضاً مع أوروبا والولايات المتحدة، بالشكل الذي لا يمكنها قطعها رغم التوتر.

الحرب الروسية الأوكرانية - بلا شك - تركت آثاراً سلبية على أسواق الأسهم الصينية أيضاً، وعكّر صفو الاقتصاد العالمي، كما أن الغضب الدولي بشأن أوكرانيا، والعزلة الدبلوماسية لبوتين، هو بمثابة تحذير للصين، إذا ما استخدمت القوة لإخضاع تايوان، التي تدّعي أنها من أراضيها.

يمكن القول أن الصين غير مرتاحة للطريقة التي اختارها بوتين لإخضاع أوكرانيا، كونها انطوت على عزلة اقتصادية وسياسية، ستكون تأثيرها أكبر إذا ما اتخذت الصين خطوة مماثلة، أو موقف مؤيد للتحرك الروسي تجاه أوكرانيا. فمن المرجح أن تخطو الصين نحو توازن، حتى لو كانت تكلفتها الاستراتيجية والاقتصادية سلبية نسبياً مع روسيا. لأن أوكرانيا تشكل عقدة رئيسية

لطريق الصين التجاري عبر آسيا إلى أوروبا، بالإضافة إلى وجود الاستثمارات الصينية في أوكرانيا، وانتشار الشركات الصينية فيها، ومع هذه الحوافز الاقتصادية لبكين في أوكرانيا، من غير المرجح التعنت أو قبولها علانية لهذه الحرب الروسية على أوكرانيا، لذلك تقف على الحياد إبان هذا الغزو، وترفضه، لكن بالمقابل تدعو إلى وضع المخاوف الروسية في الاعتبار، لذا تحاول الصين بشتى الوسائل تحقيق نوع من التوازن لحين انتهاء هذه الأزمة، بما يضمن لها مصالحها من كافة الأطراف.

### تركيا المتضرر الأكبر

مع تدافع العديد من العواصم لإيقاف التقدم الروسي في أوكرانيا، عبر فرض سلسلة من العقوبات وخطوات أخرى، اقتصر رد فعل أنقرة في البداية على التنديد، والدعوة لحل دبلوماسي، ثم اكتفت بإغلاق المضائق وفق اتفاقية موننترو بعد ضغوطات غربية.

إن رد الفعل التركي منذ بداية الأزمة الأوكرانية، بدعوة أنقرة لحل سياسي، وتجنب أي عقوبات مؤثرة، يظهر قدرتها المحدودة على لعب دور نشط في هذه الأزمة، حيث تبدو عالقة بين المطرقة الروسية وسندان الناتو.

وقد كشفت التطورات الجارية، أنها ستكلف تركيا تكاليف باهظة على أصعدة متعددة، وهي:

#### • سياسياً ودبلوماسياً

لعدم جدوى السياسة الخارجية التركية، وطموح رئيسها أردوغان، بإظهار بلاده كقوة إقليمية لها تأثير.

فالتحرك الروسي يعتبر معضلة بالنسبة لتركيا، التي سبق وخلقت توترات مع العديد من حلفائها في الناتو، نتيجة سلوك رئيسها مع روسيا، وسعيه لعلاقات سياسية وعسكرية أعمق مع أوكرانيا.

فلا تزال أنقرة تعوّل على إمكانية إيجاد حلّ للأزمة دبلوماسياً، لكن الروس باتوا ينظرون إلى علاقة تركيا مع كييف و"نتار" القرم كإشارات استفزازية، هذا قلل من فرص أنقرة في تمتين علاقاتها مع موسكو، كما أن محاولات رئيسها "أردوغان" لفرض نفسه كوسيط محتمل بينها وبين أوكرانيا قوبلت بالرفض، حيث لم يعر بوتين اهتماماً لمبادرة أردوغان، كما أن زيارته لتركيا، والتي

أعلن عنها رئيسها لم تتحقق، مما قلل من قيمة تركيا، فمقابلة بوتين لقادة أوروبا تأكيد على أن أنقرة لا تملك أي قدرة لإيجاد حلول لتقدمها.

### • عسكرياً

طوّرت تركيا علاقاتها مع أوكرانيا في قطاع الصناعات الدفاعية، وخاصة فيما يتعلق بالمسيّرات القتالية، والتعاون في مجال إنتاج المحركات المتطورة، والتكنولوجيا العسكرية، استقادت منها أنقرة في تطوير المحركات والصواريخ، ثم دعمت بها أوكرانيا ضد الانفصاليين.

ولكن مع رغبة موسكو في فرض نفسها على أوكرانيا، فهي بهذه الحالة تهدّد شراكة تركيا مع أوكرانيا، خاصة في مجال الصناعات الدفاعية والتكنولوجيا العسكرية.

### • اقتصادياً

في الوقت الذي تغرق فيها تركيا في دوامة تدهور عملتها، والتضخم، تأتي الأزمة الأوكرانية الروسية، لتزيد من تدهور الاقتصاد التركي، كون الأخيرة تعتمد بشكل كبير على روسيا في قطاع الطاقة والسياحة، فأى عقوبات مفروضة على روسيا ستعكس سلباً على تركيا أيضاً، نظراً لحجم التبادل التجاري بين الطرفين. وهو ما تبين منذ بداية الأزمة الأوكرانية، والتي أثرت بشكل سريع على العملة التركية وأدت إلى انخفاضها المستمر.

### • إقليمياً

التحرك الروسي سيعزز وجوده أكثر على البحر الأسود، بعد ضمه للقرم عام 2014، مما سيشكل تهديداً حقيقياً بالنسبة لتركيا، حيث ستميل الدول الصغيرة على حدود تركيا نحو سياسة تتماشى مع الأجندة الروسية، الأمر الذي سيترتب عليه ضعف موقف تركيا في عدة ساحات، خاصة في شمال أفريقيا، والقوقاز، وسوريا، كونها ساحات تنافس روسي - تركي، والتي على الأرجح ستتأثر، وتتحول إلى ضغط روسي أكثر ضد المصالح التركية فيها.

ما سبق يمكن أن يؤدي إلى نهاية عملية التوازن بينها وبين موسكو، إلى جانب إنهاء طموح نفوذها الإقليمي خلال فترة حكم أردوغان؛ وحتى لو لم يكن الخاسر الأكبر في هذه الحرب، فهي

- على الأقل - كشفت حدود طموحاته الهادفة، لتصوير بلاده كقوة إقليمية، وحليف لا غنى عنه في الحرب والسلام.

### سوريا (تأثير محتمل)

إن أحداث أوكرانيا - بشكلها الحالي - لن تغير المصالح السياسية للدول الفاعلة في سوريا، رغم التنديد والتصريحات الهجومية بين أطراف الصراع، لكنها ستؤثر بشكل كبير على العلاقة بينهم، وربما تعيد فتح الطريق إلى اتخاذ إجراءات أحادية، من شأنها أن تثير استنزاف الخصم فقط، دون الوصول إلى درجة التوقف عن التنسيق.

فجميع الأطراف في سوريا يتربحون نتائج الحرب في أوكرانيا، كونها غالباً ستؤثر على الأزمة السورية لصالح طرف من أطراف الصراع، والتي سترجح كفة الميزان لحليفها في سوريا، وخاصة روسيا، فسوريا هي ساحتها الأولى للحرب خارج حدودها، فأى نتيجة في أوكرانيا ستؤثر حتماً في الحرب في سوريا، أما:

- إيجاباً، بزيادة أوراق الضغط لديها، إذا ما تمكنت من نجاحها في أوكرانيا.
- أو سلباً، لأن استمرار التصعيد، وتعقيد الأمور في أوكرانيا، سيزيد من استنزاف القوة الروسية المفتوحة على جبهتين، قد يضطرها في النهاية إلى قبول أي عملية تفاوضية، تؤدي إلى تنازلات لها في سوريا لصالح الأطراف الأخرى.

**في الختام..** لا بد من القول أنه لا يمكن التأكد من معرفة ما يدور في عقل الرئيس الروسي بدقة، وإنما تبقى جميع الاحتمالات مطروحة، وقد يكون سلوك بوتين في أوكرانيا والقرم غير مقبول بالنسبة للغرب، لكن نظراً لطبيعة نظامه، والاعتراف بالمشاعر الروسية العميقة والدائمة بشأن فقدان إمبراطوريته منذ سنوات، بدا الأمر مفهوماً تماماً.

فبوتين يفضل استمرار هذه الأزمة، لتعزيز الدعم المحلي، فإذا تصاعدت الأزمة الأوكرانية أكثر، فمن المرجح أن يكون التأثير أكبر على الأمن الأوروبي، ويدفع بالأخيرة والنظام الدولي لحدود ما بعد الحرب، إلى وضعٍ لم يكن في حساباتهم، فهي دعوة للاستيقاظ، والتعرف على قيود بنيت منذ الحرب العالمية الثانية، فالوضع يبدو كارثي، وهي لحظة تمثل فشل للدبلوماسية، وباتجاه إيجاد نظام أمني أوروبي، إما جديد، أو بهيكلية جديدة.

كما أن تكاليف الانسحاب بالنسبة لبوتين مرتفعة وصعبة، كونها ستؤثر على النفوذ والمصداقية المكتسبة خلال السنوات الماضية، والتي يهتف لها الموالون والمقربون، على أنها عودة للقوى العظمى، والتي ستتبخر بنظرهم بمجرد العودة والانسحاب، لذا من الصعب بالنسبة لروسيا العودة لنقطة البداية، وستستمر في تصعيدها لتحصل حتى على مجرد تنازلات من الآخرين.

## بعد قره باغ .. جبهة جديدة للمرتزقة السوريين في أوروبا الشرقية

### مركز الفرات للدراسات

جرت العادة في السنوات الأخيرة، أنه عند نشوب أيّ حرب، تتسارع الدول ذات التأثير، إلى تجنيد عناصر أجنبية - كمرتزقة - للمشاركة في القتال، بما يخدم مصالح هذه الدول، حتى أصبحوا اليوم ضمن أدوات الحروب في الكثير من المناطق الساخنة، كون المرتزق يبيع ولاءه لمن يدفع أكثر، وينفذ ما يُملَى عليه.

باتت المرتزقة يشكلون خطراً على منظومة الأمن الإقليمي والدولي، وشوكة في خاصرة الأمن والاستقرار، لسهولة استقطابهم وتوظيفهم، والزعج بهم في الحروب. وقد ظهرت العديد من الدول التي تُعتبر مصدرّة لهؤلاء المرتزقة، كان من أبرزها - مؤخراً - سوريا، فالمرتزقة السوريون حظيوا بسمعة سيئة، سواءً في سوريا، أو في النزاعات خارجها، حيث شاركوا بمعارك عديدة، تارةً بالاصطفاف إلى جانب تركيا أو روسيا في الحرب الأهلية الليبية، أو المشاركة في المعارك التي دارت في ناغورني قره باغ بين أرمينيا وأذربيجان تارةً أخرى.

وتشير التقارير الآن، إلى استمرار تشغيلهم في أوروبا الشرقية بعد قره باغ، في الحرب الدائرة في أوكرانيا، بالانضمام إلى الجانب الروسي أو الأوكراني، وهي ظاهرة تؤكد تنامي مخاطرم التي باتت تهدد الأمن الدولي، فهؤلاء المرتزقة، وخاصة السوريين، بنقلهم من مكان إلى آخر يعني مواصلة استخدامهم كوقود للصراعات، يختاره مشغلوهم (تركيا وروسيا) لفترات طويلة، طالما الأزمة السورية لا تزال مستمرة.

### لماذا سوريا؟

جذبت سوريا - خلال سنوات أزمته - العديد من القوى الأجنبية مثل تركيا، وإيران، وروسيا، والولايات المتحدة. وبدأت جميعها بالعمل مع المجموعات العسكرية الموجودة على الأرض كحلفاء لتعزيز مواقعها. إلا أن بعض تلك القوى حولتهم لمرتزقة وأدوات لتنفيذ مخططاتها، وسهلت مرورهم، لدعم حلفائها في حروبها الخارجية، مثل روسيا وتركيا اللتان أرسلتا آلاف

المرتزقة السوريين لدعم جماعاتهما في ليبيا وأذربيجان، حيث بدأت عمليات التجنيد لمرتزقة، يتم تدريبهم بالتوازي مع تحشيد عسكري من الطرف الآخر في نفس البقعة.

كما إن الحديث لا يشمل مرتزقة سوريين فقط، بل مرتزقة من بلدان أخرى أيضاً، لكنهم تلقوا خبرة قتالية في سوريا، مما يوحي بأن سوريا أصبحت بلد المرتزقة، ومع مرور الوقت أصبحت مصدرهم لهم، وهو أثر من تبعات الحرب، التي أنتجت رجالاً قادرين على حمل السلاح والتعامل معه، لكن في بلد اقتصاده مدمر، وبالتالي سيبحثون عن مصدر للزرق بأي وسيلة كانت، لذلك تم استغلالهم واستخدامهم كقتلة مأجورين في الحروب، كما في ليبيا وأذربيجان وأفريقيا، والآن أوكرانيا.

## الرعاة

تحولت الأزمة السورية في الفترة الأخيرة إلى صراع مجمّد، فمنذ عام 2020 استقرت الخطوط الأمامية، حيث لم تشهد أي هجمات قوية، كما أن قدرة أي قوة على التقدم باتت محدودة، بسبب وجود القوات الأجنبية، ففي الشمال الشرقي يتواجد الأمريكيون، وفي الشمال تركيا، ومساحات أخرى يتواجد فيها الروس والإيرانيون، وقد دعمت هذه القوى الحرب الأهلية في سوريا، وأسسوا قوة بالوكالة، ونظرا لعدم قدرتهم على تغيير ميزان القوى في سوريا، بدأ بعضهم بالبحث عن ساحات أخرى، لفتح جبهات جديدة، وخاصة تركيا وروسيا؛ لإبراز قوتها، والحصول على نفوذ ومكاسب في مناطق منافستهما مع بعضهما البعض خارج سوريا، عبر تصدير قوتها بالوكالة للقتال كمرتزقة.

وبرعاية الأخيرين بات السوريون يخوضون حروباً في الخارج، وقد تم استخدامهم كقوات مكتملة للحروب التي خاضوها؛ ففي ليبيا استقدم الروس المرتزقة السوريين، من الموالين للنظام السوري، لدعم الجيش الوطني بقيادة حفتر، بينما دفعت تركيا حلفائها من الجيش الوطني السوري لدعم حكومة الوفاق، ومن ثم بدأوا بتصديرهم إلى القوقاز لدعم الحرب التي دارت بين أرمينيا وأذربيجان، حول ناغورني قره باغ.

## أوكرانيا الجبهة الجديدة للمرتزقة في أوروبا الشرقية

في أوكرانيا تم إطلاق دعوات على المستوى الرسمي للمشاركة في القتال، حيث أمر الرئيس الأوكراني "فولوديمير زيلينسكي" برفع مؤقت للتأشيرة للمقاتلين الأجانب، ممن يرغبون في دعم قواته، وهذا ما دعمته المملكة المتحدة في فبراير، حيث قالت وزيرة الخارجية "ليز تروس" أنها تدعم الأفراد في المملكة ممن يرغبون في الذهاب إلى أوكرانيا للقتال، كما أوضح رئيس وزراء الدنمارك بأنه لا يوجد حالياً أي حظر قانوني على مواطنيه للمشاركة في الصراع على الجانب الأوكراني.

ومع تزايد هذه الدعوات، كانت سوريا من الدول التي فتحت باب التجنيد لمن يرغبون بالقتال على جانبي طرفي الصراع، من قبل قوات النظام السوري، وما يسمى بالجيش الوطني السوري المعارض، حيث أعلن العديد من المقاتلين من الطرفين عن نيتهم في الانخراط في القتال، لتصبح أوكرانيا الجبهة الجديدة للمرتزقة السوريين، وجزئياً بمثابة عودة للحرب الأهلية السورية، فباستيراد روسيا لمقاتلين سوريين ونشرهم في أوكرانيا، وحصول المعارضة السورية على ميزات للقتال في أوكرانيا، باتت الأخيرة ساحة قتال في أوروبا الشرقية بطابع سوري واضح، تحت رعاية روسية تركية.

## مرتزقة روسيا في أوكرانيا

إن استخدام المرتزقة في السياق الروسي بعهد بوتين ليس وليد اللحظة، أو استراتيجية منعزلة، إنما هي جزء من رزمة مرتبطة بالسياسة الخارجية الروسية، يمكن تسميتها بـ "رزمة الخدمات".

وفي أوكرانيا لا تكمن مشكلة روسيا في النقص بعدد الجنود، وإنما بسلسلة من الحسابات الخاطئة، فالمقاومة التي تحصل في أوكرانيا لم يتوقعها أحد بهذا الشكل، ومع ورود الأنباء عن مقتل الآلاف من الجنود الروس، وعزم روسيا على المضي في عملياتها العسكرية، بدأت باللجوء إلى المرتزقة، نتيجة اليأس من استمرار الحرب، بسبب الظروف الغير متوقعة.

وفي الآونة الأخيرة بدأت موسكو بالبحث عن سوريين للقتال كقوات مكملة لها في أوكرانيا، الأمر الذي رد عليه بعض السوريين باستعدادهم للانخراط في الحرب في أوكرانيا، وبالفعل أطلق الرئيس الروسي دعوة للمتطوعين، حيث أعلنت موسكو استعدادها لاستخدام متطوعين من الشرق الأوسط في حربها هذه، وانتشرت الأنباء حول تجنيد ما يقارب من 40 ألف مرتزق من سوريا

فقط، مشيرة إلى أنهم متطوعون، مع أنهم في الواقع جنود تابعين للقوات المسلحة السورية، حيث أنشأ الروس تشكيلات عسكرية في سوريا، بحيث أصبحت رسمياً جزءاً من جيش النظام السوري، إلا أنها فعلياً مرتبطة بالقوات الروسية، مما يمكنها من مساعدة عملائها، ودعمهم في الساحات الدولية، والمشاركة المباشرة في النزاعات، كفرق تابعة للقوات الرسمية، أو كمتطوعين، لأن تغيير المصطلح سيصعب مرورهم، كونهم مجرد ميليشيات، كما أن استخدام مصطلح المتطوعين، يساعد على التهرب من التبعات القانونية والدولية لمصطلح المرتزقة سيئ السمعة.

### لماذا من سوريا؟

تعتبر سوريا موقعاً جيداً لاختبار التدخل المشترك بين قواتها العسكرية الرسمية، والشركات العسكرية الخاصة غير المعلنة، فالنموذج السوري يتمتع بأهمية كبيرة في تاريخ مجموعة فاغنر، وتطورها على مدار ثماني سنوات، كجيش من المرتزقة تمولها الاستخبارات العسكرية الروسية سراً، لاستخدامها كقوة للتدخل في الخارج.

وقد بدأ الوسطاء بتوقيع عقود مع سوريين، مستعدين للقتال إلى جانبها في سوريا، في دمشق ومناطق سيطرة النظام السوري، حيث شكلت قائمة جديدة تضم آلاف المجندين، كانوا ضمن التشكيلات إلى جانب قوات النظام السوري، وأحياناً تحت راية جمعية البستان والدفاع الوطني، بعضها انحل، وبعضها فقد زخمها في سوريا، فكانت الحرب في أوكرانيا فرصة لاستثمار عناصر هذه الميليشيات في هذه الحرب، في خطوة يراها هؤلاء المرتزقة أيضاً فرصة للحصول على مكاسب مالية، ومبرراً لبعضهم للهروب من خدمتهم الإلزامية في سوريا.

لذا، فلجوء روسيا لاستيراد مرتزقة من سوريا له عدة أسباب، منها:

- احتياطي ضخم لها في سوريا من مقاتلين، لتغذية الصراع، واستخدامهم في الهجمات البرية لاختبار الدفاعات الأوكرانية، مما يجنب الروس الخسائر البشرية.
- مصدر مناسب للعمالة الرخيصة؛ فكلفتهم أرخص من كلفة وحدات الجيش النظامي، كما أنهم لن يتقاضوا رواتب ومعاشات تقاعدية مدى الحياة، كونهم يعملون بموجب عقود.
- قوات منخرطة بالفعل على خط المواجهة في سوريا، ويتمتع معظمهم بفعالية وخبرة وسهولة التحرك، بالإضافة إلى قدرتهم لارتكاب جرائم حرب.

- عدم إثارة استياء الشعب الروسي من قتلى وجرحى ضمن قواتها من الروس.
- تخفيف الخزان البشري الذي تستميله الميليشيات الإيرانية لصالحها بإجراءات مادية وإيديولوجية، خاصة تلك التي انحلت أو فقدت زخمها كجمعية البستان، أو الدفاع الوطني وغيرهم، بهدف تقليص نفوذ إيران في سوريا ومنع تمدده.
- أفضل شركاء يتم تجنيدهم في خطوط المواجهة لحماية عناصرهم الخلفية، فمقتل أي منهم لا يثير مشاعر الدول المنخرطة في الصراع.
- الاختلاف العرقي والديني للمرتزقة السوريين عن الأوكرانيين سيزيل عنهم الحواجز الأخلاقية، ولن يترددوا في المعارك التي يخوضونها في أوكرانيا.

### مرتزقة تركيا في أوكرانيا

- تركيا لا تختلف عن روسيا في اعتمادها على المرتزقة في حروبها الخارجية، فهم أيضاً جزء لا يتجزأ من طموحات السياسة الخارجية للبلاد التي تعتمد عليهم في حروبها الخارجية.
- وكان للسوريين النصيب الأكبر في صفوف القوى المكملة التي انشأتها تركيا، لعدة أسباب منها:
- أنهم قدموا خدمة في دعم سياستها الخارجية، دون تعبئة الأصول الوطنية، كالقوات المسلحة.
  - الاعتماد عليهم في مناطق بعيدة، للقتال من أجل مصالحها، كاستخدامهم في ليبيا وأذربيجان، والتي كان لها تأثيرها.
  - استخدامهم في تأمين حدودها الجنوبية من قبل ما يسمى بالجيش الوطني السوري، وشن هجمات ضد مناطق الإدارة الذاتية، وسبب في تهجيرهم من مناطقهم واستبدالهم بمستوطنين جُدد من مناطق أخرى في سوريا.
  - المرتزقة سيسمحون لتركيا بمواصلة تمددها الجغرافي دون التخوف من أي رد فعل محلي.

وفي أوكرانيا لم تتعد تركيا عن هذه الحرب، فكلما صرّح بعض العناصر الموالين للنظام السوري بدعم روسيا في حربها في أوكرانيا، واستعدادهم للقتال إلى جانبها، أبدت عناصر من المعارضة السورية أيضاً - وبمباركة تركية - استعدادهم للسفر إلى أوكرانيا والقتال ضد الروس، وهي

دعاية انتشرت في أوساط المعارضة السورية، لذلك فهم لا يختلفون عن مرتزقة روسيا، فقتالهم ليس بالمجان، كون غالبيتهم لا يتمتعون بسمعة جيدة، حيث اشتهروا بأعمال اغتصاب وتعذيب وسرقة في المناطق التي احتلتها تركيا، وقد وصفت الأمم المتحدة انتهاكاتهم بجرائم حرب.

وبالرغم من تصريحات الرئيس التركي بعدم تخلي بلاده عن علاقتها المتوازنة مع روسيا وأوكرانيا، وتأكيداته بأنها ستتبنى موقف الوسط، وعدم إرسال مقاتلين إلى جانب القوات الأوكرانية رسمياً كما فعلوا في أذربيجان وليبيا، وعدم رعايتها للتمويل ونشر مقاتلين في أوكرانيا، إلا أن شائعات سُربت من مناطق المعارضة السورية تفند تلك التصريحات، وتفيد بعقد اجتماعات مكثفة للمخابرات التركية مع فصائل الجيش الوطني السوري، يتعلق بنشر مقاتلين في أوكرانيا، وقد أفادت تقارير بالبدء في تسجيل أسماء ممن يرغبون بالقتال في أوكرانيا ضد الروس، كفرقة السلطان مراد، وسليمان شاه، كونهم من ذوي خبرة سابقة، كمرتزقة في ليبيا وأذربيجان، بالإضافة إلى تلقيهم أوامر غير مباشرة لاستقطاب مقاتلين من ذوي الخبرة بالسلح الثقيل في المرحلة الأولى، وتقسيم المقاتلين الى مجموعات.

ما سبق يؤكد انخراط تركيا في الحرب الأوكرانية الروسية، عبر السعي بنشر مرتزقة فيها، حتى لو لم تعلن رسمياً بتجنيدهم، إلا أنها ستسهل عملية نقلهم باستخدام مطاراتها وتسهيل إجراءات السفر، وإدارة تلك الميليشيات بشكل غير مباشر، الهدف من الإجراء إطالة أمد الاشتباكات مع الروس، لإجبارها على شن حرب استنزاف.

**وفي الختام..** يمكن القول أن استخدام المرتزقة بات جزءاً من استراتيجية التوسع لدول مثل تركيا وروسيا، لتعزيز مصالحها في الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا؛ والآن في أوروبا الشرقية، وكقوات مكملة لقواتها المسلحة؛ وقد ثبت عملياً أن سوريا هي الموقع الأمثل لتطبيق نموذج هجين، ينتشر بموجبه عناصر من الجيش النظامي، والشركات العسكرية الخاصة، وباتت تصدّر إلى دول أخرى، فاعتماد كل من روسيا وتركيا على استراتيجية نشر قواتها في الخارج، للعمل إلى جانب عناصر من الشركات العسكرية الخاصة بها آخذة في الازدياد، ومثال على ذلك ليبيا وناغورني، حيث يطبق النموذج السوري، لتحقيق أهداف تجارية وعسكرية مشتركة، تساعد قواتها، وإدارتها، والبلد المضيف على حد سواء.

وفي أوكرانيا فإن نشر المرتزقة فيها إشارة واضحة إلى أن:

- الحرب ستستمر لفترة طويلة وليست لأيام.
- وصول المرتزقة إلى أوروبا الشرقية يعكس تخطي مشغليهم لنصوص القانون الدولي، التي تنص على تجريم استخدامهم.
- انتشارهم خطر مدهم، يواجه أوروبا، قادماً من الشرق، فوجودهم في أوكرانيا سيتسبب في تحديات أمنية مستقبلاً، كونها ستتحوّل لحاضنة للتنظيمات الإرهابية، وتهديد يحيط بأوروبا.

## "العنصرية الجديدة" و"البقاء للأصلح" في فضاء الإعلام المنحاز

أ.أوصمان علي

لم تُعدّ المشاهد والقصص الإنسانية، المتدفقة من مناطق الصراع والحروب، حول مشكلة اللجوء، تشكّل إلا جزءاً صغيراً من معضلة تاريخية كانت مثيرة للجدل حتى يومنا هذا، فعلى الرغم من المحاولات النبيلة لحركات بشرية، لتأصيل المدنية في البنية المجتمعية، ودعم الحوار بين الثقافات، وتجاوز العنصرية التي خلفت آثاراً مدمرة أفنت ملايين الناس، إلا أنه وفي عصر العولمة ظهرت "العنصرية الجديدة"، بسماتٍ وملامح جديدة، اتضحت تجلياتها في ظل التطورات والتحوّلات الجسيمة، التي بدأت تظهر على البنية القيمية للمجتمع العالمي.

في وقت كانت العنصرية بنمطها التقليدي مبنية في السابق على الاقصاء والتمييط الممنهج تجاه عرق، أو جماعة، أو لون، وطائفة، باتت اليوم تأخذ أشكالاً أشد فتكاً، وأوسع نطاقاً، خرجت في ضوئها الكراهية من عباءة العرق، لتصطبغ بالعنصرية الثقافية، وهنا يمكن ذكر التجربة الغربية مع اللاجئين الشرق أوسطيين، والأفارقة، على الحدود البولندية أثناء الحرب الروسية - الأوكرانية، رغم الاتفاقيات الدولية التي تناهض جميع أشكال التمييز العنصري، والتي تؤكد على أن التمييز بين البشر، بسبب العرق أو اللون أو الأصل الإثني، يشكّل عقبة تسيء للعلاقات الودية، والسليمة.

### الخطاب المضاد للهجرة

ظلت أوروبا وجهة استثنائية للشعوب المقهورة، وملجأً آمناً للأقليات المضطهدة كي تبني حياة جديدة في بلدان تُعرف باحترامها للصكوك المدنية، بل سبيلاً لنسيان الماضي المؤلم، لكن في العقود الأخيرة أمست هذه الصورة المثالية تتبدد شيئاً فشيئاً مع صعود اليمين المتطرف في القارة العجوز، واستلامهم مراكز قيادية في الحكومات والبرلمانات الأوروبية، وهؤلاء المتطرفون معروف عنهم شدة تمسكهم بالهوية الثقافية والدينية لأصحاب البلد، ولديهم نزعة عنصرية لحماية العادات والتقاليد المتوارثة، فأصبحوا اليوم يشكلون خطراً حتى على استقرار بلدانهم ومستقبلها، سيما في خروجهم عن قوانين بلدانهم، واستخدامهم العنف لتصفية المهاجرين وترهيبهم.

تكررت في الآونة الأخيرة الممارسات العدائية تجاه المهاجرين، ولا تسعفنا بضعة سطور للاستفاضة في الإلمام بجميعها، فكان الهجوم الأبرز إطلاق النار وقتل 50 مسلماً أثناء تأدية الصلاة في مدينة كرايستشيرش بنيوزيلندا، وكذلك الأمر في ضاحية أوسلو، والحوادث الفردية والجماعية التي استهدفت الأقليات المهاجرة في مختلف المدن والبلدات الأوروبية، سيما في فرنسا، وألمانيا.

الأمر برمته نتاج لإحياء التوجهات الخطرة للنازية، والشوفينية، والفاشية بأحزابها وتياراتها الصاعدة (حزب "الحرية اليميني" في النمسا، وحركة "بريطانيا أولاً"، وحركة "الهوية" الفرنسي، وحزبي "بيفيدا" و"البديل لأجل ألمانيا" في ألمانيا..)، والتي فرضت بدورها قواعد تمييزية تحرض على ارتكاب المجازر بحق المهاجرين، ومناهضة القيم الدينية، والعرقية للأجانب، فضلاً عن اللعب على وتر "عقدة التخويف"، من خلال إثارة مخاوف المواطنين الأصليين عبر حيك المصطلحات، وتوظيف الصور والرموز للتعبير عن الإحساس بالتفوق النوعي، ودونية الآخر، وبالتالي ينعكس هكذا ممارسات سلباً على الشارع، الذي يتم تأليهه وتحبيشه بصورة شعبية لتحقير كل مهاجر، وغالباً ما تكون الروايات العنصرية المتداولة عائدة إلى فترتي "العهد القديم" و"الحرب العالمية الثانية"، حيث كان يسود مبدأ ساديّ الملامح، وهو "البقاء للأصلح".

"البقاء للأصلح"

يعيش العالم الحالي صراعاً داروينياً، يعزز مبدأ "البقاء للأصلح"، تلك الفكرة التي تستلزم التطور بتوافر ثلاثة عناصر أساسية هي (الاختلاف، والتكاثر، والتوريث)، فضلاً عن التمايز في السمات الفيزيولوجية للكائنات التي تكافح للحفاظ على وجودها، وبناءً على هذا المفهوم يتم تكريس صفات سلبية، كالأنانية، والصراع التنافسي، كعوامل ديناميكية للحفاظ على التطور الحضاري، والتفوق الفئوي بدلاً من إرساء قيم التعاون، والتكافل، والمساواة والعدالة بين البشر.

طبعاً هذا المنظور الإقصائي يُعدّ خاطئاً، لأنه يسوق لبناء أنظمة اجتماعية حاكمة (أقلية جشعة، أنانية ومستبدة) تكون أكثر قساوة وظلماً، يزرح تحت وطأتها المجتمعات الأخرى (غالبية تعاني من المجاعة والظلم)، ويكتف استغلال البيئات الطبيعية لصالح الفئة المستبدة.

لا يمكننا تناول الحالة دون التطرق إلى التجاوزات الكبيرة التي يتعرض لها المهاجرون الآسيويون والأفارقة في أوروبا، إذ لم تعد الحالات فردية لتصنيفها كحوادث شخصية، بل أصبح السلوك

العنصري متأسلاً في اللاوعي الجمعي لدى كثير من الأوروبيين، أفراداً كانوا أو جماعات، فثمة منظومة متكاملة من التمييز المقيت على المستويين الرسمي والإعلامي.

فكانت التصريحات الصادرة مؤخراً صادمة من قادة وساسة غربيين، ومنهم رئيس الوزراء البلغاري "كيريل بيتكوف" حينما قال: "هؤلاء ليسوا اللاجئين الذين اعتدنا عليهم، هؤلاء أوروبيون، أدكياء ومتقفون، بعضهم مبرمجون، هذه ليست موجة لاجئين غير معروف ماضيهم، لا توجد دولة أوروبية تخاف منهم".

في الحقيقة، أماطت هكذا تصريحات اللثام عن الوجه المظلم لأوروبا، رغم حالات النجاح الفريدة للاجئين والأجانب في انعاش اقتصاد القارة، وازدهار مناحي الحياة كافة، وقد تزامن حالة العداء تجاه الأجانب مع دخول محطات ووسائل إعلام غربية حلبة المعايير المزدوجة فيما يتعلق بحقوق الإنسان، إذ دأبت على بث الخطاب الإعلامي المحرض على الكراهية، والتمييز بحق المهاجرين، بدلاً من دعم مبادرات الاندماج، فاستثارت التسويق للكلمات المنحازة، والقاسية التي تناقض بشدة ما يُدرس في أكاديمياتها ومدارسها الإعلامية والفكرية، من احترام لحقوق وكرامة الإنسان، ومناصرة الفئات المهمشة والمستضعفة.

يمكننا القول هنا، أنه لا تقف المشكلة عند حدود المفاضلة ما بين فئة وأخرى، أو الإغلاء من شأن جماعة والانتقاص من قيمة جماعة أخرى فقط، بل يتعدى الأمر لمعايير التصنيف على أسس لا أخلاقية، وعصبية ثقافية وعرقية بين من هم أكثر أو أقل إنسانية، أو من يستحق اللجوء، والرعاية، دون احترام الاعتبارات القيمية والأخلاقية، وهذا ما يعمم العنصرية بحد ذاتها، والتي أخذت تتطوي بالدرجة الأولى على "كراهية الأجانب Xenophobia"، وأصبحت بنسختها الجديدة موجهة حتى إلى البيض الفقراء.

كما أن هذه المقاربات لها أبعاد شديدة الخطورة، سيما على حالات الاندماج في الحاضر أو المستقبل، ومن شأنها أن ترسم سيناريوهات مخيفه تمهد لردات فعل عكسية، تحول أي نقطة النقاء بين المواطن والمهاجر إلى بؤرة صراع، يصعب حتى على الجهات المسؤولة السيطرة عليها، واحتواءها.

في ظل ما سبق ذكره، ثمة تناقضات كثيرة لا يتسع المجال لبيانها جميعاً، فعموماً أن القيم الإنسانية التي كان يتغنى بها الغرب، باتت اليوم موضع شك لدى الرأي العام العالمي، سيما أنه

لا يمكن أن تختبر الأخلاق فقط في أوقات الاسترخاء، والسلم، بل الحروب والصراع وحدها كفيلة بتعرية الحقائق، وصدق النوايا.

### التميط الإعلامي وأحادية الإعلام الغربي المنحاز

في عصر الرقمنة والعالم الافتراضي، أضحت المعايير والضوابط الأخلاقية مختلفة، إذ باتت السيطرة على أدوات الاتصال والفضاء الافتراضي هي أساس اللعبة، تحديداً مع الطفرة التكنولوجية، والتطور السريع الذي يلاحق المحتوى والتقنية الإعلامية، والتغيير البيئي الذي طرأ على تركيبة المجتمع.

أمام هذا الواقع، تحوّلت كثير من فضاءات الإعلام ومنصاته الاجتماعية من ساحات لنشر القيم الإنسانية، والأعراف الاجتماعية السليمة إلى منافذ لبناء الكراهية، والدعوات التحريضية، والتتمير، والتجيش السلبي ضد الطرف الآخر، كلٌّ وفق الخط التحريري الذي يوظف الأجندة السياسية و رأس المال، كخوادم تحقق لها الاستدامة في الفضاء الإلكتروني، ففي ظل العنصرية الثقافية، والرسائل المتواترة التي تعلي من سقف الخطاب الدعائي، يجد الصحفيون أنفسهم أمام خيارين، فأما أن يضعوا ولاءاتهم وانتماؤاتهم السياسية جانبا، وينحازوا إلى المعايير المهنية في التغطية والمعالجة لأي حدث أو واقعة، وبالتالي تحقيق التوازن والإنصاف في المحتوى الإعلامي، أو يكون القصور المهني والاصطفاف ضمن التحالفات السياسية هو السائد، فتسقط القيم الأخلاقية، ويتناحر الفاعلون في الساحة الإعلامية بدلاً من تحقيق التوازن المهني والالتزام بقواعد السلوك الوظيفي أثناء نقل الرسالة الإعلامية إلى المتلقي.

تأكيداً على ذلك، نستحضر الصورة القاتمة تجاه المهاجرين في كبريات وسائل الإعلام الغربي المنحاز، التي فضلت مناصرة الميول الجغرافية القارية، والولاءات العرقية، على حساب دعم القيم والمبادئ الإنسانية، ففشلت إلى حد بعيد في الموازنة بين الميول السياسية والتجرد الذهني.

كما أمست المعايير الأخلاقية المتعلقة بحقوق الإنسان، والتي من المفترض أن تكون موحدة وجامعة، أمست مزدوجة، وتبين ذلك في ضوء أزمة العنصرية، التي سادت الإعلام الغربي خلال الحرب الروسية - الأوكرانية، إذ أصرت الأذرع الإعلامية على الترويج لتحضّر أوروبا، وصفاء الدم الغربي، مقابل النظر بدونية واستعلاء إلى شعوب الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا، هذا ما كشفته التغطية الإعلامية لمحطات تلفزيونية كـ (CNN، FRENCH MSM، ITV، CBS)، حيث حجم العنصرية والكراهية كان من أبرز سمات مقدمي، ومراسلي، وضيوف (RT)،

المحطات، فقارنوا بين الأوروبيين والشرق أوسطيين، من حيث ضحايا الحروب، والصفات الجسمانية، ونقاء الدم، ونستشهد هنا ببعض النماذج المتلفة من المداخلات المتحيزة، ومنها مداخلة "تشارلي داجاتا" مراسل قناة سي بي إس (CBS) الأمريكية حينما كان يتحدث عن أوكرانيا، وتفضيله لهم على الأجانب المعتادين على الحروب، فقال: "مع كامل الاحترام هذه ليست العراق أو أفغانستان، بل دولة أوروبية متحضرة"، ووافقه زميله الرؤية الضيقة النابعة من عقد "تمجيد الذات"، حينما علق مراسل قناة "بي أف أم" الفرنسية الصحفي فيليب كوربي على لجوء الأوكرانيين إلى أوروبا، واعتبر أن حالتهم لا تشبه فرار السوريين من قصف النظام السوري المدعوم من بوتين، بل أنهم أوروبيون يغادرون في سيارات تشبه سياراتنا لإنقاذ حياتهم، وكأنه يقول لا مانع من أن يُلقى أي مواطن غير أوروبي في أتون الحرب، كونه لا يملك بشرة بيضاء، وينتمي لثقافة العالم الثالث المعتاد على العنف، والتجيرات، والحروب الأهلية.

من هنا أثبت كثير من الصحفيون الغربيون أنهم لا يتحدثون إلا في مستوى القضايا التي تهمهم، والمصادر التي تلائمهم، ويعوزهم غياب القدرة التحليلية النقدية، التي تعكس واقع التطورات السياسية والاجتماعية، وطبعاً في ضوء هذا المشهد المشوه إعلامياً باتت الانتقائية مصدر رغوي يتماهى مع سياسة الوسيلة، والأهواء الشخصية، دون محاسبة أو رقيب.

لعل هذه الحوادث المتكررة، التي لم يسلم منها ضحايا الحروب، حتى البيض منهم أحياناً، تُبنى على مفهوم أشمل، ينهض على أن الغرب المثالي دائماً ما ينطلق من ذاته، ومن ثم تتسع الدائرة حتى تنتهي إلى حدود القارة، في حين ستبقى دائماً تلك الكيانات الأخرى خارج الفضاء عينه، أو خارج مدار الغرب، تنتمي إلى الآخر الذي يعني الجحيم كما يقول سارتر، رغم تسويق دعاوي الحرية والتعددية، والتسامح مع الاختلاف.

### الإعلام الجديد يغذي "العنصرية الجديدة"

على الرغم من الدور الهام والإيجابي لمنصات التواصل الاجتماعي، في إحداث التغييرات على المستويات كافة، وإيصالها للأحداث والتحويلات السياسية والاجتماعية فور حدوثها بشكل يلبي حاجات المتلقي، إلا أنه تهاوى حجم الثقة لدى شريحة واسعة من رواد المنصات الرقمية تجاه مدى تمتع هذه المنصات بالحيادية، فأصبحت اليوم موضع شك وريبة، سيما مع غياب الأطر القيمية، وتراجع العدالة والتوازن في العرض الرقمي، وهذا ما تكرر حدوثه في العديد من المناسبات.

انسجاماً مع ذلك، لم يعد لقسم النزاهة المدنية المكلف بضمان الموضوعية والحيادية في تدفق المحتوى، أي دور رقابي وموضوعي في الفضاء الاجتماعي، سيما مع تصاعد تدفق الأخبار، والصور، والمصطلحات، التي تُوَجَّج من مشاعر الكراهية ضد الآخر، وتغذي العنصرية الثقافية، والجغرافية، والهوياتية، بين الأفراد والجماعات، وتتمثل في الحكم على الغير انطلاقاً من تمكين الخطابات، التي تقوم على فكرة التجانس والتغاير، وهي تتصل بالتشكيل الجمعي، كما العوامل الجغرافية واللغوية والدينية، التي قوامها ثنائيات: الشرق - الغرب، والشمال - الجنوب، الغني - الفقير (1)، وعلى الرغم من التقدم في سن التشريعات والقوانين تجاه تجريم العنصرية، إلا أنها ما زالت قائمة - ولكن بشكل مبطن - في مختلف مجالات الحياة، سيما في التداول، والنشر الإلكتروني.

إثباتاً لذلك، كشف النجم "جيف هورويتز" عن اتباع "فيسبوك" قواعد تمييزية، وسياسة غير عادلة ضد مستخدميه، رغم تأكيدات "مارك زوكربرج" بتعامل شركته مع جميع المستخدمين على نحو متساو وعادل، وإنها منحتهم فرصة التعبير أسوة بصفوة المجتمع، حيث يقول جيف إن برنامج "Cross Check/XCheck" أعد خصيصاً لقياس جودة المنشورات التي ينشرها المشاهير، والسياسيين، والمستخدمين البارزين على فيسبوك، يستثنى منها أعضاء "القائمة البيضاء" الذين بلغ عددهم 5.8 مليون مستخدم، ومنهم مدير الشركة نفسه، يستثنون من القوانين والمعايير المتعلقة بالتحرش، والتحريض على العنف، والعنصرية، وكذلك القيود المفروضة من قبل الشركة على النشر، وأعطتهم حصانة مطلقة (2)، وما شراء شركة "ميتا- فيسبوك سابقاً" لبعض تطبيقات التواصل الاجتماعي ك"الواتس آب" و"انستجرام" إلا ضرورة ملحة لضمان سيطرتها على السوق، واحتكارها له، وهو من شأنه مستقبلاً أن يعيق من حوكمة المعلومات، والإنترنت أيضاً، ويوجه المستخدمين إلى الأحداث، والقضايا من منافذ مواربة ومضللة، تتحكم بالعقول والسلوكيات، وتوجهه بصورة لا واعية من خلال تقنيات الذكاء الاصطناعي.

### هندسة "الخوارزميات المفضلة" لفرض الأجندة

تتبع منصات التواصل الرقمية تقنيات متقدمة في الذكاء الاصطناعي والتعلم الآلي، وقد أثبتت التجربة أن خوارزميات التواصل الاجتماعي منحازة، ولا تؤيد محاربة الكراهية والعنصرية (إلا ضمن الحدود، والخطوط المرسومة لها)، كما لا بد من الإشارة إلى أنه تغيرت أيضاً قواعد سلوك التسويق، وفقاً للطلب والحاجة التي فرضها المحتوى الرائج والمتغير على نحو مستمر، والمسمى

بالترند (Trend)، حيث أتاح "الفيسبوك" وصول العملاء إلى المحتوى الجاذب بغض النظر ما إذا كان ملائماً لحاجات المستخدمين، ومشاعرهم، وأعمارهم.

في هذا النحو، أكدت عالمة البيانات الأمريكية، ومسربة "فضائح فيسبوك"، السيدة "فرانسيس هاوغن"، قبل عام من الآن، أن "فيسبوك" يضخم المعلومات المضللة، والكراهية، كي يجني المزيد من المال، عندما يستهلك المستخدم المزيد من المحتوى المثير للاستقطاب، حيث يستمتع الناس بالتفاعل مع الأشياء التي تثير رد فعل عاطفي، وكلما زاد الغضب الذي يبديه المستخدمون تجاه المحتوى، زاد تفاعلهم وزاد استهلاكهم للبيانات، وبالتالي إعطاء الأولوية لنمو الأرباح على حساب السلامة المجتمعية" (3).

نستذكر في هذا السياق، ازدواجية المعايير التي اتبعتها "الفيسبوك" حينما حجبت الكثير من المواد التي تفصح الانتهاكات والجرائم التركية تجاه الكرد في سوريا، وتركيا، وإغائها لآلاف الحسابات والصفحات الداعمة للفلسطينيين أمام الترويج للمحتوى الإسرائيلي الدعائي، فضلاً عن نشر الصفحات الزرقاء للكثير من المشاهد العنيفة والصادمة، التي تحرض على الكراهية والعنصرية، كما فعلت ذلك - ولا تزال - في الحرب الروسية- الأوكرانية، وحجبتها أيضاً الأعمال الوحشية بحق الأقليات العرقية والدينية في أمريكا، وبعض الدول الآسيوية، والأفريقية، من خلال أسلوب البحث الموجه به البيانات، والذي يشجع على متابعة المحتوى الموجه الأكثر عرضة للاستهلاك والاستمتاع.

في ظل هذا الجدل، شجعت منصات التواصل الاجتماعي الانتقائية الرائجة، لفرض الأجندة الشخصية، سيما الاقتصادية والسياسية منها، وغلبت العائد المادي - كونها شركة تجارية، وليست منصة حقوقية- على حساب حقوق الإنسان، ونشر خطاب السلام والتسامح، كما تعاضمت مزاجية حارس البوابة الرقمية في تيسير وصول المتصفحين إلى الصفحات الوهمية التي تحصد ملايين المشاهدات، ومثلها من التفاعل والمشاركة، رغم سطحية العرض الذي يحتوي على العنف والكراهية، والعنصرية في غالب الأحيان، وهذه المعادلة بالطبع غير منصفة، وغير عادلة في "الفضاء الرقمي الحر" الذي أصبح يفرض -إلى حد بعيد- ذات القيود والعوائق التي قيدت من خلالها الحكومات والأنظمة المستبدة مواطنيها، وقولبت حياتهم، ونمط تفكيرهم بأجهزة دعائية مؤدلجة.

أخيراً.. لم تكن البشرية قادرة خلال آلاف السنين من التخلص من آفات العنصرية، وآثارها، التي يُصلى بناها ملايين الناس، إلا أننا اليوم قادرون - على أقل تقدير - على الحد من آثارها، والتخفيف من أبعادها الكارثية، سيما مع توافر تقنيات الاتصال الحديثة، والقرب الجغرافي والزمني الذي أحدثته، حتى أصبحت بعض منصات الإعلام الحر مساحة تعبير نوعية لكثير من الفئات الاجتماعية المهمشة كي تدافع عن حقوقها، وتوصل صوتها إلى العالم، وتواجه الصورة النمطية السلبية التي روجت عنها.

لذا، فإن دعم المبادرات التعليمية، والتوعوية، وتعزيز مراقبة جرائم العنصرية، وتعويض ضحايا التمييز والهجمات - التي تحمل دوافع عنصرية- مسؤولية أخلاقية على المستويين الرسمي والشعبي، فضلاً عن تعميم قيم السلام والحوار فعلاً وليس قولاً، وتعزيز مبادئ إعلام السلام في وجه إعلام الحرب والكرهية، هي أيضاً نقاط إيجابية لإرساء روح التعايش السلمي، والتعاقد بين المجتمعات الإنسانية، فنحن اليوم بأمر الحاجة إلى قادات رأي متجردون من القيم الدخيلة، والأنانية، وإلى صحفيين ووسائل إعلامية تؤمن بنشر قيم التسامح في وجه العنصرية الجديدة، وتفضح الجهات المسؤولة عن بث السموم، ونشر الشتات.

كما أصبحت مناهضة العنصرية، وفضح أوجهها وأبعادها المتعددة، إلى جانب تعويض المتضررين مادياً ومعنوياً دون تسييس، ضرورة حتمية لا بدّ من العمل عليها بجدية في المحافل الدولية، التي يدخل ضمن نطاق مسؤولياتها الإنسانية والقانونية، تخصيص مكاتب مراقبة ومتابعة لشؤون ضحايا العنصرية، ومحاكمة الجناة وفقاً للمواثيق الخاصة بحقوق الإنسان، علاوة على تأمين كرامة الإنسان، والقناعة بأن التفرقة العنصرية مذهب خاطئ لا يوجد أي مبرر لها في أي مكان، فمصير الجزء مرتبط بالكل والعكس صحيح، إذ أن الشرق، والغرب، والشمال، والجنوب يلتقون في نقطة واحدة، وهي المصير الجمعي، فإما الهلاك أو العيش بسلام.

## المراجع:

- 1-رامي أبو شهاب، مقال بعنوان "على الحدود..مفارقة العنصرية الجديدة"، صحيفة "القدس العربي"، نشر بتاريخ 14 مارس/آذار 2022، الرابط الإلكتروني:  
<https://cutt.us/eaLUH>
- 2-جيلان دهب، مقال بعنوان "ماذا تقول لنا فضيحة "قيس بوك" التي كشفت عنها صحيفة "وول ستريت جورنال" مؤخرًا؟"، موقع "المرصد المصري"، نشر بتاريخ 27 سبتمبر/أيلول 2021، الرابط الإلكتروني: [/https://marsad.ecss.com.eg/62431](https://marsad.ecss.com.eg/62431)
- 3- "تعرف على آخر فضائح عملاق التواصل "فيسبوك"، تقرير نشر على موقع بزنس ريبورت الإخباري بتاريخ 4 أكتوبر/تشرين الأول، الرابط الإلكتروني: <https://cutt.us/YhIbT>

## مع انشغال الروس بأوكرانيا.. تحركات جديدة في سوريا

مركز الفرات للدراسات

باتت روسيا طرفاً ضرورياً في أي مبادرة دبلوماسية تتعلق بسوريا، خاصة بعد تدخلها العسكري في الأزمة السورية، وذلك بطلبٍ من الحكومة السورية، عام 2015؛ وأصبحت مع الزمن ضامنة للاتفاقيات المبرمة، لتجنب أي صدام بين الأطراف المتصارعة، بالإضافة إلى مهام أخرى تقوم بها، مثل ضمان وصول المساعدات الإنسانية لمناطق المعارضة، رغم حملاتها المستمرة مع قوات الحكومة السورية لضرب معقلهم، إلا أن الجميع كان ينسق معها، لتجنب أي مواجهة مباشرة، وهي من الدول التي أبقت التوافق الضمني بين أطراف الصراع على المصالح الأمنية لكل طرف، و"مناطق خفض التصعيد" في سوريا.

لكن مع بدء الحرب الروسية الأوكرانية، اعتقد البعض أن الوجود الروسي في سوريا بات مرهوناً بمآلات حربها في أوكرانيا.

الأمر الذي غير طريقة تفكير الأطراف المتصارعة في سوريا، وباتت كل قوة تبحث عن حماية مواقعها وتعزيز نفوذها دون المساومة مع الروس، والمعطيات الحالية تشير إلى تحركات جديدة لبعض القوى وفق ميزان المصالح.

### 1- إيران

مع انشغال الروس بحربهم خارج سوريا، استعدت إيران لملء الفراغ في بعض المواقع الاستراتيجية في سوريا، عبر تحريك ميليشياتها، وتكييف سياستها تجاه سوريا مع الظروف المتغيرة الناتجة عن هذه الحرب، وتوسيع أنشطتها وفق استراتيجية تقوم على:

### نشاط عسكري

في تكتيكٍ عسكري جديد، بدأت إيران بتعزيز مواقع ميليشياتها في سوريا، وتزويد بعضها بمنصات صواريخ، وأسلحة ثقيلة، وطائرات مسيرة، حيث باتت كمؤشر لتصعيد محتمل على

أكثر من جبهة، وهذا ما أكده العاهل الأردني - مؤخراً - الملك "عبد الله الثاني"، أن الفراغ الروسي سيملؤه الإيرانيون ووكلائهم، محذراً من تصعيد محتمل على الحدود.

وقد باشرت إيران بالانتشار في بعض المواقع الاستراتيجية، بعد انسحاب مجموعات تابعة لروسيا منها، حيث أشارت تقارير إلى تجهيز إيران قواتها وعمالها في سوريا بمعدات وأسلحة نوعية، وتحرك جديد، لإعادة تنشيط قواتها الحليفة، ووكلائها في مناطق شاسعة من سوريا، لتوسيع نطاقها الجغرافي.

ففي شرق حمص، وبحسب مصادر إعلامية، وصلت مصفحات وعربات وعناصر من حزب الله اللبناني إلى مستودعات "مهين" العسكرية، عقب انسحاب القوات الروسية من هذه المنطقة، وباتت تلك المنطقة وتركبة روسيا من مستودعات وغيرها تحت سيطرة إيران. أما ميليشياتها المتمركزة في تدمر وريف حمص الشرقي، زودتها إيران بأسلحة عالية الجودة، كالرشاشات المضادة للدروع، وبزات عسكرية، وقطع أسلحة متنوعة، تحت إشراف قيادات من الحرس الثوري الإيراني.

وفي حلب، تسلّمت الميليشيات الإيرانية - مؤخراً - أجزاء جديدة من مطار النيرب العسكري شرقي حلب، وأخلت المنازل المحاذية للمطار، واستحدثت مقرات عسكرية إيرانية على طريق حلب دير حافر.

أما الحسكة في شمال وشرق سوريا، فقد قيّدت فيها روسيا حركة إيران، خاصة وجودها في مطار القامشلي، عقب ما تسمى عملية "نبع السلام" التركية في مناطق الإدارة الذاتية، والتي انتهت بتفاهات تركية روسية، أفضت إلى تواجد الأخيرة في مطار القامشلي، لنتهي السيطرة الإيرانية على المطار، بالإضافة لتقديم الروس أجهزة ومعدات للنظام السوري في الحسكة، لتضيق الخناق على الوجود الإيراني في المنطقة، مما أجبر الأخيرة للانسحاب والاستقرار في "فوج طرطب".

إلا أن انشغال الروس في أوكرانيا أعطى فرصة لإيران لتعزيز نفوذها، وفك عزلتها في شمال وشرق سوريا، عبر إدخال ميليشياتها من "الحرس الثوري" لشحنات من الأسلحة والمعدات العسكرية إلى مطار القامشلي، حيث وصلت ثلاث شحنات إيرانية خلال شهري شباط وآذار من

العام الحالي، محملة بأسلحة وذخائر ومعدات لوجستية، وطائرات تجسس وتدريب، تم نقلها إلى فوج طرطب ومواقع أخرى جنوبي القامشلي، الخاضع لسيطرة ميليشيات تابعة لـ"الحرس الثوري" الإيراني، إلى جانب "الفرقة الرابعة".

### تغيير ديموغرافي

واجهت إيران تصعيداً روسياً، لمزاحمتها، وإيقاف تمددها في شرقي حلب، وجنوب سوريا، وشمال شرقها، عبر تغيير خارطة الطريق التي اعتمدها روسيا، لتعزيز سلطة مخابراتها، ومدّ نفوذها في تلك المناطق، من خلال حل ميليشيات "الدفاع الوطني" التابعة لإيران، ليصبح كل شيء تحت إشرافٍ روسي.

إلا أنه مع انشغال روسيا في حربها مع أوكرانيا، بدأت إيران الاستعداد لتبديل الأدوار مع الروس، في اختراق المجتمعات المحلية لتلك المناطق المذكورة أعلاه ومناطق أخرى. فبحسب مصادر إعلامية، عمدت ميليشيات إيرانية بقيادة "لواء الفاطميون" إلى شراء بيوت وأراض، وتوطين مجموعات من إيران، وأخرى شيعية من العراق وأفغانستان واليمن، وهو أسلوب اعتمده في نموذج جنوب لبنان، ونجحت بجعل المنطقة كاملة تحت سيطرة حزب الله. فتوطين مجموعات شيعية موالية لها في سوريا، أيضاً سيضفي شرعية على وجودها في المنطقة. وهي استراتيجية لها تبعات خطيرة تهدد بافتعال حرب إقليمية جديدة من قبل وكلاء إيران في سوريا، وتثير فوضى قد تنتشر على كامل الأراضي السورية، وخاصة الحدودية، المحاذية لإسرائيل والأردن، ففي مقابلة للملك عبد الله الثاني مع الجنرال الأمريكي المتقاعد "هربرت ماكماستر"، قال "إن الفراغ الذي تركه الروس في جنوب سوريا سيملؤه الآن الإيرانيون ووكلائهم، وأمامنا هنا تصعيد محتمل للمشكلات على حدودنا". وهذا ما يعكس القلق الأردني، من عودة المعارك على حدودها مع تقليص الوجود العسكري الروسي في جنوب سوريا.

لكن، رغم الحديث عن كل هذه الاستعدادات الإيرانية، والفرص التي تنوي استغلالها، والاستراتيجية التي تعتمدها، إلا أنها لا تزال تتعامل بحذر في خطواتها، فمن غير المرجح أن تتخلى روسيا عن وجودها في سوريا بالشكل الذي تراه إيران، فروسيا استثمرت كثيراً عليها على مر السنين، وكان هناك تنافس طويل بينها وبين إيران على النفوذ، وحتى لو نقلت بعض جنودها

من سوريا، إلا أن احتمالية ترك الميدان لإيران شبه مستحيل، فأى تحركٍ روسي غالباً يجري بالتنسيق مع إيران، تحاول الأخيرة استغلاله لأهداف أخرى.

## 2-الأردن

الأردن من الدول التي خرجت سالمةً من رماذ الربيع العربي، إلا أن سوريا كانت دائماً مصدر قلقٍ أمني لها، وحرص الأردن منذ بداية الأزمة السورية على انتهاج استراتيجية تقوم على الحذر والتردد في إعلان أي موقف صريح تجاه الأزمة السورية، إلا أن تطور الأحداث في سوريا، وتداخل القوى الأجنبية فيها، جعل الأردن يعيد تقييم الموقف، خاصة مع ظهور داعش، وتعمق إيران ووكلائها في سوريا، والذي أثر على العلاقات بينها وبين الحكومة السورية بشكل واضح خلال فترة الأزمة بين جفاء وتواصل.

في 5 أبريل 2017، وصل العاهل الأردني إلى واشنطن في زيارة رسمية، تزامنت مع تقارير حول حشد كبير للقوات الأمريكية والبريطانية على الحدود السورية لجهة الأردن، وأثار تساؤلات حول توغل مشترك في الجنوب السوري، لمواجهة داعش. وقد انتقدت دمشق هذه العملية في مقابلة للرئيس السوري "بشار الأسد" مع محطة سيوتنيك 21 أبريل 2017، حيث ذكر بأن الأردن جزءاً من المخطط الأمريكي الهادف إلى نشر قوات على الأراضي السورية.

وفي 8 مايو 2017، صرح وزير الخارجية السوري السابق وليد المعلم، رداً على مناورات "الأسد المتأهب" السنوي التي نظمتها واشنطن في 7 مايو، حذر فيه عمان قائلاً أنه على الرغم من غياب أي مواجهة بين سوريا والأردن، لكن في حال دخلت القوات الأردنية دون تنسيق مع دمشق نعتبرها معادية"، أما الجانب الأردني فامتنع عن الرد.

وبالتزامن مع مناورات "الأسد المتأهب"، بادرت روسيا برعاية اتفاقية، لوقف الأعمال العدائية في الجنوب السوري، ضمن إطار عملية أستانا، كجزء من اتفاق مع إيران وتركيا، للتوصل إلى مناطق "خفض التصعيد" بينها درعا في الجنوب، ويضمن كل طرف التزام مواليه بالتوقف، وبموجب هذا الاتفاق وافقت روسيا على إبعاد جميع العناصر من أصل غير سوري، كالإيرانيين وحزب الله والمليشيات الشيعية الأخرى، من المناطق الحدودية، وهو ما وافقت عليها الولايات المتحدة أيضاً، على أن تقوم روسيا بدوريات عبر شرطتها العسكرية لمراقبة الاتفاقية.

وهذا التحرك أشاد به ملك الأردن حينها، حيث اعتبرها خطوة ناجحة لوقف إطلاق النار في سوريا، الأمر الذي غير المزاج العام في الأردن، لإعادة النظر في سياستها تجاه سوريا، وتحركت لتحسين علاقاتها مع الحكومة السورية، بتصريحات من مسؤولين أردنيين كتصريح رئيس مجلس النواب الأردني عاطف الطراونة لصحيفة مصرية، حيث قال فيه: "إن عمان ودمشق منخرطتان في تنسيق أمني على طول حدودهما المشتركة، وإن الأردن يدعم جهود النظام السوري لاستعادة سيطرته، وعودته للجامعة العربية"، كما بحث الطرفان سبل إعادة العلاقات التجارية والصناعية بين الطرفين، بعد انقطاع دام لخمس سنوات؛ ومارس الأردن ضغوطاً على مسلحي المعارضة في درعا، لتسليم المعبر الحدودي للحكومة، المغلق منذ عام 2015، والسماح لفتح السفارة السورية.

إذن، وقف إطلاق النار في جنوب سوريا كان أولوية أردنية لأمنه القومي. وكل مطالبه من المعارضة بالقبول يعود سبب تغييره بالدرجة الأولى إلى تأثير الدور العسكري الروسي.

### استعدادات الأردن في سوريا مع انشغال الروس في أوكرانيا

الارتياح الأردني من المبادرة الروسية في الجنوب السوري لم يدم كما أراد، فمع انخراط روسيا في حربها مع أوكرانيا، عاد الأردن الى الواجهة مجدداً، ليعبر عن قلقه من التصعيد على حدوده الشمالية، ترافق مع هذا القلق استعداد لتحرك جديد يقوم على أساس:

### أ- إعادة بناء الجنوب

صحيح أن الأردن لم يتدخل في الأزمة السورية بشكل مباشر، ولكنه كان من الدول التي تدعم جماعات مسلحة معتدلة، وتتعاون مع الولايات المتحدة، لمنع تسلل داعش عبر الحدود، حيث شارك ما يسمى بـ"جيش سوريا الجديد"، إلى جانب القوات الأمريكية والبريطانية والقوات الأردنية الخاصة في 10 نيسان 2017، لدرء هجوم داعش على قاعدة التنف عند الجانب السوري من الحدود الأردنية - العراقية.

فالتحدي الأمني المعقد للأردن يكمن في جنوب سوريا، وما يثير قلقه وجود ما سماه الملك الأردني بـ "الفاعلين غير الحكوميين" في مقابلة مع صحيفة واشنطن بوست 5 أبريل 2017، في إشارة إلى داعش وحزب الله والمليشيات الإيرانية، والحرس الثوري الإيراني، كما طالب وزير

الخارجية الأردني، أيمن الصفدي في 12 مايو 2017 نظيره الروسي سيرجي لافروف، بتدخل روسي في هذا المجال، لعدم قبولهم منظمات إرهابية وميليشيات مذهبية على حدودهم مع سوريا، وأن الأردن سيرد على أي تهديد لأمنه.

إلا أن موقف الأردن بعدم المغامرة في سوريا، تحوّل مؤخراً إلى نية للانضمام إلى عملية عسكرية في جنوب سوريا، خاصة مع انشغال الروس بحربهم في أوكرانيا، والتخوف من نشاط إيراني أكبر في جنوب سوريا. وهو موقف أردني ناتج أيضاً عن ضغوط أمريكية، فالاثنتان يتخوفان من ممر بري إيراني يمتد من طهران إلى بيروت، عبر العراق وسوريا.

حيث ترى الولايات المتحدة، أن توسع الأردن وحلفائها المحليين في جنوب سوريا، يخدم تمكين الضربات المزدوجة للجماعات الإرهابية. ويقطع الرابط البري بين العراق وسوريا، الذي يعتمد عليه الميليشيات المدعومة من إيران لإيصال العتاد.

بالإضافة إلى أنه تحرك يحظى بترحيب بعض الدول في الخليج، وإسرائيل، إلى جانب الولايات المتحدة، فهي تدعم أي خطوات قد يتخذها الأردن في أحداث الجنوب السوري مثل:

- تدخل عسكري أردني جنوب سوريا، بعمق 10-15 كم، ويتعاون أمريكي إسرائيلي.
- استخدام الأصول العسكرية الموجودة، والتي نشرت سابقاً لمحاربة داعش، وتكثيف دعمها بإشراف مباشر من الأردن، لعرقلة خطط إيران.
- تعزيز التعاون مع الشركاء الإقليميين، كالغرب، ودول الخليج (خاصة السعودية)، للمساعدة في الدعم، وتطوير التعاون مع القبائل السنية المحلية على طول الممر المخطط له.
- البحث عن أرضية مشتركة مع روسيا، في سياق كبح جماح أطماع إيران، وبما لا يتعارض مع المصالح الاستراتيجية لروسيا، أما بإقناعها في الاستمرار في البقاء، أو تسليمها لها، بما يضمن وجود عسكري طويل الأجل في هذا المسرح.

#### ب- تغيير قواعد الاشتباك

في الآونة الأخيرة تعاضد النشاط العسكري والاستخباراتي الأردني على الحدود مع سوريا بذريعة مكافحة تهريب المخدرات من سوريا.

ومع استمرار عمليات تهريب المخدرات على الحدود الأردنية السورية، أعلن الأردن أنها شكّل من الحروب، وذهبت تقديراته إلى أن الأيام المقبلة ستشهد تصعيداً كبيراً على حدوده الشمالية. وبتصنيفه أن هذه الأحداث حرب، هذا يعني أن الاستجابة ستكون على المستوى نفسه، كالاستعدادات العسكرية المناسبة، وحشد الموارد، وتكييف التكتيكات، بحيث تتناسب مع طبيعة الخصم وأساليبه في هذه الحرب، ورفع مستوى المواجهة؛ من خلال الإعلان عن تغيير قواعد الاشتباك والتعامل، ومنح الجيش سلطة استخدام القوة الساحقة. مما يبدو أن مرحلة تحويل المخاطر السورية إلى فرصة عبر التجارة والفوائد المشتركة، ومقاربة الوضع والموقف مع الحكومة السورية، قد انتهت، وتيقن أن المشكلة مع دمشق ليست حصاراً اقتصادياً - كما تدّعي الحكومة السورية- وإنما حسابات ذو طابع انتقامي، حيث عبر عنه "خالد العبود"، عضو مجلس الشعب السوري في منشور له على الفيسبوك، في 25 مايو 2022، متهماً الأردن "بنشر الفوضى في سوريا، وأن الأردن شكّل منصة عدوان خطيرة على سوريا، وسمح بدخول آلاف الإرهابيين إليها، وأن دمشق لن ينسى أن الأردن ساهم بالكارثة السورية"، وهو كلام غالباً منقول من الأجهزة الأمنية السورية.

وأحد الاستعدادات خلال هذه الفترة، كان في دخول عتاد عسكري للمرة الثانية من الحدود الأردنية، لصالح "قوات مكافحة الإرهاب - حزب سوريا الجديدة"، في منطقة "الرحى" في محافظة السويداء. كما أشارت معلومات حول لقاء جرى في الأردن، جمع مسلحين في درعا، بالإضافة إلى رعايتها -اتصالاً- بين دروز الأردن ودروز سوريا.

وهي استعدادات تتزامن مع الحديث عن انشغال الروس في حربها بأوكرانيا، والتخوف من انسحابها، وتشكيل فراغ للجماعات المعادية لها، لكن بالرغم من هذه التحركات الأردنية، إلا أنها لا تزال تعول على إيجاد أرضية مشتركة مع روسيا، كأولوية للتدخل، لكبح جماح أطماع إيران، بما لا يتعارض مع مصالح روسيا الاستراتيجية، وهي تأتي ضمن خطط روسية سابقة لمزاحمة إيران في سوريا، ومنع تمددها. فترى روسيا أيضاً أن أي مشاركة أردنية ستتوافق مع التزامات روسيا، ولا تتعارض مع مصالحها الاستراتيجية.

### 3- تركيا

تركيا من الدول التي جمدت أنشطتها مؤخراً في سوريا، بحكم الاتفاقيات مع الدول الضامنة لمحادثات أستانا، للتوسط بين الأطراف المتحاربة، إلا أن روسيا كانت هي القوة الموازنة في هذا الثلاثي، حيث منعت من التمدد العشوائي للنفوذ الإيراني والتركي أيضاً.

لكن تأثير الحرب في أوكرانيا على الصراع في سوريا، وسباق القوى الفاعلة فيها، لملء الفراغ الذي ستتركه موسكو بحسب محللين، أدى بتركيا إلى الاستعداد أيضاً، للاستفادة من الموقف الجيوسياسي غير المتوازن لروسيا، لتأمين بعض مصالحها في سوريا، من خلال:

#### تطوير القواعد العسكرية الروسية في سوريا

جاء هذا التحرك كخطوة لترتيب أوراق اللعبة في سوريا وتجديد الاشتغال، بهدف التضيق على قواعد روسيا في حميميم وطرطوس قدر الإمكان. فالخطر الجوي الذي فرضته تركيا أمام الطيران الروسي، سيقبل بحسب رؤيتها من عدد العتاد والجنود، ويزيد من تعقيد الخدمات اللوجستية إلى سوريا.

وهو إجراء يزيد من التكلفة، ويصعب إيصال العتاد اللازم في موعده، ويؤخر أي عمليات حربية لتحقيق أهدافها. ستستغلها أنقرة بطلب المزيد من روسيا لتقديم تنازلات ودفع الفصائل المسلحة التابعة لها، للتقدم نحو أهداف جديدة.

وقد أشار أحد الأكاديميين الروس في العلوم العسكرية والأدميرال المتقاعد "قسطنطين سيفكوف"، إلى أن إغلاق تركيا للمجال الجوي أمام الطائرات الروسية، هو "خطوة معادية، ومن المتوقع أن تشهد تحركاً تركيا غير ودي، فربما تهاجم القواعد الروسية في حميميم واللاذقية، في محاولة لزيادة نفوذها في سوريا".

#### تنفيذ مخطط مشروع "المنطقة الآمنة"

مع توسع الدور الإيراني، باتت تركيا أيضاً تبحث عن فرصة لتوسيع نطاق نفوذها، وطريقة لإبعاد اللاجئين السوريين عن أراضيها.

وضمن هذا الإطار، بات الشمال السوري الهدف الموازي لجبهة الجنوب، مما دفع الرئيس التركي "أردوغان" إلى مناقشة هذا المشروع مع بوتين، عبر توغل عسكري جديد، لإنشاء "منطقة آمنة" على المنطقة الحدودية.

ويأتي هذا النقاش بالتزامن مع عرض الرئيس التركي صفقة على حلف الناتو، بتأسيس "منطقة آمنة" شمال سوريا، على أن تكون تحت وصايتها، مقابل موافقتها على توسيع الحلف.

وهي تحركات تركية تأتي ضمن إطار احتلال جزء من الأراضي السورية، بحجة تأمين حدودها، لبيسط سيطرتها على المزيد من الأراضي، تحت ستار الحزام الأمني ضد الكرد السوريين.

فأنقرة ترى أن الحرب المطولة في أوكرانيا، يمكن أن تكون لصالحها، من خلال:

- إضعاف الموقف العسكري الروسي في سوريا، الذي سيؤدي إلى فتح فرص دبلوماسية جديدة، تميل نتائجها لصالح أنقرة، ويعزز نفوذها أكثر في سوريا.
- إغلاق تركيا لمضيق البوسفور والدردينيل أمام السفن الحربية الروسية، وفقاً لاتفاق "مونترو"، والأجواء التركية أمام طائراتها سيؤثر سلباً على الوجود الروسي في سوريا، ويجبرها على القبول بشروط تركيا؛ وبالمقابل سيضغط أيضاً على الغرب للتعاون معها، مقابل الاستمرار في إغلاقها الخطوط أمام روسيا.

كل ما سبق يؤكد على أوراق الضغط التي تراها أنقرة قوية، وتوقيتها مناسب للضغط على موسكو، لكن بالمقابل فروسيا أيضاً - حتى الآن - غير مكترثة للإجراءات التركية، فهي أيضاً رغم التحركات التركية على أكثر من جبهة، لا تزال تمتلك أوراق قوية تُستخدم في أي وقت، ويمكن قراءتها كالتالي:

- تعد روسيا، في الأزمة السورية، لاعباً أساسياً، ولا حلول إلا بموافقتها.
- القواعد العسكرية - والتي تحاول تركيا تطويقها - زودتها روسيا مسبقاً بأكثر أصناف السلاح العسكري المتطور، آخرها "كالبير" فرط الصوت، وتزويد سوريا بمنظومة "إسكندر إم"، والصواريخ المتنوعة في قاعدة "حميميم"، والقادرة على تدمير أهداف أرضية لمسافة تقدر بـ 500 كم.

- روسيا لا تزال تحتفظ بأوراق ضغط قوية على تركيا؛ فأى هجوم من قبل القوات الروسية على الفصائل المسلحة السورية، المتحصنين في الشمال السوري، سيؤدي إلى نزوح جماعي للاجئين نحو تركيا، ويدخلها في متاهة أزمة جديدة، لها تبعات اقتصادية مدمرة.
- الأهداف المحتملة، والتي وضعتها تركيا نصب أعينها، لشن هجومها في سوريا، عبارة عن تقاطع استراتيجي مهم، يمر منها الخط الدولي "M4"، ومن غير المرجح أن تتنازل عنه موسكو، لضرورة أمنه على حلفائه في تلك المنطقة.
- وسائل الإعلام الروسية أشارت إلى رفض موسكو لزعزعة الوضع، كما أن الكرملين لم يتطرق في بيانه إلى حديث أردوغان عن العملية العسكرية التركية المحتملة، بل عزز الوجود الروسي في المنطقة أكثر، وكثف دورياته البرية والجوية على خطوط التماس بين قوات سوريا الديمقراطية والفصائل المسلحة الموالية لتركيا. بالإضافة إلى نشره لمنظومة دفاع جوي روسية من نوع "باننتشير s1"، نشر صورها موقع "rus vesna" الروسي، وستكون في مهمة قتالية في أقرب وقت ممكن بحسب الموقع.

لذا فأحد الخيارات؛ هو أما أن تقف موسكو ضد التصعيد، أو القبول بمقايضة الأراضي (منطقة مقابل منطقة)، أو الخيار الأنسب لها، وهو التشديد على استخدام الموقف، للتفاوض بين الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا والحكومة السورية.

#### 4- الولايات المتحدة الأمريكية

مع بدء العملية العسكرية الروسية في أوكرانيا، تشير المعطيات إلى تحركات أمريكية جديدة في سوريا تقوم على:

دعم وتمكين الحلفاء من خلال:

- مساعيها لإشراك وضم مجلس سوريا الديمقراطية (مسد) إلى المحافل الدولية.
- تأمين منافذ أكبر لحلفائها في شمال شرق سوريا، واستثناء مناطقها من أي حصار اقتصادي.
- تأكيد الالتزام بدعم قوات سوريا الديمقراطية، والاعتراض على أي عملية عسكرية تركية جديدة في مناطقها.

- اعتبار نجاح الحوار (الكردي-الكردي) كأولوية أمريكية.

كل ما سبق، يُرجَّح سعي واشنطن إلى تشكيل كتل كردي صلب، يؤمن لها أوراق سياسية مع موسكو ودمشق، والتي اعتُبرت كرسائل تلقتها موسكو برود إيجابية، تلخصت في دعوة نائب وزير الخارجية الروسي "ميخائيل بوغدانوف" في شباط الماضي، إلى ضرورة مشاركة ممثلي الكرد في العملية الدستورية.

### تعزيزات عسكرية مضاعفة

شهدت المناطق التي تقع تحت النفوذ الأمريكي، وخاصة في جزئها الشمالي الشرقي، تعزيزات عسكرية، وصفتها موسكو بـ"الضخمة"، تضمنت أرتال عسكرية ولوجستية، قادمة من كردستان العراق، وهو تحرك يأتي بالتزامن مع قرار وزارة الخزانة الأمريكية استثناء مناطق الشمال السوري، والتي تسيطر عليها قواتها وشركائها قسد، من العقوبات المفروضة على سوريا بموجب "قانون قيصر"، إلى جانب إجراء واشنطن لتدريبات بالذخيرة الحية في المنطقة.

وهذه التعزيزات والمناورات الأمريكية تأتي بالتزامن مع الحديث عن خفض حجم القوات الروسية في المنطقة، لتعزيز جبهة أوكرانيا، والتي تباطأت مؤخراً.

إذاً فمع بدء الحرب الروسية الأوكرانية، شهدت مناطق شرق وغربي الفرات تحركات أمريكية، بدت كمؤشر لتفعيل رسائل ردع في سوريا. الهدف منها زيادة الضغط على روسيا، والحكومة السورية؛ فالولايات المتحدة تتجه لرفع المناورة مع الاثنتين حول تقوية الإدارة الذاتية، وقد تتخذ من تداعيات الحرب في أوكرانيا ورقةً للضغط على موسكو من البوابة السورية، بالاستفادة من حكم الأمر الواقع، ومبادرات استباقية وفق ميزان المصالح.

وهي تحركات لا تتعارض مع التنسيق المسبق بين الطرفين، فروسيا لا تزال تتعامل مع الولايات المتحدة على أساس التوافق "خطوة بخطوة"، فلا خلافات استراتيجية بينها وبين الولايات المتحدة في سوريا، والتوافق على أساس منع الصدام المباشر.

كما أن موسكو لم تبدِ اعتراضاً على بعض التلميحات الأمريكية حول تمكين الورقة السياسية التي تتعلق بحلفائها في شمال وشرق سوريا، والتي دعت فيها إلى ضرورة مشاركة الكرد في العملية الدستورية.

في الختام.. لا بد من القول إنه بالرغم من جميع التحركات السابقة ذكرها من استعدادات وغيرها، إلا أن كل القوى لا تزال تتعامل بحذر، فحتى لو نقلت روسيا بعض جنودها من سوريا، إلا إنها حتى الآن لا تزال ثابتة في سوريا، وتسير وفق الخطط المتفق عليها مسبقاً مع باقي الأطراف، للحفاظ قدر الإمكان على حالة الجمود الحالية في سوريا بين أطراف الصراع. فروسيا ليس لديها مصلحة في إشعال جبهة جديدة في سوريا، كونها لا ترغب بهزات كبرى تؤثر على موازين القوى وخرائط توزيع النفوذ فيها، خاصة في ظل انشغالها بأوكرانيا، لذا، فإلى أي مدى يمكنها المضي في هذا الإطار، وإلى أي مدى يمكن للأطراف الأخرى كسر الجمود والتحرك وفق ميزان مصالحها؟.

## تحوّلات في مسارات الضغط على إيران

مركز الفرات للدراسات

بعد مرور أكثر من عام على انطلاق محادثات فيينا بين إيران ومجموعة الدول (1+4)، وهي كل من روسيا والصين وفرنسا وبريطانيا وألمانيا، لمحاولة نزع فتيل أزمة الملف النووي الإيراني وتداعياته؛ باتت كل المؤشرات تشير إلى الوصول لطريق مسدود، وهذا ما أعلن عنه صراحةً مدير الوكالة الذرية "رفائيل غروسي" قبل أيام.<sup>55</sup>

خلال الجولات الثمانية لهذه المباحثات، كانت تظهر على الدوام تصريحات متضاربة من كافة الأطراف المشاركة؛ منها ما يشير إلى عدم حدوث انفراجة فيها، وأخرى تشير إلى أن مسارها ينحو في اتجاه جيد، وأنه تم التوافق حول معظم البنود التقنية، ولم يبق إلا القليل منها، للتوصل إلى اتفاق حولها.

لكن على أرض الواقع، يبدو أنّ هناك قضايا مهمة وحساسة، تحُول دون التوصل إلى صيغة اتفاق لهذه المباحثات، ومن أهمها: طلب إيران ضمانات بعدم خروج الإدارات الأمريكية اللاحقة من أي اتفاق يتم توقيعه، وهذا ما يرفضه الجانب الأمريكي، لعدم وجود قانون في الولايات المتحدة يلزم أي رئيس مستقبلي بالالتزام بالاتفاقيات السابقة.

يُعتبر طلب إيران إزالة "الحرس الثوري" من قائمة الإرهاب - أيضاً - أحد العقبات أمام التوصل إلى اتفاق، إذ يُقابل هذا الطلب برفض أمريكي، فهي تعتبر أنّ لهذه القوات دورٌ كبيرٌ في انتهاكات حقوق الإنسان داخل إيران، وزعزعة أمن المنطقة، من خلال ذراعها الخارجية "فيلق القدس".

<sup>55</sup> الوكالة الذرية: المفاوضات مع إيران وصلت طريقاً مسدوداً - العربية - نشر بتاريخ 14 حزيران/يونيو 2022 - استرجع بتاريخ 16

<https://cutt.us/VVLBt> 2022 حزيران يونيو

يجري الحديث أيضاً عن مطالبة الأمريكيين بتعليق ملف اغتيال قائد "فيلق القدس" السابق قاسم سلیماني، وتهرب إيران من هذا الشرط، سيما وأن القادة الإيرانيون، بينهم المرشد علي خامنئي دعوا إلى "الثأر" لمقتل سلیماني.<sup>56</sup>

أحد العوائق التي ظهرت في الجولة الأخيرة لمباحثات فيينا - أيضاً - هو استغلال الروس لورقة المباحثات، لتخفيف حدة العقوبات المفروضة عليها من قبل الغرب وأمريكا بعد غزوها لأوكرانيا، حيث اشترطت روسيا استثناء تبادلاتها التجارية مع إيران - بما فيها صفقات بيع السلاح - من هذه العقوبات، مقابل موافقتها على توقيع الاتفاق، باعتبارها طرفاً رئيسياً فيه.

يضاف إلى ذلك، الحسابات الأمريكية تجاه الصين، حيث ترى الولايات المتحدة أن الصين ستستفيد بشكل كبير من الاتفاق، سيما وأنها وقعت اتفاقية تعاون شاملة مع إيران لمدة 25 عاماً، وستستثمر بموجبها 400 مليار دولار في البنى التحتية الإيرانية، وجميع القطاعات الحيوية في البلاد، ولذلك فهي تطالب إيران بتقييد علاقاتها المالية والأمنية مع الصين.

### أهمية الحرس الثوري بالنسبة لإيران

يُعتبر شرط إزالة "الحرس الثوري" من قائمة التنظيمات الإرهابية، شرطاً محورياً بالنسبة لإيران، فضلاً عن كونه أحد أهم المؤسسات الصانعة للقرار في إيران، يُعتبر "الحرس الثوري" القوة الحامية لنظام الجمهورية الإسلامية، حيث حافظ على بقاء واستمرار النظام الإسلامي في إيران حتى اليوم، وكان صمام الأمان الذي أنشأه الخميني بعد انتصار "الثورة الإيرانية" عام 1979، لضمان عدم حدوث أي انقلابات عسكرية ضد نظامه، على غرار الانقلاب على حكومة رئيس الوزراء محمد مصدق، والإطاحة به، وعودة الشاه إلى الحكم من جديد، من خلال خطة أعدتها الاستخبارات الأمريكية والبريطانية مع قادة الجيش عام 1953.

كما أن تصنيف "الحرس الثوري" ضمن قوائم الإرهاب، يُعتبر ضربة معنوية للنظام الإيراني، الذي ينظر للحرس الثوري كـ "قوة وطنية"، كان لها دوراً كبيراً في الحرب الإيرانية-العراقية، في

<sup>56</sup> <https://cutt.us/T8EKU> ملف قاسم سلیماني.. آخر عقبة أمام إحياء الاتفاق النووي - العربية - نشر بتاريخ 31 آذار/ مارس

2022 - استرجع بتاريخ 2 حزيران/يونيو 2022

ثمانينات القرن الماضي، إضافةً إلى التأثير السلبي الذي يتركه ذلك على جماعات إيران بالوكالة في المنطقة، التي تعمل تحت مظلة "الحرس الثوري".

لكن، الأهم من كل ذلك، من الناحية العملية، هو أن الحرس الثوري لا يُعتبر قوة عسكرية موازية للجيش الإيراني النظامي وحسب، بل يمكّن بزمّام الاقتصاد الإيراني، ويدير إمبراطورية مالية ضخمة، من خلال آلاف الشركات الخاصة التي تضخ له آلاف المليارات. ووفقاً للعديد من التقارير، فهو يسيطر على ثلث الاقتصاد الإيراني، وينفذ مشاريع كبرى في مجال البنية التحتية، مثل النفط، والغاز، والصناعات البتروكيمياوية، ومجالات استثمارية عديدة أخرى.

ولهذا تجد إيران أن رفع العقوبات الاقتصادية عنها، من دون إزالة "الحرس الثوري" من قائمة الإرهاب، لن يحقق لها المنافع الاقتصادية التي تطمح إليها، ويمكن فهم ذلك من كلام وزير الخارجية الإيراني حسين أمير عبد اللهيان، حين قال في مقابلة على هامش المنتدى الاقتصادي العالمي في دافوس: "إنّ السبب الأساسي لتعثر محادثات فيينا، هو تمسك إيران بحقها الكامل في جميع المكاسب الاقتصادية التي يقرّها الاتفاق".<sup>57</sup>

### تحولات مهمة رغم انسداد الأفق

على الرغم من أن جميع المؤشرات تشير إلى وصول مباحثات فيينا إلى طريق مسدود، وعدم حدوث أي تغيير في المعادلة التي تبدو مستعصية على الحل، وهذا ما يأخذه الجمهوريون أيضاً على الرئيس بايدن، حيث يعتبرون محاولاته في حل المشكلة النووية الإيرانية ضرباً من العبث، لكن من خلال قراءة متأنية للمشهد، سنلاحظ حدوث تحولات على قدر كبير من الأهمية في طريقة التعاطي مع إيران، ومنها:

**1-** ثبات واستقرار، بل وتزايد حدة "الضغوطات القصوى" على إيران، ولا سيما بعد فرض حزمة

العقوبات الأخيرة من قبل وزارة الخزانة الأمريكية على شبكة دولية لتهريب النفط وغسيل

الأموال، في إيران ولبنان وتركيا والصين وكوريا الشمالية وروسيا، يقودها قادة في "فيلق

<sup>57</sup> <https://cutt.us/ZVX8c> عبد اللهيان: لإيران "خيارات متعددة على الطاولة" .. إن لم نجد اتفاقاً رصينا- روسيا اليوم- نشر

بتاريخ 26 أيار/مايو 2022- استرجع بتاريخ 2 حزيران/يونيو 2022

القدس" التابع لـ"الحرس الثوري" الإيراني، حيث كانت هذه الشبكة توفر مساحة للمناورة والالتفاف على العقوبات من قبل إيران. يأتي ذلك في حين أن إيران كانت تتأمل تغيير هذه السياسة في عهد الرئيس بايدن.

2- نجاح الولايات المتحدة في ضم الأوروبيين إلى صفها ضد إيران، ولا سيما دول الترويكا الأوروبية (بريطانيا، وألمانيا، وفرنسا)، التي دعمت إيران في مجلس الأمن بعد انسحاب إدارة ترامب من الاتفاق النووي عام 2018، ورفضت عودة العقوبات على إيران، وتمديد حظر شراء الأسلحة عليها.

3- دفع دول المنطقة إلى التفكير بعقل واحد، أكثر من أي وقت مضى، تجاه الخطر الإيراني المحقق بها، وتأسيس أرضية لحلف مشترك لهذه الدول، وأهمها: دول الخليج، والأردن، ومصر.

4- حصر إيران مجدداً في زاوية ضيقة، بعد كشف إسرائيل وثائق سرية كانت إيران قد سرقتها من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، لإخفاء أنشطتها النووية السرية ومواصلة تطوير برنامجها النووي، وتحويل ملفها النووي إلى مجلس محافظي الوكالة، ما يعتبر خطوة تصعيدية واضحة ضدها، ولا سيما بعد صدور قرار من المجلس يدين إيران، ويدعوها إلى الرد الفوري على أسئلة الوكالة، بشأن المواقع الثلاثة المشتبه بها، في "تورقوز آباد" و"رامين" قرب طهران، و"مريوان" بمحافظة كردستان، التي عُثر فيها على آثار لليورانيوم المخصب.

### رد فعل إيران على التصعيد الغربي

اعتبرت وزارة الخارجية الإيرانية قرار الوكالة "مسيئاً ومتسرعاً"، وأنه يستند إلى "معلومات كاذبة" قدمتها إسرائيل إلى مدير الوكالة، أثناء لقائه الأخير مع رئيس الوزراء الإسرائيلي. كما اتهمت إيران - في ردها على تقرير الوكالة - إسرائيل بأنها تقف وراء وجود آثار لليورانيوم في المواقع المذكورة أعلاه. كما جاء الرد أيضاً على لسان الرئيس الإيراني "إبراهيم رئيسي" بقوله: "إنّ إيران لن تتراجع خطوةً واحدة عن مواقفها".

وتمثلت ردود الفعل الإيرانية على القرار في النقاط التالية:

- 1- تركيب أجهزة طرد مركزي متطورة من طراز (IR6) في منشأة نطنز، الواقعة تحت الأرض، والتي من شأنها أن تزيد كمية وسرعة تخصيب اليورانيوم بدرجات مضاعفة، وهي رسالة إيرانية تفيد بأنها تقترب أكثر من إمكانية تصنيع القنبلة النووية.
- 2- إزالة كاميرات المراقبة في بعض المنشآت النووية، كانت قد وُضعت بموجب "اتفاق 2015"، بالاتفاق مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، لمراقبة أنشطة إيران النووية.
- 3- استهداف موقع قريب من المبنى الجديد للقنصلية الأمريكية في أربيل/هولير بطائرة مسيرة، وعلى الرغم من عدم إعلان أية جهة مسؤوليتها عن الهجمة، إلا أن مجلس أمن إقليم كردستان العراق أعلن أنّ الطائرة أُطلقت من منطقة (آلتون كوبري)، شمال كركوك، من قبل "كتائب حزب الله" الموالية لإيران، وهو تصعيد تمارسه إيران على الأرض كلما شعرت بزيادة الضغط عليها.

### إلى أين ستتجه الأمور مع إيران؟

مما لا شك فيه، أن المشكلة الإيرانية باتت اليوم من أكبر التحديات التي تواجه الولايات المتحدة وحلفائها في المنطقة، إذ تستخدم فيها إيران أدوات ضغط، يحتاج التعامل معها إلى استراتيجيات مبتكرة شاملة، على الصعيد الدولي والإقليمي، والبحث عن الثغرات التي من الممكن أن تؤدي إلى خلخلة الاستراتيجية الإيرانية، دون الانجرار إلى إشعال حرب معها، لها آثاراً وتداعيات كبيرة على عموم المنطقة، سيما مع انشغال أمريكا وأوروبا بالحرب الروسية-الأوكرانية المحتدمة.

لذلك، ستكون الأولوية لتحجيم الخطر الإيراني خطوة بخطوة، وسيأتي حصرها والضغط عليها في المرحلة الأولى لاحتواء برنامجها النووي، وإجبارها على العودة إلى التزاماتها النووية. وقد بدأت ملامح هذه الاستراتيجية تتضح من خلال:

- 1- زيادة الضغط الدبلوماسي على إيران، عن طريق الوكالة الدولية للطاقة الذرية، وما قد يصدر عنها من قرارات تزيد من عزلة إيران، في حال عدم تعاونها، وذلك بعد تحويل ملفها النووي إلى مجلس الأمن.

2- التمهيد لتفعيل "آلية الزناد" أو "سناپ باك" ضد إيران، بعد صدور قرار رسمي من الوكالة الدولية للطاقة الذرية، بعدم امتثال إيران لشروط "اتفاق 2015".

حيث من المرجح أن تلجأ الولايات المتحدة إلى استخدام هذه الآلية، التي ستشكل أقصى ضغط على إيران؛ إذا ما فشل مجلس الأمن في استصدار قرار يعيد العقوبات على إيران، نتيجة اصطدامه بالفيتو الروسي والصيني.

وتتيح "آلية الزناد"<sup>58</sup> للولايات المتحدة وأية دولة أخرى في الاتفاق النووي مع إيران، اللجوء إليها إذا رأت أن هناك إخلال من قبل إيران بأحد بنود الاتفاق، وبالتالي ترفع شكوى للأمم المتحدة التي ستفتح تحقيقاً في القضية، ومع وجود تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية الذي يدين إيران بشكل رسمي، سيكون موقف إيران ضعيفاً، وبالتالي سيكون من الممكن عودة العقوبات الأممية ما قبل القرار 2231 بشكل آلي على إيران، من دون موافقة مجلس الأمن، ولن تتمكن روسيا والصين من معارضة القرار حينها.

3- تقرب الولايات المتحدة إلى السعودية، لإقناعها بضخ المزيد من النفط إلى الأسواق الأوروبية، في ظل الصراع الغربي ضد الروس في الحرب الأوكرانية، والتلويح لإيران أن السعودية ستصبح البديل للنفط والغاز الروسيين، في حال عدم إحياء الاتفاق النووي. كما تسعى الولايات المتحدة من إعادة المياه إلى مجاريها مع السعودية، إلى تطبيع علاقات الأخيرة مع إسرائيل، لتوسيع الحلف المناهض لإيران في المنطقة، ويرجح أن تكون هذه الملفات ضمن أجندة الرئيس بايدن، خلال زيارته المرتقبة إلى السعودية وإسرائيل، منتصف تموز/يوليو المقبل.

4- التخطيط لتشكيل تحالف عسكري وأمني إقليمي لمواجهة الخطر الإيراني، يضم إسرائيل والدول العربية، وهذا ما أكده أيضاً وزير الدفاع الإسرائيلي "بيني غانتس" بقوله: "إن هناك مساعي لتوسيع هذا التعاون". إضافةً إلى وجود خطة مقترحة من قبل لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، تزود فيها إسرائيل دول المنطقة بمنظومة دفاعها الجوي، لمواجهة خطر الطائرات المسيّرة الإيرانية.

<sup>58</sup> ماذا تعرف عن مصطلح "سناپ باك" الذي تهدد واشنطن طهران به؟ - العربية- نشر بتاريخ 20 آب 2020- استرجع بتاريخ 14

حزيران 2022 <https://cutt.us/qD1Ve>

5- زيادة التصعيد ضد التموضع الإيراني في المنطقة، ولا سيما في سوريا، ودخول التصعيد مرحلة جديدة، ويتجلى ذلك في استهداف إسرائيل لمطار دمشق الدولي فجر الجمعة 10 حزيران/يونيو الجاري، والذي تراه إسرائيل أنه يُستخدم بشكل كبير لنقل السلاح والصواريخ إلى القوات الإيرانية في سوريا، وحزب الله في لبنان. ويُعتبر استهداف المطار بمثابة رسالة للرئيس السوري بشار الأسد، لتخثيره بين فك ارتباطه مع إيران وعدم التستر على وجودها في سوريا، أو أنّها ستبدأ باتباع نهج جديد ضده، وأنّ ضرباتها ستطال القصر الجمهوري، بحسب تصريحات مسؤولين إسرائيليين.<sup>59</sup>

إذاً، نلاحظ أن هناك جهود حثيثة من قبل الولايات المتحدة، والغرب، وحلفائها في المنطقة، لاحتواء الخطر الإيراني، من خلال الطرق الدبلوماسية تارةً، وتارة أخرى من خلال التصعيد على الأرض، والعمليات العسكرية والاستخباراتية الدقيقة، التي تشنها إسرائيل ضد إيران، ضمن سياسة جديدة تسمى "الأخطبوط"، وفق ما كشف عنها رئيس الوزراء الإسرائيلي "نفتالي بينيت"، وهو يقصد بها إيران وأذرعها في المنطقة. وتقوم هذه السياسة على تجاهل الأذرع، والتركيز على توجيه ضربات نوعية فعالة للداخل الإيراني، وتُعتبر الاغتيالات الأخيرة لقادة كبار في "الحرس الثوري"، واستهداف مواقع ومنشآت نووية، ومواقع للطائرات المسيّرة، ضمن هذه السياسة.

**في الختام..** يمكننا القول إن الجهود الدولية تنصبّ - في الوقت الراهن - على إعادة إيران لطاولة المباحثات في فيينا، والتضييق عليها بكل السبل، لإرغامها على تقديم تنازلات حقيقية فيما يتعلق ببرنامجها النووي، والتخلي عن اليورانيوم المخصب، والعودة إلى الحدود السلمية لبرنامجها، وأيضاً ضمان أمن حلفائها في المنطقة. وعلى الرغم من أن جميع الأطراف تستبعد وقوع حرب ضد إيران، وإيلاء الأهمية القصوى للسبل الدبلوماسية، لكن حتى وإن تم الاتفاق في فيينا، وتم أخذ ضمانات من إيران بالالتزام بالطابع السلمي للبرنامج النووي، لن يتحقق الاستقرار في المنطقة على المدى البعيد؛ لأن إسرائيل تعلن - مراراً وتكراراً - بأنها غير معنية بأي اتفاق مع إيران، وهي لا تؤمن

<sup>59</sup> المونيتور - إسرائيل لبشار الأسد: الهدف المقبل هو قصرك - نشر بتاريخ 14 حزيران/يونيو 2022 - نشر بتاريخ 15 حزيران/يونيو

<https://cutt.us/KF8K0> 2022

بأن تتخلى إيران عن طموحها، الذي يسعى إلى الهيمنة على دول المنطقة، وهذا ما تدركه أيضاً هذه الدول، نظراً لأسباب بنيوية تتعلق بنظام الجمهورية الإسلامية، الذي يعتبر تصدير ثورته من أهم مبادئه التي ينص عليه الدستور، وإنشاء شرق أوسط إسلامي بقيادة إيران، انطلاقاً من نظرية "الجيوپوليتيك الشيعي"، التي لن تتحقق إلا من خلال التوسع في المنطقة، وهذا يجعلها -بطبيعة الحال- في تصادم مستمر مع دول المنطقة، والقوى الكبرى ذات النفوذ في المنطقة، وفي مقدمتها الولايات المتحدة. وبالنظر إلى استحالة تغيير هذه العقيدة الجوهرية، التي يقوم عليها النظام الإسلامي في إيران، ولإيجاد حل جذري لهذه المشكلة، قد لا يكون أمام الولايات المتحدة إلا خيار تغيير نظام إيران القائم، بدعم المعارضة الإيرانية في الداخل والخارج، وبالتالي تشكيل نظام حليف لها، ومنسجم مع دول المنطقة، على غرار ما كان عليه نظام الشاه، لكن السبيل إلى ذلك أيضاً لن يكون سهلاً، وقد يستغرق وقتاً طويلاً، وهو يحتاج إلى استراتيجية شاملة، يتعاون فيها جميع خصوم إيران.

## الفصل الثالث

### مقالات رأي

## ماذا ستكون نتيجة العقوبات المفروضة على روسيا؟

د. سليمان إلياس

مدير مركز الفرات للدراسات

تُثير العملية العسكرية التي بدأتها روسيا في أوكرانيا، تساؤلاتٍ حول عواقبها - قصيرة وطويلة الأمد - على قرارات السلطات الروسية، حيث يمكن مناقشة ذلك في عدة أبعادٍ، كمستقبل النظام الأوروبي، وتوازن القوى في أوروبا، ومستقبل الدولة الأوكرانية، والتكاليف الاقتصادية والمحلية للحرب بالنسبة لروسيا.

يجب النظر إلى الحرب الروسية التي شنتها ضد أوكرانيا، في سياق محاولة موسكو إعادة تعريف النظام الأمني الأوروبي، المتشكل بعد الحرب الباردة.

تكمن المشكلة الأساسية في توسّع حلف شمال الأطلسي (الناتو) باتجاه الشرق، فإذا اعترفت موسكو بانضمام أعضاء سابقين في حلف وارسو ودول البلطيق إلى كتلة الأعضاء السابقين في حلف الأطلسي في منتصف التسعينات، وذلك لأنها كانت في وضع اقتصادي وعسكري سيء، هذا لا يعني أنها كانت ستوافق على انضمام أوكرانيا ودول ما بعد الاتحاد السوفيتي الأخرى، بل هي تضع ذلك على قائمة خطوطها الحمراء.

تم صبُّ الزيت على النار من خلال سلسلة من الثورات الملونة، التي اعتبرتها موسكو مستوحاة - إلى حد ما - من الولايات المتحدة والغرب. كان ينظر إلى تلك الثورات على أنها نوعٌ من المناورة والاحتيال، الذي يوجّه "الاختيار الحرّ للتحالفات" في الاتجاه المطلوب للغرب.

أدت الأحداث السياسية المحليّة في أوكرانيا في عام 2014 إلى أول إجراءات صارمة لموسكو ضدها، وهو الاستيلاء على شبه جزيرة القرم، والدعم اللاحق للانفصاليين في "دونباس".

في الوقت نفسه، عارضت روسيا تدخل الناتو في الأحداث في يوغوسلافيا، والاعتراف بكوسوفو، وغيرها من الأحداث المثيرة للجدل في أوروبا ما بعد ثنائية القطبية.

كان من تداعيات أحداث عام 2014، التحوّل الحاد لأوكرانيا نحو الغرب، حيث تشكلت بنية علاقات جديدة ومستقرة نسبياً، وقام الغرب بفرض عقوباتٍ، لم تؤثر بشكل كبير على روسيا، وقامت أوكرانيا بالتوقيع على اتفاقيات مينسك، لكنها في الوقت نفسه أعافت تنفيذها بموافقة ضمنية من واشنطن وبروكسل.

على ما يبدو أن التطورات التي حصلت وقتها من ناحية أوكرانيا، لم تكن مقبولة بالنسبة لروسيا، فبالرغم من أن أوكرانيا لم تنضم إلى حلف الناتو، لكن ذلك سمح لها بتحديث قواتها المسلحة، فضلاً عن تعزيز كيائها تدريجياً.

سبق تفاقم الوضع الحالي، ماراثونٌ دبلوماسي، يتعلق بالمطالب الروسية للأمن في أوروبا، ويمكن اختصار المطلب الرئيسي بتوفير الضمانات القانونية لعدم توسيع الناتو. في موازاة ذلك حشدت موسكو تجمعاً عسكرياً كبيراً على الحدود مع أوكرانيا. تعاملت أمريكا والناتو مع المطالب الروسية بعناية واضحة، وردّتا على أنهما مستعدتان للحوار حول بعض القضايا، لكنهما رفضتا النقاط المبدئية بالنسبة لموسكو، ولم تسفر سلسلة الزيارات التي قام بها كبار المسؤولين في الدول الأوروبية، بما فيها بريطانيا وفرنسا وألمانيا، عن أية نتائج إيجابية.

فشلت محاولة إعادة العمل بصيغة "نورماندي"، وأوضحت "كييف" أنه لن يكون هناك تقدم في تنفيذ اتفاقيات "مينسك" بعد الاعتراف الرسمي بجمهورية دانييسك ولوغانسك من قبل موسكو. استمرت الكثير من الشكوك في حقيقة قيام الحرب ضدّ أوكرانيا، حتى تبدّدت كل الشكوك يوم الخميس 24 فبراير، حيث بدأت روسيا بعملياتها العسكرية ضدّ أوكرانيا.

يمكن الافتراض أن أحد أهداف العملية العسكرية هو إجبار الغرب على مزيد من الحوار والتنازلات للمطالب الروسية. ومع ذلك، لا توجد مؤشرات على أن الغرب سيوافق على مثل هذا الحوار، ناهيك عن تقديم تنازلات. على العكس من ذلك، سيصبح موقف الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي أكثر تشدداً، وستسعى إلى تطبيق أقصى حصار لاحتواء روسيا، حيث لن يتم تشكيل النظام الأوروبي من خلال الاتفاقيات النظرية إذا صح التعبير، ولكن من خلال الإجراءات العملية الملموسة.

بالنسبة لأوروبا، ظهرت انقسامات داخل الاتحاد الأوروبي، حيث انقسم الأوروبيون حول كيفية الرد على مختلف أشكال العدوان الروسي، حيث ستتطلب المواجهة العسكرية والسياسية زيادة في الإنفاق الدفاعي من قبل دول الناتو بشكلٍ كبير.

ليس هناك شك في أن الغرب سوف يفرض عقوبات صارمة على روسيا (تم بالفعل اتخاذ الخطوة الأولى في هذا الاتجاه في 24 فبراير)، حيث سيتعلق الأمر بإغلاق البنوك الكبيرة، والإخراج التدريجي للنفط والغاز والفحم، والمعادن الروسية، والمواد الخام الأخرى من الأسواق الأوروبية والعالمية. كل واحد منهم لديه تفاصيله الخاصة. سيتم تعيير العقوبات المفروضة، لكن لا شك في أن الغرب سيبحث بإصرار عن مصادر أخرى للمواد الخام بأي ثمن، وسيعيد بناء اقتصاده من أجلها، بغض النظر عن الخسائر الاقتصادية.

يمكننا أيضاً توقع قيود كبيرة على توريد السلع الصناعية والتكنولوجية، نظراً لاعتماد روسيا الكبير على الواردات، مثل هذه الإجراءات ستضعف النمو، وتزيد من اتساع الخلل الاقتصادي. ليس هناك شك في أن الاقتصاد الروسي سوف يتكيف مع محاولته إيجاد أسواق وموردين جدد، وخاصة في الصين، لكن الضرر الذي سيلحق بالاقتصاد الروسي - على أي حال - سيكون طويلاً وكبيراً.

على المدى الطويل، قد تصبح الفجوة الاقتصادية عاملاً وراء تدني المستوى التكنولوجي للقوات المسلحة الروسية. ومع ذلك، في السنوات القادمة - وحتى العقود القادمة - ستكون الإمكانيات الروسية كافية لمنع الناتو من التدخل العسكري المباشر. حتى لو لم تؤخذ القوة النووية الاستراتيجية بعين الاعتبار، فإن استخدام الأسلحة التقليدية وحدها محفوفٌ بأضرار غير مقبولة بالنسبة للحلف في حالة حدوث تصادم. ومع ذلك، هذا لا يعني أنه لا يمكن أن تكون هناك حرب بين روسيا والناتو.. على أي حال، سوف يبني الناتو إمكانياته في أوروبا الشرقية، بما في ذلك، وقبل كل شيء، بالقرب من حدود الدولة الروسية.

بالنسبة لمستقبل أوكرانيا، هنا، على ما يبدو، يخطط الجانب الروسي لتغيير النظام السياسي بالقوة. لم يتضح بعد في أي حدود ستنشأ الدولة الجديدة، وما إذا كانت ستكون ذات سيادة من حيث المبدأ. يمكننا أن نتوقع ظهور حكومة أوكرانية في المنفى. ستكون الأراضي التي تسيطر

عليها موسكو تحت الحصار التجاري والاقتصادي للغرب، على غرار حصار شبه جزيرة القرم، وكذلك دانيتسك ولوغانسك. ليس من الواضح إلى متى ستستمر مقاومة أوكرانيا للجيش الروسي، وعلى الأرجح سيكون من الممكن كسر مقاومة القوات المسلحة الأوكرانية بسرعة كبيرة. لكن الأنشطة السرية وحرب العصابات، يمكن أن تصبح طويلة الأمد. على أي حال، فإن مدة المرحلة العسكرية لن يكون لها تأثير يُذكر على شدة العقوبات المفروضة على روسيا.. سيتعين على موسكو القيام بعمل جاد لإعادة بناء الاقتصاد الأوكراني على أسس جديدة في مواجهة الحصار التجاري. سيتطلب ذلك دفعات هائلة، والتي إلى درجة أو بأخرى سوف يقلل الفساد المحلي من قيمتها.

ستكون العواقب الاقتصادية للحرب على روسيا كبيرة، على المديين المتوسط والبعيد. يمكننا أن نتوقع انهياراً في سعر صرف الروبل، والتضخم، وارتفاع الأسعار، بسبب ارتفاع تكلفة الواردات وتشديد ضوابط التصدير. إذا نجحت سياسة مزاحمة السلع الروسية، فسيؤثر ذلك على إيرادات الميزانية. تُظهر تجربة العقوبات ضدّ إيران أن الولايات المتحدة يمكن أن تفرض عقوبات على كل من يحاول دعمها، بما فيها المؤسسات الاعتبارية المحايدة في حال تعاملها مع روسيا. سيصاحب تقليص قاعدة الموارد زيادة في الإنفاق الدفاعي، بسبب تسارع سباق التسلح مع الغرب، فضلاً عن الحاجة إلى تزويد الأراضي الأوكرانية بالموارد. سيؤثر مجموع العوامل الاقتصادية على نوعية حياة ودخول المواطنين الروس. من الناحية النظرية، يمكن أن يؤدي التراجع في رفاهية الروس إلى تفاقم المشاكل السياسية المحلية. من الناحية العملية، من غير المحتمل أن يحدث هذا التطور على المدى القصير، نظراً للارتفاع الكبير والآثار المترتبة بسبب العقوبات.

يفتح النزاع المسلح في أوكرانيا صفحة جديدة في تاريخ العلاقات الدولية، ويشكل أيضاً واقعاً مختلفاً في الحياة اليومية. بالنسبة للبعض، ستقتصر التغييرات على الوقت الحاضر، أما بالنسبة للآخرين، ستتأخر لأشهر وسنوات قادمة. لكنها ستؤثر على مجموعة واسعة من البشر في كل من روسيا والخارج.

## سياسة التوازن الهش لتركيا حيال الصراع الروسي-الأوكراني

دليل سعدو

شهدت تركيا سلسلة من الأزمات المتواصلة في العقد الأخير من فترة حكم حزب العدالة والتنمية، أثرت سلباً على شعبية الحزب الحاكم في الداخل التركي، وعلى سياساتها الخارجية مع الدول الإقليمية، بسبب سياساتها المتهورة، والقائمة على التدخل في الأزمات الحاصلة في المنطقة، وخلق المشاكل مع محيطها العربي (سوريا، وليبيا)، والإقليمي (الصراع في شرق المتوسط مع اليونان، وحرب أذربيجان وأرمينيا)، في محاولة منها لفرض أجنداتها، والحفاظ على مصالحها في مناطق الأزمات القائمة.

### الحفاظ على سياسة التوازن لتركيا بين قطبي الشرق والغرب

تحاول تركيا الاستفادة من أهمية موقعها الجيوسياسي بين الغرب والشرق؛ وفي سبيل ذلك، لا تتوانى عن استغلال هذه الميزات التي تتمتع بها، من أجل المضي قدماً في مشروعها الإقليمي المتجدد، والمتمثل في "العثمانية الجديدة"، والظهور بمظهر القوة الإقليمية المتفوقة، على غرار إيران، بالإضافة إلى اللعب على التناقضات الموجودة بين الغرب والشرق بشكل عام، وبين أمريكا وروسيا على وجه الخصوص، حيث قام أردوغان بسلسلة من الإجراءات المتعارضة مع مصالح الغرب - خلال العقدين الأخيرين - في محاولة واضحة منه للتطبيق خارج السرب الغربي والأمريكي.

كان شراء تركيا لمنظومة الصواريخ الدفاعية الروسية (S-400) من أبرز خطوات تركيا الخطيرة المناهضة للغرب وأمريكا، رداً على رفض أمريكا بيعها صواريخ باتريوت الأمريكية، وهي الخطوة التي تم رفضها من قبل حلف الشمال الأطلسي (الناطو) وفي مقدمتها أمريكا، التي فرضت عقوبات على أنقرة، واستبعدتها من برنامج مقاتلات (F-35) الأمريكية. اعتبرت هذه الصواريخ بمثابة تهديد لطائراتها المقاتلة F-35، وللمنظومة العسكرية لحلف الناو.

على المستوى الداخلي، قام أردوغان بتشديد قبضته على الداخل التركي أيضاً، سيما بعد الانقلاب المدبر الذي قام به حزبه الحاكم، في محاولة منه للتخلص من معارضيهِ داخل حكومته، والانفراد في حكم البلاد في سبيل تحقيق طموحاته التوسعية. حيث بدأ أردوغان بجملته من الإجراءات التعسفية، وقام بتغيير دستور البلاد، لتوسيع صلاحيات الرئيس، ومن ثم التحالف مع حزب الحركة القومية، حينما دعت الحاجة، من أجل تمكينه من الانتصار في الانتخابات، بعد تراجع شعبيته والتيقن من عدم استطاعته على تشكيل الحكومة بمفرده، ومن ثم إحكام قبضته على معظم مفاصل الحياة السياسية في تركيا، والانطلاق نحو تحقيق أهدافه في الهيمنة الإقليمية.

بيد أن سياسة الحفاظ على التوازن لتركيا، والمتمثلة في مسك العصا من المنتصف خلال الأزمة الأوكرانية الحالية قد لا توتي أكلها؛ ويمكن الإشارة إلى ما ذكره المحلل السياسي الأمريكي، سيث فرانترمان في صحيفة جيروزالم بوست، بأن "شراء تركيا لمنظومة الصواريخ الدفاعية من روسيا، من جهة. وبيع السلاح لأوكرانيا، بما فيها طائرات بيرقدار (BT2) بقيمة 200 مليون دولار، قبيل اندلاع الحرب الروسية الأوكرانية، من جهة أخرى" مثال واضح على تبني تركيا لسياسة التوازن هذه؛ بالرغم من موقف تركيا الراض لقرار الضم الروسي لشبه جزيرة القرم، واعتراف روسيا الأخير بجمهوريةي لوغانسك ودونيتسك الشعبيتين، مع تزايد مخاوفها من تعزيز النفوذ الروسي في حوض بحر الأسود، الذي اكتسب أهمية كبرى مع اكتشاف احتياطات ضخمة من الغاز، تقدر ب 540 مليار متر مكعب، والتي قد تساعد تركيا على تخفيض الاعتماد على الغاز الروسي، إلا أنها لا زالت تستخدم مصطلحات من قبيل " العملية العسكرية الروسية" أو "الهجوم الروسي" في خطاباتها الرسمية. لكن، لا تستطيع تركيا المضي قدماً في تبني هذه السياسة؛ بالرغم من محاولتها في إظهار نفسها كطرف محايد، وعدم الانجرار إلى مواجهة روسيا؛ حيث استضافت لقاءً جمع بين وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف، ونظيره الأوكراني ديميترو كوليبا، في العاشر من شهر آذار/مارس الجاري. إلا أنه لم يسفر عن بوادر حل لهذه الأزمة، مع إصرار موسكو على تحقيق أهدافها كاملة في هذه الحرب، التي أشعلتها مع أوكرانيا، مع العلم بأن أي تقدم في المفاوضات هو أمر مستبعد في ظل الدعم العسكري الغربي والأمريكي الذي

يحصل عليه أوكرانيا في مواجهة الهجوم الروسي، والإصرار الأمريكي على التعهد بالحفاظ على حق أوكرانيا في التقدم بطلب الانضمام لحلف الناتو.

عليه، يرى معظم المراقبين بأن تركيا في وضع لا تحسد عليه، ولا يمكنها الاستمرار في الحفاظ على هذا التوازن الهش. خاصة، في ظل استمرار الحرب الروسية-الأوكرانية، الأمر الذي قد يؤدي إلى تشكيل اصطفايات وتحالفات إلى جانب طرفي الصراع. فضلاً عن موقع تركيا الاستراتيجي بالنسبة لطرفي الصراع، والمجاور لكليهما بحدود بحرية (البحر الأسود)، الأمر الذي سيجبر تركيا على عدم الوقوف في المنطقة الرمادية، مع تصاعد الأعمال القتالية، وعدم وجود بوادر حل تلوح في الأفق، بالرغم من الجهود الحثيثة في هذا الإطار.

### تدهور العلاقات الأمريكية-التركية

في ظل إدارة بايدن، شهدت العلاقات الأمريكية-التركية توترات كثيرة، حيث طردت تركيا من برنامج مقاتلات F-35 الأمريكية، وكان آخر الإجراءات التي أتخذت بحق تركيا هي فرض العقوبات على قطاع الصناعات الدفاعية التركية، وفقاً للمادة 231 من " قانون مكافحة خصوم أمريكا"، والمعروف اختصاراً بـ (كاستا)، الذي وقع عليه الرئيس الأمريكي الأسبق دونالد ترامب عام 2017، رداً على شراء تركيا لمنظومة الصواريخ الروسية، بحسب بيان صدر من الوزارة الخارجية الأمريكية في نيسان/إبريل من العام الماضي.

على عكس إدارة ترامب، لا تحظى تركيا بعلاقات جيدة مع إدارة بايدن، بسبب سلوك تركيا في السنوات القليلة الماضية؛ بدءاً من تغيير طبيعة نظام الحكم في تركيا من نظام علماني إلى نظام إسلامي-إخواني في عهد أردوغان، وصولاً إلى "تهديد الأمن القومي الأمريكي، والسياسة الخارجية للولايات المتحدة في المنطقة، وتقويض جهود الدولية لمحاربة الإرهاب في سوريا" بحسب ما جاء في بيان للبيت الأبيض في تشرين الأول/أكتوبر 2021، بعد تمديد العقوبات المفروضة على تركيا من قبل الإدارة الأمريكية السابقة منذ 14 من تشرين الأول/أكتوبر 2019، على خلفية الغزو التركي للمناطق الكردية في سوريا، ومحاربة قوات سوريا الديمقراطية؛ شركاء التحالف الدولي لهزيمة داعش في سوريا. ووصل الأمر بالعلاقات الأمريكية-التركية إلى حد وصف تركيا "بالخصم" على لسان بعض المسؤولين الأمريكيين.

عليه، فإنه من المستبعد انضمام تركيا إلى جهود حلف الناتو وأمريكا، في تعزيز العزلة على روسيا، والاصطفاف إلى جانب حلفائها التقليديين. وتجلى هذا الأمر بوضوح من جانب تركيا، بعدم انضمامها إلى مجموعة الدول الغربية وأمريكا، التي فرضت العقوبات على روسيا.

### روسيا الحليف البديل لتركيا

في إطار سياسة التوازن التركية بين قطبي الشرق والغرب، والتغريد خارج سرب حلفائها التقليديين، طوّرت تركيا علاقاتها السياسية، والاقتصادية، والتجارية، والعسكرية مع روسيا، في رسالة واضحة لأمريكا بوجود الحليف الاستراتيجي البديل لها. فضلاً عن ممارسة الضغط على أمريكا من أجل أخذ مصالح تركيا ومشاريعها التوسعية " العثمانية الجديدة"، والتي تهدف للهيمنة على محيطها الإقليمي بعين الاعتبار.

لا تستطيع تركيا المخاطرة بعلاقاتها الجيدة مع روسيا، وخاصةً علاقاتها الاقتصادية والتجارية؛ فقد ارتفع حجم التبادل التجاري مع روسيا بنسبة 57% لعام 2021، مقارنة بعام 2020، إلى جانب مشاريع الطاقة الثنائية بين البلدين، ومن أبرزها، مشروع السيل التركي ( Turkish Stream)، لنقل الغاز من روسيا إلى تركيا وأوروبا - أيضاً - عبر الأراضي التركية، حيث تعتبر روسيا المورد الأساسي لتركيا في تأمين احتياجاتها المحلية من الغاز الطبيعي، بالإضافة إلى توقيع اتفاق بين البلدين لإنشاء أربعة مفاعلات نووية في محطة (أكويو) النووية في ولاية ميرسين التركية، والمزمع افتتاحها في مطلع العام 2023.

لا توجد أية نية لتركيا للدفع نحو الإضرار بعلاقاتها مع روسيا، في ظل المعطيات الموجودة على أرض الواقع، والظروف الصعبة التي تمر بها تركيا على مختلف الأصعدة. خاصةً على الصعيد الاقتصادي، مع استمرار فقدان الليرة التركية لقيمتها مقابل الدولار، الأمر الذي انعكس على الأوضاع المعيشية للشعب التركي بشكل مباشر، وانخفاض دخل الفرد وقوته الشرائية، وبالتالي تزايد الاستياء الشعبي ضد التحالف الحاكم " تحالف الشعب" في تركيا، بالإضافة إلى تراجع شعبية حزب العدالة والتنمية، وحليفه حزب الحركة القومية، بحسب نتائج استطلاعات الرأي الأخيرة في الشارع التركي، والذي أجراه مراكز بحثية تركية (أكسوي-ميتروبول).

بناءً على ما سبق، فإنه من المستبعد تخلي تركيا عن موقفها الرمادي والمحايد في هذه الصراع المحتدم بين الغرب والشرق، حيال الحرب الروسية-الأوكرانية، فتركيا أحوج الآن - أكثر من أي وقت مضى - إلى الإبقاء على علاقاتها مع روسيا في المستوى الحالي على أقل تقدير، لتفادي الأزمات الناجمة عن أي إضرار بهذه العلاقات، والتي قد تحدد مصير التحالف الحاكم في الانتخابات البرلمانية التركية المقبلة في العام القادم.

ولكن، هذا الموقف الرمادي الذي تبنته تركيا، وسياسة التوازن التي تتبعها في سبيل تحقيق الاستفادة القصوى من كلا طرفي الصراع، في خدمة مشاريعها التوسعية، وفرض هيمنتها على المنطقة، لن يكتب له النجاح، مع التصعيد الحاصل في الحرب الدائرة في أوكرانيا، والتي تفرض على جميع الدول توضيح مواقفها حيالها، وخاصةً، الدول الأعضاء في حلف الشمال الأطلسي، ومنها تركيا، بحكم تجاورها مع كل من روسيا وأكرانيا بالحدود البحرية، عبر البحر الأسود.

لذلك، فإن تركيا في وضع محرج حقاً، وسنرى ما ستؤول إلى الأمور، التي غالباً لن تكون لصالح تركيا، مع إصرارها على التغريد خارج السرب الغربي والأمريكي. لذلك، أعتقد بأن تركيا لا يمكنها الاستمرار في تبني سياسة التوازن هذه مستقبلاً.

## ساعة نهاية العالم والتأهب النووي الذي أعلنه بوتين

أ. إبراهيم أحمد

إن العملية العسكرية التي بدأتها روسيا في أوكرانيا، والتي تطوّرت المواقف العسكرية فيها إلى درجة إعلان حالة التأهب النووي من قبل الرئيس الروسي بوتين، تعيدُ إلى الأذهان وضع ساعة يوم القيامة أو نهاية العالم (Dooms day Clock)، ماذا بشأنها، وهل يمكن أن تتقدم ثواني أخرى باتجاه منتصف الليل؟

ساعة القيامة هي ساعة رمزية تم إحداثها عام 1947، أي بعد الحرب العالمية الثانية، التي نتج عنها تدمير هيروشيما وناكازاكي بالقنابل النووية، وقتها تفتنّ العلماء إلى أن التطور الذي يحدث في التسلّح قد يؤدي بالأرض إلى كارثة لا تحمد عقباه.

تم انشاء الساعة من قبل مجلس إدارة مجلة علماء الذرة التابعة لجامعة شيكاغو، وتندّر بقرب نهاية العالم بسبب السباق الجاري بين الدول النووية، ليس فقط ذلك، بل وُضعت الكوارث الطبيعية، والتغير المناخي أيضاً ضمن العوامل المؤثرة على دقائق هذه الساعة، لكن بقي نصيب الأسد من حظ القوة النووية.

إن وصول عقارب الساعة إلى وقت منتصف الليل، يعني قيام حرب نووية قد تفني البشرية، أما الدقائق التي تسبق منتصف الليل فتُشيرُ إلى احتمالية نشوب الحرب النووية، وتوقيتها الآن هو 100 ثانية قبل منتصف الليل، وضبطها لا يتم اعتباطياً، حيث يُحدد الوقت مجموعة من العلماء، تضم 11 من الحاصلين على جائزة نوبل.

دقائق هذه الساعة تتغير تبعاً، حسب الظروف الدولية، سواءً أكانت عسكرية أو بيئية، فقد تزيد أو تقلّ، وعندما تم تصميمها لأول مرة، كانت مضبوطة على الدقيقة 7 قبل منتصف الليل، ثم تقلّصت تلك الدقائق إلى 4، عندما قامت روسيا لأول مرة باختبار قنبلتها الذرية عام 1949، ثم تناقصت إلى دقيقتين عندما اختبرت أمريكا قنبلتها الهيدروجينية عام 1953، ثم زادت تلك الدقائق إلى 12 دقيقة عندما تم الاتفاق بين روسيا وأمريكا (معاهدة ستارت 2) على تخفيض

أعداد الترسانتين النوويتين الاستراتيجيتين الأمريكية والروسية، بواقع الثلثين، عام 1993، ثم أخذت تلك الدقائق في التناقص مرة أخرى بعد التجارب التي قامت بها كوريا الشمالية، ثم أحداث الربيع العربي، وخطر سقوط الأسلحة النووية بأيدي إرهابيين، بالإضافة إلى التغيرات المناخية الحاصلة وخطر ارتفاع درجة حرارة الأرض، حتى وصلت إلى 100 ثانية قبل منتصف الليل حالياً.

يوجد حالياً حوالي 15 ألف (والعدد تقريبي) قنبلة نووية في العالم، تمتلك أمريكا وروسيا فقط حوالي 13 ألف منها، تعادل قنبلة كاستل برافو (Castle Brove) الأمريكية 1000 قنبلة هيروشيما، أما قنبلة قيصر الروسية (Tsar bomb) فتعادل أكثر من 3000 قنبلة هيروشيما، وهي قنبلة واحدة من حوالي 7000 قنبلة نووية موجودة في روسيا.

لو أُلقيت قنبلة "قيصر" على مدينة واشنطن الأمريكية مثلاً، فكل شيء يقع في مساحة دائرة نصف قطرها 4.5 كيلو متر سيتبخّر، أي سيذوب من شدة الحرارة العالية، وأي إنسان أو حيوان يقع في مساحة دائرة نصف قطرها 60 كيلو متر، سيُصاب بحروق من الدرجة الثالثة، مما يعني ذوبان الجلد، هذا بالإضافة إلى كمية الأشعاع التي ستؤثر على كل خلايا الجسم.

يُعتقد أن نشوب أي حرب نووية بين أمريكا وروسيا، سيؤدي إلى قتل 30 مليون شخص بمجرد تفجير الرؤوس النووية، بالإضافة إلى إصابة 60 مليون شخص بإصابات خطيرة، ستؤدي إلى الموت الحتمي، طبعاً هذا هو التأثير المباشر واللحظي لانفجار القنابل.

أما التأثير غير المباشر على الكوكب كله، فيعتقد العلماء أن الحرائق الضخمة التي ستسببها القنابل ستملأ الغلاف بال "الدخان الأسود" الذي سيفصل الشمس عن الأرض، بحيث أن درجات الحرارة ستخفّض إلى معدلات العصر الجليدي، حتى يُعتقد أن الأرض ستدخل عصراً جليدياً مصغراً قد يمتد لعشر سنوات، وهذا يعني أن درجة حرارة معظم مناطق الأرض ستكون أقل من الصفر، وبالتالي لن تكون الأرض صالحة للزراعة، وسيقلل الناتج الزراعي بما يعادل 90 بالمئة، وبالتالي المجاعات ستجتاح الأرض، والكثير من الكوارث الأخرى، بمعنى آخر سيكون هناك فناءً لبقية البشر الذين نجوا من الانفجارات النووية.

في أمريكا يحتاج إطلاق الصواريخ النووية إلى حوالي 15 دقيقة فقط، من لحظة إعطاء الرئيس الأمريكي الأمر بالإطلاق، مروراً بالمستشارين، إلى حد إعطاء الأمر بانطلاق أول صاروخ، أما في روسيا فالوقت أقصر .

وكادت أن تؤدي عملية إنذار كاذبة للجانب الروسي عام 1983 إلى نشوب حرب نووية، لولا أن الضابط الروسي "ستانسيلاف بيتروف"، والذي تلقى الإنذار عن طريق أجهزة الكمبيوتر، شكَّ في مصداقيته، ولم يبلغ القيادات العليا، وفي النهاية كان الإنذار كاذباً فعلاً.

الآن، وبعد إعلان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين حالة التأهب النووي، هل سيقوم العلماء بتغيير زمن ساعة القيامة، أم سيبقى الحال على ما هو عليه؟

ما سردناه في الأعلى عن مخاطر الحرب النووية، ليس بمنأى عن القادة السياسيين أيضاً، فالحرب النووية ليست لصالح الجميع، سواءً أكنتَ مهاجماً أو مدافعاً.

وحالة التأهب النووي التي أعلنها بوتين في الأيام القليلة الماضية، كانت نتيجة الخطأ في حساباته السياسية، ويمكن اعتبارها فشلاً وليس تهديداً حسب معايير القوة، بالإضافة إلى أن الولايات المتحدة أكدت أنها لم ترصد أي تغيير «لموس» في الوضع النووي الروسي منذ أن وضع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قوته الرادعة في حالة تأهب.

في النهاية.. قد تسيطر روسيا على كامل أوكرانيا، وقد تخرج منها منهزمة، لكن يمكن القول أنه لن تحصل حرب عالمية ثالثة - على الأقل نووياً - لأن العالم مدركٌ لما سيحصل بعد استخدام الأسلحة النووية، فالكُلُّ في هذه الحالة سيكون خاسراً.

## بين فنلندا والسويد وتركيا.. مَنْ يدعم الإرهاب؟

مصطفى مصطفى

كنتيجة مباشرة للغزو العسكري الروسي - الذي لا زال مستمراً حتى اللحظة - ضد أوكرانيا، والذي بدأ في 24 من شباط الماضي، لم يكن أمام كل من فنلندا والسويد إلا التخلي عن حيادهما العسكري، التي دامت لفترة طويلة، لذا سلم سفيرا الدولتين الإسكندنافيتين - رسمياً - طلب الانضمام لحلف شمال الأطلسي (الناتو) في بروكسل، في 18 من الشهر المنصرم.

رحّب كل من "ينس ستولتبرغ"، الأمين العام لحلف الناتو والرئيس الأمريكي "جو بايدن" بالقرار، ووصفاه بالـ "الخطوة التاريخية". في المقابل، اعتبر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، أن انضمام فنلندا والسويد المحتمل إلى الناتو، لن يشكل "تهديداً" في ذاته، لكن موسكو سترد على عمليات الانتشار العسكري.

لكن مساعي فنلندا والسويد اصطدمت بالرفض التركي، وتم عرقلة أعمال الانضمام من قبل تركيا. وعبرّ الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، عن رفضه منح عضوية حلف الأطلسي لهذين البلدين بحجة دعمهما "للإرهاب"، وكذلك على خلفية وجود علاقات دبلوماسية - على مستوياتٍ محدودة - بين البلدين من جهة والإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا من جهة أخرى، حيث تصرّ تركيا على أن الأخيرة جزء لا يتجزأ من حزب العمال الكردستاني، والذي تصنفه تركيا والاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة كـ "منظمة إرهابية".

**"الجمل لا يرى حدبته"**

من المضحك - والمثير لسخرية واسعة - أن تدعو دولة راعية وداعمة للكثير من التنظيمات الإرهابية، دول أخرى إلى التوقف عن دعم ما تسميها وتعتبرها "منظمات إرهابية" أخرى. فبمجرد البحث في علاقة تركيا ودعمها للتنظيمات والجماعات الإرهابية في العالم بشكل عام، وسوريا بشكل خاص، سوف نجد العشرات من التقارير والملفات التي توثق العلاقة المتينة بين تركيا

وتلك التنظيمات، لذا فإن الموقف التركي من قرار كل من فنلندا والسويد بشأن الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي (الناتو)، يذكرنا بالمثل الشعبي القائل: "الجمل لا يرى حذبه".

إن علاقة النظام الحاكم في تركيا - برئاسة أردوغان - بالجماعات والمنظمات الإرهابية والموجودة على لائحة الكيانات الإرهابية العالمية، وعلى رأسهم تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، علاقة واضحة وصريحة، وهناك الكثير من التقارير والدراسات الدولية والمحلية، التي تؤكد ذلك. لذا، هنا يجب العودة إلى بعض من تلك التقارير التي تحدثت قبل الآن عن تلك العلاقة، وتم توثيقها.

فقد أكدت دراسة لفريق بحث من جامعة كولومبيا الأمريكية بعنوان "روابط داعش وتركيا"، والتي صدرت في تشرين الثاني لعام 2014، أن تركيا قدمت لتنظيم الدولة الإسلامية (داعش) تسهيلات كثيرة. وكان من أبرز نتائج الدراسة، أن تركيا توفر دعماً عسكرياً، عبر تقديم السلاح للتنظيم، ومادياً، عبر شراء النفط منه، وطبياً، عبر تقديم العلاج لعناصر رفيعة المستوى من داعش، وكذلك وفّرت للتنظيم، التدريب والتجنيد على أراضيها، بل حتى والقتال إلى جانبهم.

بالإضافة إلى ذلك، بحسب ما نشرته صحيفة "حوريت ديلي نيوز" التركية (26 أيلول من العام 2014)، فإن هناك تعاطف كبير من قبل أعضاء في الحزب الحاكم في تركيا (حزب العدالة والتنمية) تجاه داعش، حيث أن أحدهم قال بأن: "وجود داعش كجارة لتركيا، أفضل من وجود حزب العمال الكردستاني".

ويشير المركز الأطلنطي في دراسة له، تحت عنوان "شبكات الدولة الإسلامية في تركيا" (تشرين الثاني من العام 2016)، إلى خصوبة البنية التحتية لتركيا أمام عبور المجندين، ونقل الإمدادات إلى تنظيم داعش في سوريا، وبأن هذه البنية مبنية على القاعدة والشبكات الإرهابية منذ عشرات السنين، والمتمركزة في العديد من المدن التركية. وحسب الدراسة، فإن هذه القاعدة كانت تستخدم سابقاً كطريق ثانوي للإرهابيين، للانضمام إلى التنظيمات الأخرى، خلال حرب العراق، بين عامي 2003 و2011.

## مناطق سيطرة تركيا في سوريا تحولت لملاذٍ آمنٍ للإرهابيين

لا يخفى على أحد، بأن المناطق التي تم احتلالها من قبل تركيا في سوريا، قد تحولت إلى ملاذٍ آمنٍ لقادة بارزين في تنظيمي داعش والقاعدة، وخاصة منطقة إدلب.

وقد شنت الولايات المتحدة الأمريكية هجمات متفرقة، غالبيتها بطائرات مسيرة، على تلك المناطق، وقتلت العشرات من قادة التنظيمين المذكورين. وكان آخر تلك الهجمات، الغارة التي تسببت بمقتل زعيم تنظيم داعش "أبو ابراهيم القرشي"، وقبلها قتل خليفته الأول، أبو بكر البغدادي، بنفس الطريقة، وفي نفس المنطقة (إدلب).

إن وجود قادة تلك التنظيمات في مناطق سيطرة تركيا في سوريا، وسهولة تحركهم ضمن تلك المناطق، كان قد أسقط آخر ورقة توت عن مزاعم تركيا في محاربة التنظيمات الإرهابية، وكشف عن نواياها في دعم واستغلال تلك التنظيمات في سوريا، ضد مناطق الإدارة الذاتية لشمال وشرقي سوريا. وخير مثال على ذلك، هو مزمنة هجمات عناصر داعش ضد مناطق قوات سوريا الديمقراطية (قسد)، مع الهجمات والعمليات العسكرية التركية في سوريا، التي تُنفذ بحجة محاربة "الإرهاب".

نقطة أخرى لافتة، متعلقة بإصرار تركيا على رفض انضمام هلسنكي وستوكهولم للناتو، هو أن هذا الرفض، جاء بالتزامن مع تصريحات الرئيس التركي أردوغان، عن القيام بعملية عسكرية جديدة في سوريا، وذلك بحجة إنشاء "منطقة آمنة"، على غرار المناطق التي تحدثنا عنها سابقاً، والتي تحولت في ما بعد إلى ملاذٍ آمنٍ لقادة وعناصر تنظيمات إرهابية متطرفة، حيث أن تركيا تريد قطع العلاقات والدعم الغربي -حتى وإن كانت ضمن إطار محاربة داعش- عن قوات سوريا الديمقراطية، وكذلك الحصول على الدعم والتأييد الأوروبي بخصوص "المنطقة الآمنة" التي نتحدث عنها، في الشمال السوري.

لذلك، حاولت تركيا إثارة موضوع رفض انضمام فنلندا والسويد، حيث إنها تتمتع بمكانة مهمة في الحلف، وتُعتبر القوة العسكرية الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية في الحلف. وبالتالي، فإن

أسباب رفض تركيا لانضمام فنلندا والسويد، تتجاوز بكثير الحجج التي تحدث عنها الرئيس التركي أردوغان.

إن تاريخ استغلال تركيا للأزمات الدولية والإقليمية طويل، وكان آخر تلك الأزمات الحرب الروسية -الأوكرانية، ففي السنوات الماضية وحتى الآن، كان لها يدٌ في الساحات السورية، والليبية، واليونانية، والأذرية-الأرمنية، والمصرية، سواء بتدخل عسكري مباشر، أو عبر دعم أحد الأطراف والجماعات، ودائماً كانت تركيا تحاول خلط أوراق العلاقات الدولية، لتستفيد من تلك الأزمات، لتضمن لها نصيباً من الكعكة.

بالرغم من أن تركيا تعلم بأن مسألة انضمام فنلندا والسويد إلى الحلف، قد باتت شبه محسومة، لكنها هنا - مرة أخرى، كما حصل عام 2009 عندما احتجت على تعيين رئيس الوزراء الدنماركي السابق، "أندرس فوغ راسموسن" رئيساً لحلف الناتو- تحاول استخدام مكانتها كورقة ضغط، للاستفادة منها في مكان آخر؛ وهو الشمال السوري، للقيام بعملياتها العسكرية المزعومة، في ظل التدهور الاقتصادي الذي يفتك بحكومة أردوغان في الداخل التركي، وتراجع شعبيته مع اقتراب موعد الانتخابات العامة في تركيا عام 2023، فالمسألة ليست متعلقة بعلاقات فنلندا والسويد بحزب العمال الكردستاني والإدارة الذاتية لشمال وشرقي سوريا، أو كما تصفها تركيا بالعلاقات الداعمة "للإرهاب"، بل إنما المسألة متعلقة بنوايا تركيا في الحصول على تنازلات أو ربما (ترضيات) من أجل توسيع مناطق احتلالها في سوريا، والتي أصبحت منابع للإرهاب.

## داعش بين الواقعية والمؤامرة

أ. إبراهيم أحمد

لستُ من المؤمنين بنظريات المؤامرة، والتي يجعلُ منها العاجز مشجباً لتعليق عجزه أو فشله أو قصرَ نظره عليها، بل إن ما يحدث على الأرض هي وقائع تجري نتيجة جملة من الأحداث، وتؤدي إلى نتائج معينة، سواءً أكانت سلبية أو إيجابية.

هل يمكن أن نعتبر رفرة جناح الفراشة (تأثير الفراشة) مؤامرة؟، لأن ذلك قد يسبب إعصاراً في أقاصي الأرض، أم أن هناك قوانين طبيعية تتحكم بالأرض، كدنا أن نسميها فوضى عارمة، لولا أن العلم أثبت أن ذلك يتبع قوانين رياضية محكمة، يمكن تشبيهه ما قام به "محمد البوعزيزي" من إحراق جسده، كرفرة الفراشة التي تسببت في إعصار ما يسمى الربيع العربي، وهنا يكمن قانون التغيير الذي تتغير وفقه الحكومات، وتسقط نتيجته عروش الحكام.

هناك حتى اليوم من يعتقد أن أحداث الربيع العربي كانت نتيجةً لنظرية المؤامرة التي دبرها الغرب لبليل، رغم أن الغرب نفسه تفاجئ بما حصل في تونس. لكن ما يمكن اثباته أن الغرب أخذ بطرف هذا الخيط (حريق البوعزيزي)، وبدأ يحركه حسب مصالحه، وكأنه كان ينتظر ذلك، الغرب ليس ذكياً جداً إلى حد إثارة حدث هائل مثل ما يسمّى بالربيع العربي الذي أطاح برؤساء حكومات، لم يكن أحدٌ يتوقع أن يسقطوا تبعاً. كل ما في الأمر أن الدول العظمى بدأت بالتدخل كلٌ حسب مصالحها، ولا شيء غير ذلك!

داعش هو كيان تأسس على إرث إسلامي متشدد، وهو تنظيم مسلح يتبع فكر جماعات السلفية الجهادية، ويرجع تاريخ تأسيس هذا التنظيم الإرهابي إلى قائد تنظيم القاعدة في العراق "أبو مصعب الزرقاوي"، حيث أسس ما سمي وقتها بـ"جماعة التوحيد والجهاد"، لمواجهة القوات الأمريكية التي عملت على إسقاط نظام صدام حسين الدكتاتوري في العراق عام 2003، مع تعاقب الأحداث في العراق وسوريا، استطاع التنظيم تطوير نفسه من خلال مختلف المراحل، حيث تمكن - من خلال احتلاله مساحات كبيرة في كلٍ من البلدين - من تكوين قاعدة

استراتيجية إرهابية في المنطقة، حتى بات سبباً رئيسياً لتعزيز "الإسلاموفوبيا" جراء بنيته الإيديولوجية وأساليبه الإرهابية.

وبحلول عام 2006 أعلن الزرقاوي، تأسيس "مجلس شورى المجاهدين" بغرض توحيد كافة الفصائل السنية المسلحة في العراق، إلا أنه قتل في نفس العام من قبل القوات الأمريكية، وحلّ مكانه "أبو عمر البغدادي"، الذي أعلن بدوره تغيير اسم "مجلس شورى المجاهدين"، ليكون "دولة العراق الإسلامية"، وحارب الفصائل العراقية السنية التي لم توالى التنظيم بعد توجيهه لها دعوة لمبايعة الكيان الجديد.

وباتباع التنظيم نهجاً انتقامياً متشدداً، باستهداف كل من ينتسب للجيش والشرطة العراقية، وقيامه بعمليات انتحارية تستهدف المدنيين في الأسواق، صدرت ردود أفعال ضدّ التنظيم، من قبل الفصائل الأخرى التي تقاوت قوات الولايات المتحدة فقط بصفتها "محتلّة".

وفي هذا الإطار استمر "أبو عمر البغدادي"، في قتال الفصائل الأخرى في محاولة منه لإرغامها على مبايعة "دولة العراق الإسلامية"، الأمر الذي أدى إلى إضعاف التنظيم نتيجة الاشتباكات.

حلّ "أبو بكر البغدادي" مكان "أبو عمر البغدادي"، عقب إعلان الولايات المتحدة، مقتل الأخير في عملية عسكرية للقوات الأمريكية عام 2010، وسارّ الأول على طريق سلفه في أعمال "الإرهاب".

ومع تحوّل الأزمة السورية إلى حرب أهلية، انشقّ "أبو محمد الجولاني" (سوريّ الجنسية)، أحد مساعدي أبو بكر البغدادي، عن ما سمّي بـ"الدولة الإسلامية في العراق"، مع مجموعة من السوريين الآخرين وأسس "جبهة النصرة"، داخل الأراضي السورية، لتتخرط في العمليات المسلحة مع الفصائل الأخرى ضد قوات النظام.

من خلال السرد السابق لتطوّر هذا التنظيم الإرهابي يبدو جلياً أن داعش له فكرٌ وإيديولوجية تأسس عليها، وليس حالة طارئة قام بصناعتها النظام السوري أو التركي أو غيره، رغم أنه ساهم - بشكلٍ غير مباشر - في التغطية على جرائم الكيانات الأخرى نتيجة المجازر والقتل الدموي الذي قام به.

إن أفول نجم التنظيم، بعد أن دخلت قوات سوريا الديمقراطية (قسد) إلى آخر معاقله في الباغوز عام 2019، واعتقال ما تبقى منهم، لم يكن يعني أن القضاء قد تم بشكل كامل عسكرياً، بل تراجع التنظيم إلى البادية السورية الممتدة بين محافظتي حمص (وسط) ودير الزور (شرق) عند الحدود مع العراق، حيث تحصّن مقاتلوه في مناطق جبلية، هذا بالإضافة إلى إيديولوجيته القائمة، والتي كانت لا تزال تنتشر عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والتي يدافع عنها أنصاره بشراسة واضحة.

في شمال وشرق سوريا دخلت الأوضاع حالة من الرتابة المملة بعد الباغوز، خاصة بعد إعلان الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الانتصار العسكري على داعش.

يكتب "ريتشارد سبنسر" في صحيفة التايمز، قائلاً أن قرار الرئيس الأمريكي بسحب نصف القوات البرية الأمريكية الضئيلة والتي يبلغ عددها 2000، والتي كانت تساعد في حراسة منطقة سيطرة قوات سوريا الديمقراطية في شمال وشرق سوريا، كان من أهم العوامل التي ساعدت داعش على العودة مجدداً.

في نفس السياق، يقول "سبنسر" أدارت بريطانيا ودول أوروبية أخرى ظهورها، ورفضت السماح للإرهابيين أو زوجاتهم وأراملهم بالعودة إلى ديارهم لمواجهة المحاكمة، وسرى الأمر على دول أخرى، بلغت الـ 50 دولة.

من ناحيتها، ساهمت تركيا في دعم التنظيم، سواءً بشكل مباشر، أو عن طريق إضعاف قوات سوريا الديمقراطية، وذلك من خلال الاستمرار في مهاجمة واحتلال الأراضي التي تقع تحت سيطرة (قسد)، كما ساهم الروس أيضاً في الأزمة، عن طريق إفقار شمال شرق سوريا، من خلال استخدام حق النقض ضد مساعدات الأمم المتحدة عبر الحدود.

إن عملية الإفقار والإضعاف التي قامت بها الدول الفاعلة في الأزمة السورية تجاه شمال وشرق سوريا انعكس سلباً على كافة مؤسسات الإدارة الذاتية، بما فيه العمل الاستخباراتي، والذي يقع على كاهله مسؤولية عدم القدرة على كشف مخطط داعش للسيطرة على سجن الصناعة، والذي راح ضحيته الكثيرين من الأبرياء.

كل ذلك ساهم - بشكل أو بآخر - في العودة التدريجية للتنظيم المتطرف من جديد، عن طريق لملمة نفسه مرة أخرى، والتفكير في الهجوم على سجن الصناعة في الحسكة، لتحرير أنصاره، وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد. ولن ننسى أن بعض قوانين الإدارة الذاتية أيضاً ساهمت في ارتكاب هكذا جرائم، فالغاء عقوبة الإعدام في منطقة غير مستقرة وغير معترفة بها دولياً، وتعيش على صفيح ساخن - رغم حضاريتها - إلا إنه يساهم في بقاء القتلة، وامكانية تحريرهم يوماً ما.

إن تطويق سجن الصناعة، والسيطرة عليه من قبل قوات سوريا الديمقراطية، لا يعني أبداً أن احتمالية تكرار ذلك لن يحدث، بل يجب البحث عن طرق بديلة لمكافحة الفكر الإرهابي، بعد أن أثبتت خطط التأهيل فشلها، وإن كان سجن الصناعة يحتوي على نحو 3500 سجين من عناصر وقيادات تنظيم داعش، فإن مخيم الهول يُعتبر مدينة كاملة قائمة، أو دولة داعشية مصغرة، ويضم ما يقدر بنحو 70 ألف شخص، من بينهم أكثر من 40 ألف طفل، ويتم فيه الكثير من الجرائم التي تركز إلى الفكر الداعشي، وآخرها مقتل مسعف في "الهلال الأحمر الكردي" على يد خلايا "داعش" داخل المخيم، حيث قام عنصران من "داعش" بالدخول إلى النقطة الطبية التابعة للهلال في المخيم، عبر انتحال شخصية مرضى، وأطلقا الرصاص من سلاح مزود بكاتم للصوت، باتجاه الضحية؛ هذه الجرأة في تنفيذ الجريمة يقف وراءها الكثير من الأسباب، إحداها هي إلغاء عقوبة الإعدام.

الواقعية كثيراً ما تكشف الحقائق، استفادت تركيا من منهجية داعش الفكرية في الكثير من مشاريعها في المنطقة، ومنها سوريا وتحديداً شمال وشرق سوريا، وأن هذا الحدث كان جزءاً من تلك الحقيقة التي تؤكد تورط تركيا في دعم داعش، وهذا يندرج على غيرها من الدول الإقليمية والدولية.

الإدارة الذاتية في شمال وشرق سوريا تعيش على صفيح ساخن، وبين مجموعة من الذئاب، كلٌّ يحاول أن ينهش بها من طرفه إذا سنحت له الفرصة، وهذا ما يوجب التيقظ التام، للوصول بالمنطقة إلى بر الأمان.

